هديتك مع العدد
براعم الايمان

الوعي الإسلامي
AL-WA E I AL-ISLAMI
اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٦٩ - جمادى الأولى ١٤١٧هـ - أكتوبر ١٩٩٦م

الأخلاق قاسم مشترك بين كافة الأمم والشعوب

• الحياة الخاصة وضمان حرمتها في الإسلام

• منهج التواصل الحضاري بين حضارات العالم

من أجل محبي المعرفة والباحثين



دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

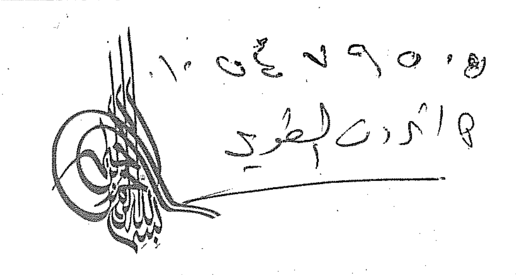
الكشاف العام

لمجلة الوعي الإسلامي

الجزء الأول

اصدار
مجلة الوعي الاسلامي
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

عة ملايين ونصف مليون نسخة صدرت من مجلة الوعي الإسلامي حتى اليوم



الوعي الإسلامي

AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry
Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٦٩ – السنة الثانية والثلاثون
جمادى الأولى ١٤١٧هـ - أكتوبر ١٩٩٦م

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 - الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٤٨١٦٨٨٤/٥-٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

عزيزي القارىء الكريم:

القضايا الأخلاقية والاجتماعية باتت تستأثر حيزاً واسعاً في قضايا العالم اليوم على الرغم من التقدم التكنولوجي والعلمي الذي شهده العالم في كل ميدان من ميادين الحياة، فالقيم الاخلاقية تسير في الاتجاه المعاكس للمسيرة العلمية مما أفقد هذه المسيرة إيجابياتها وفوائدها وأصبحت وبالاً على الانسان سواء في المجتمعات النامية أو في المجتمعات المتقدمة، لقد حققت العلوم إنجازات عملاقة في اكتشاف القوانين الطبيعية والسنن الكونية لكنها لم تكتشف الانسان على حقيقته التي أرادها الله وما هو سر وجوده الحقيقي في هذا الكون؟ ومن هنا ركزت مناهج التغيير الوضعية على المادة وغيبت عنصر الروح فتحول العقل البشري الى أداة في خدمة الجسد وشهواته وتسويغ الظلم والاعتداء على الآخرين.

إن الوعي الإسلامي حين تركز في عددها الذي بين يديك على القيم الخلقية ومعالجة القضايا الاجتماعية وإفرازاتها السلبية إنما تهدف من وراء ذلك الى المساهمة في تصحيح المسيرة الإنسانية حتى يستعيد العقل البشري دوره وفاعليته ويرسم ملامح طريق الإنقاذ والخلاص .. والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

طبع في مطابع دار السياسة

الإشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير — للمؤسسات ١٠ دنانير —
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) - للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) -
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) — للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٠٠ فلس - قطر ٤ ريالات - الامارات ٤ دراهم - سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة - الاردن ٥٠٠ فلس - ج.م.ع جنيه مصري واحد - السودان ٥ جنيهات - موريتانيا ١٢٠ اوقية - تونس دينار واحد - الجزائر ٥ دنانير - اليمن ٥ ريالات - لبنان ١٠٠٠ ليرة - سوريا ٢٠ ليرة - المغرب ٦ دراهم - ليبيا ٥٠٠ مليم - اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله — أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

في هذا العدد

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh



منهج التواصل بين حضارات العالم

* تبرز الحاجة إلى الحوار بعد قرن من الصراعات الفكرية والاقتصادية والعسكرية وذلك في إطار التواصل الحضاري بين كافة أمم الأرض والاستفادة من خلاصة التجارب الحضارية للبشرية جمعاء ..... الدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يحدد من خلال بحثه أسس منهج التواصل الحضاري المعاصر

اقرأ في الأعداد القادمة



○ حوار مع الدكتور علي السالوس أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة قطر
أحمد أبو زيد

○ أسرى الكويت بين الضمير العربي والقانون الدولي
محمد محمد إسماعيل فرج

○ مبادىء علم النفس الجنائي في الشريعة الإسلامية
د. رضا عبدالحكيم إسماعيل

○ التربية الإسلامية والتقدم الحضاري
د. محمد السيد المليجي

○ تغير الأحكام بتغير الأوطان والأزمان
د. أحمد محمود كريمة

○ الحرية السياسية في الإسلام
علي أحمد الصوري

○ الشدة في تربية الصبيان بين الرفض والتأييد
محمد الصالح عزيز

العمارة المساجدية في المغرب

* العمارة المساجدية المغربية لها خصائص تميزها عن غيرها والطراز المعماري المسجدي المغربي نشأ مع بناء أول مسجد في القيروان وهو مسجد عقبة بن نافع الذي بني بين عامي ٥٠ ـ ٥٥هـ / ٦٧٠ ـ ٦٧٥م.

١٣

القربات للموتى

* قضية فقهية يثار حولها الجدل الكثير ألا وهي «قيام الإنسان الحي بعمل قربة من القربات الشرعية قولية كانت أو فعلية ثم يهب ثوابها للميت» فهل ينتفع الميت بهذا الثواب أم لا؟.



آداب الاختلاف في الإسلام

* الاختلاف الذي يسود الأمة في عالمنا المعاصر أعطى صورة قاتمة لأمة الإسلام بشكل يختلف كثيراً عن الاختلاف في الرأي كما عرفه السلف الصالح رضي الله عنهم، ترى ما هي مرتكزات آداب الاختلاف في الإسلام؟.



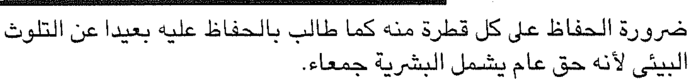
ظاهرة الطلاق

* من المسؤول عن انتشار ظاهرة الطلاق في المجتمع وهل المسؤولية تقع على عاتق الزوجين فقط أم أن هناك أسباباً أخرى تقف وراء هذه الظاهرة الخطيرة التي سمح بها الشرع الحنيف في أضيق الحدود باعتبارها أبغض الحلال إلى الله.



الماء والتنمية الصحية

* الماء أساس الحياة وسر استمراريتها على سطح الأرض، وقد ركز الخطاب الإسلامي على ضرورة الحفاظ على كل قطرة منه كما طالب بالحفاظ عليه بعيدا عن التلوث البيئي لأنه حق عام يشمل البشرية جمعاء.





الفهرس



اقتراح

يسعدني أن أقدم ذلك الاقتراح وليكن تحت عنوان (حوار مع عَلَم) بحيث يكون موضوعاً من موضوعات المجلة، يستضيف المُحاور شخصية علمية بارزة تميزت في جانب من جوانب المعرفة كالدعوة والسياسة والاقتصاد واللغة الخ.. يعرض من خلال الحوار مشوراه العلمي منذ بدايته. يعرج من خلاله الى الكلية التي التحق بها، والوسائل التي ساعدت على صقل تلك الدراسة الجامعية.

بحيث تكون للمسلم في شتى المراحل الدراسية مناراً ينير له طريقه ودليلاً يهتدي به وقدوة يحتذى حذوها.

كل حسب ميوله واتجاهاته وقدراته مما سيكون له أعظم الأثر في تخريج أعلام وقدرات اسلامية واعية وهائلة تستطيع ان تخدم ديننا في شتى المجالات.

وخصوصاً أننا في وقت انعدمت فيه القدوة الحسنة واستُبدِلت بشخصيات فنية وغنائية هابطة.

○ محمد خميس الشهاوي
دمياط-مصر

الوعي الإسلامي: شكراً على هذا الاقتراح الطيب ونأمل تنفيذه في خطتنا المستقبلية وشكراً لكم.

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

نداء عاجل إلى الشباب

أيها الشباب إن الإسلام هو حلم الإنسانية الخالد وبالإيمان تتحقق هذه الإنسانية وتتحرر النفس من عبادة الأشخاص والشهوات الى عبادة الحق جل وعلا.

هناك تحلو التضحيات لحلاوة الجزاء وتصغر الدنيا في جلال الآخرة وتستقيم الأعمال والأقوال بوحي العقيدة ووازع الضمائر والقلوب.

إن الشاب قوة، والقوة أن تكون رجلاً لك في الحياة رسالة وتعيش في الدنيا في ظل غاية وتحت راية فإذا أكرمت نفسك عندها فلا تصنع بها إلا في خير الغايات.

﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾.

أيها الشباب إن الأيام تجدّ بكم فجدّوا، وان الفلك يدور بكم فلا تغفوا، وان المجد يهيب بكم فلبّوا، وان هاتف الحق يهتف بكم:

أيها الشباب ميدانكم الأول أنفسكم فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر وإن أخفقتم في جهادكم كنتم عما سواها أعجز.

فاخرجوا للكفاح معاً واذكروا أن الدنيا تترقب جيلاً متخلقاً بالطهر الكامل والخلق السوي الفاضل فكونوا أنتم هذا الشباب.

○ مصطفى شحاته مصطفى حنفي

غياب القدوة وافتقاد القيادة

إن من أخطر الأمور التي تواجه شبابنا المسلم اليوم هي غياب القدوة وافتقاد القيادة القادرة على ترشيد الشباب وإدراك حاجاته واستيعاب تطلعاته واغتنام تضحياته ووضعها في مصلحة الاسلام والمسلمين.

إن التضحيات التي يقدمها الشباب المسلم تكاد تفوق الوصف والتصور، لقد كان عطاؤه بلا حدود، لكنه يصاب في النهاية بالإحباط وخيبة الأمل فيمن حوله فلا هم قادرون على تقديم تضحيات مثيله، ولا هم قادرون على وضع تضحياته في المكان المناسب، فالشباب اليوم يعاني من أزمة قيادة وأزمة قدوة، إن غياب القدوة وعجز القيادة هما السبب الأساسي لانحراف الشباب.

إن تثقيف الشباب وجذبهم عن طريق أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من أبسط واجبات رعاية الشباب حتى يتربى الشباب المسلم على المسؤولية نحو الأسرة والمجتمع.

○حسن اللبنان / مصر

تعقيب

تعقيباً على ما نشر في العدد ٣٦٣ ذو القعدة ١٤١٦هـ للأستاذ الفاضل عمر الراكشي حياه الله وبياه في موضوعه «غرق العاجزين في البحور والموازين» أقول لقد تقاعس أهل العلم ومسؤولو اللغة عن الدفاع عنها والذود عن حياضها إلا قليل القليل من أمثال الراكشي أبت نفوسهم الأبية ان تخضع لذل اللغة ومهانة الكلمة العربية، ولم يثنهم قوة المد التبشيري وموجات الإهانة للعرب ولغتهم، والتي جاءت على ألسنة بنيها ممن لم يدرسوا العروض أو هم منه جافلون، وكانت دراستهم ضحلة لم تتمكن من استيعاب اللغة وبلاغتها وسموها وتنفيذاً لسهام العدو ومنها «محاربة العرب من الداخل»، إن سكوت أهل الاختصاص بالرد على هؤلاء قالوا: « فأما الزبد فيذهب جفاء» وقالوا: ان الذي يدعونه شعراً يموت في نفس القرطاس الذي نُشِر به، ولا حاجة للرد، ولكن رأيت التمادي في التخريف والتحريف، ورأيت من يستضاف من أقطار عربية بأسماء عربية ليلقي محاضرة في تأييد هذا المسخ الذي ظهر حديثاً ويستشهد بآراء غربيين أعاجم تختلف أذواقهم عنّا وتتلون أمزجتهم، وساعدت منابر وصحف ومجلات من جميع بلاد العرب على نشر هذه السموم، ولم أر رجلاً رشيداً ينهى عن تناولها ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وأخشى ما أخشاه ضياع شبابنا وانصياعهم للذي ينشر والذي عدواه سرت كالكوليرا فلم يبق طفل في الإعدادي إلا وله جهد يقرأه على انه شعر، ولقد خربت الذمم في الناقدين وضاع الحياء فيمن ساعد وعاون وأيد مثل هذه الترّهات والأباطيل والسلام.

○ سعدي حسن رزق –مصر

ردود سريعة

● أ.د. نبيل سليم علي/ مصر: نأسف لعدم نشر مقالاتك بعد ان تأكدنا أنها مستقاة من مراجع ومصادر دون بذل أي جهد ذاتي مع تمنياتنا لكم بالسداد والتوفيق.

● القارىء عبد الفتاح محمد بدوي–مصر: شكراً على ملاحظاتك وصفحات المجلة مفتوحة لجميع الاقلام الطيبة اذا استوفت شروط النشر.

● القارىء احمد جمعة علي/ دار السلام –تنزانيا/ المنح الدراسية امر يتعلق في وزارة التعليم العالي يمكنك عن طريق حكومتكم الحصول على المنحه المطلوبة وشكراً لك.

● الأخوة القراء: بلقط عبد الرحمن بن عبد الوهاب/ الجزائر ،صالح اسحاق عزبا/غانا، عبد العزيز شكريدة/الجزائر، عبد مناف سيلاي سليمان/الفلبين، عبد الحكيم قماز/ الجزائر، شيخ سبكي سيلا/ السنغال.
من اجل الاشتراك بالمجلة يمكنكم ارسال قيمة الاشتراك بشيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الإسلامي وبارك الله بكم على ثقتكم الغالية بالمجلة.

● القارىء قويدرين عطية/الجزائر
مجلتنا مجلة اسلامية تهدف الى بث الوعي الإسلامي الصحيح في جماهير الأمة بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية.

شكر وتقدير

من أعماق قلبي ومن داخل فؤادي ابعث بتحية ملؤها معاني الحب والاحترام والشكر والى من يعمل في مجلة الوعي الاسلامي وكل من يساعد في بناء الاسلام وتربيته للأطفال والشباب على الاسلام.

○ حمدي عبد الحليم احمد–مصر

احذروا الظاهرة النفاقية الجديدة

المتتبع لحركة الفكر الاسلامي المعاصر يلاحظ بوضوح ظهور موجة جديدة استفحل امرها مع تصاعد الوعي ويقظة الامة وعودتها الى كتاب ربها.

وتتضح معالم هذه الغارة الجديدة من خلال بعض النماذج العربية التي تربت في احضان الاستشراق الشيوعي ولاسيما أولئك الذين عزلوا من مقومات أمتهم الحضارية وجردوا تماما من كل قاعدة اعتقادية او رؤية فكرية أو مبدأ اخلاقي مع شحنهم بالبديل التقدمي؟! فتم توجههم أخيراً الى الظهور بتبني قضية الاسلام والاهتمام بتراثه ويطلقون على انفسهم وصف« المفكر الاسلامي المستنير» لالشيء الا لخداع الناشئة ببريق اللفظ في حين يرسخ في مشاعرهم من غير وعي معان شديدة الخطورة حيث تبدأ اوسع عمليات الهدم والتخريب في التراث الاسلامي وتشوية الفكر الاسلامي والطعن في قضاياه الرئيسية بهذه الظاهرة النفاقية وباستثمار انخداع بعض ابناء الأمة بهم وبادعائهم حمل (الفكر الاسلامي المستنير).

العقل الموجة لخيوط هذه الحملة وأبواقها المحلية التي تفد من مراصد اجنبية حاقدة على الاسلام واهله في غفلة عن وعي تلك الابواق بالابعاد الحقيقية لهذا المخطط.

والاغرب من هذا نجد دراسات عربية تصور التاريخ الاسلامي صراعا بين الاقطاع وطلائع البرجوازية والبروليتاريا وتعد حركات الرواندية والقرامطة والزنج وامثالهم بوصفها النزاعات الثورية المستنيرة وبعضها يحاول هدم وتشوية اعلام الصحوة الاسلامية الى حد اتهامهم بتضليل الامة في طروحاته الفكرية الاسلامية.

لذلك فإن مثل هذه الكتابات تعد في نظر هؤلاء المستشرقين استنارة حقيقية في الفكر الاسلامي الحديث فاذا بهم يعلنون في بتبجح ضرورة عزل الاسلام عن حركة المجتمع العربي المعاصر والاكتفاء بقصر القرآن على العبادات والمساجد كضرورة حتمية لتقدم المجتمع العربي المسلم!

○ ليلى أحمد أنور أحمد/ مصر

الافتتاحية

الأخلاق قاسم مشترك بين كافة الأمم والشعوب

الأمم لا تقاس قوتها بمقدار ماتملك من أسلحة وعتاد وانما تقاس بمقدار ما تملك من قيم وأخلاق، هذه قاعدة يجب ان يستوعبها الجميع ومن هذا المنطلق اعتنى الإسلام بالأخلاق وجاء قوله صلى الله عليه وسلم:« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» مؤكداً على أمرين اثنين:

أولهما:إن رسالة الإسلام رسالة أخلاق واجبة التنفيذ والنفاذ وانها تقف في ميزان الإسلام جنباً إلى جنب مع العقيدة.

وثانيهما: أن الأخلاق قاسم مشترك بين كافة الأمم والشعوب وأنه صلى الله عليه وسلم بعث بالرسالة ليتمم هذه المكارم وليسعد المجتمعات الإنسانية في جميع مناحي الحياة.

لقد سارت الحياة الإسلامية في عصورها الزاهرة على بناء متين من الاخلاق والمثل العليا تنشر الخير والحق والعدل وتبني أسس حضارة شهد بعظمتها ومنعتها وتكاملها كل أمم وشعوب الأرض فانقادوا لها طواعية ودخلوا في دين الله أفواجاً.

ومنذ ابتعد الإسلام عن الساحة العالمية وانهارت المثل والأخلاق حلَّ الشقاء في كافة أمم الأرض على الرغم من تفاوتها في الحضارة والمدنية وعلى الرغم من التقسيمات الزائفة التي صنفت شعوب العالم ما بين شعوب متقدمة وشعوب متخلفة لأن هذه الشعوب المعاصرة في ميزان الإسلام لا تختلف في جوهرها فالكل يشقى ويتلظى اليوم بلهيب الجريمة والاغتصاب والانحراف والسرقة والقتل وغيرها بعد أن انحرف عن المنهج الإلهي الذي أراده الله لعباده في الأرض، ففي العالم الإسلامي هناك أزمة أخلاق وقيم لا ينكرها أحد، وفي العالم الغربي أزمة أخلاق وقيم وفي كل مكان تدهور مريع في السلوكيات، وهذا الواقع المأساوي أوجد لدى شعوب العالم على اختلاف مللها ونحلها وتنوع إمكاناتها قناعات واضحة بأنه لابد من العودة إلى قيم الدين والفضيلة والتسامح والسلوك الحسن وأن المادة ليست كل شيء وأن الجسد مادة وروح في آن واحد.

ففي الولايات المتحدة أكبر قوة في العالم باتت القيم الأخلاقية فيه تحتل مساحات واسعة في البرنامج الانتخابي لكل من الرئيس كلينتون والمرشح الجمهوري «بوب دول»، إضافة إلى أن الهيئات والجمعيات في أمريكا تحاول القيام بأعمال جادة لوقف التدهور الخلقي ومحاربة الجريمة والمخدرات، وتحاول التوجهات الدينية في أمريكا الاقتراب من الإمساك بمفاتيح الحياة السياسية، وفي ألمانيا أكدت دراسة قانونية قامت بها وزارة العدل الألمانية ان معدلات الجريمة وأعمال العنف وصلت إلى معدلات مرتفعة

وخطيرة، وان القوانين والاجراءات العقابية لم تعد ترعب وتؤثر في هؤلاء الشباب المنحرفين، وان الوقت قد حان لفرض تغيير جذري وسريع في القانون حتى تترسخ القيم والأخلاق في الأمة ويُنقذ جيل الشباب الألماني من الانهيار.

وفي بلجيكا لايزال الناس في حالة رعب وفزع بعد كشف التفاصيل المروعة لشبكة المنحرفين والشاذين جنسياً واعتداءاتهم على الأطفال، وتصاعدت المطالبة بتشديد الإجراءات القانونية المتخذة بحق مرتكبي هذه الجرائم وإنزال أقسى العقوبات فيهم بما فيها عقوبة الاعدام مع أن هذه العقوبة محرمة في القانون البلجيكي!.

وفي الصين تكتشف الأمة تراثها وترد الاعتبار لعقيدتها الكونفوشيوسية ونفس الامر ينطبق على الهند التي تحاول العودة للمبادىء الهندوسية وكذلك في روسيا التي تخلصت من أدران الشيوعية ودول عديدة في العالم.

وفي استوكهولم عاصمة السويد انعقد يوم ٢٧/اغسطس الماضي مؤتمر دولي للقضاء على تجارة الاطفال لبحث السبل الكفيلة بإنهاء هذه الظاهرة ولفت الانتباه إلى التجارة غير الإنسانية.

نعم هذا غيض من فيض النداءات والأعمال التي تجري على الساحة الغربية لوقف التدهور الخلقي، والعالم الإسلامي ليس ببعيد عنها فهو يعقد أيضاً مؤتمرات وندوات ويسن تشريعات لبحث ترسيخ القيم والأخلاق، وللحد من ظاهرة الجريمة والانحراف.

إن الفرصة اليوم جد مناسبة لاستثمار الواقع العالمي المتردي لنشر قيم الإسلام ودعوته السمحة، وبخاصة وان هناك سبباً واحداً وبسيطاً يدفعنا لذلك وهو ان الانسان غائب عن ثوابت الحضارة الغربية، وان مطالبه من خلالها لا تتعدى المطالب المادية والانهماك في الإشباع المادي والحسي، بينما الإنسان في المفهوم الإسلامي يعد الأساس والركيزة ومنطلق التغيير.

إن نظرة واحدة على القيم المشتركة التي تطرح من خلال الندوات والمؤتمرات العالمية التي ترعاها الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الانسان تجعلنا ندرك من خلالها أن جُلّ هذه القيم هي من صلب ديننا الإسلامي الحنيف مثل: احترام كرامة الإنسان، احترام الإنسان مع الاعتراف بحق الخصوصية والاختلاف، الدفاع عن الأخلاق واحترام الأديان، محاربة الفقر والجوع وتقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء، منع الظلم والقهر وانتهاكات حقوق الإنسان ،الحق في الدفاع الشرعي ضد الظلم والقهر والاحتلال، حق تقرير المصير والحق في الحريات العامة، الاهتمام بدور الشباب والمرأة في المجتمع مع احترام الأسرة.

تُرى هل هناك مبدأ من المبادىء السابقة الذكر غير منصوص عليه في ديننا الإسلامي الحنيف؟

الجواب طبعاً لا .. لكن القضية تكمن في كيفية عرض هذه المبادىء من جانبنا، وفي كيفية مد جسور التواصل والتعاون مع الآخرين والتعامل مع الرأي الآخر، فالإسلام دين الوسطية لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا تشدد، ولا تهاون فيه ولا تساهل في الأصول والثوابت، فالإسلام بنزاهته وأخلاقه وبساطته وقوته الذاتية قادر على إثبات صلاحيته لكل شعوب العالم، وقادر على الوقوف في وجه كل الايديولوجيات وكشف ما فيها من خروق وهزيمة وانهزام لجوهر الانسان ■.

الوكيل الزير يستقبل وكيلي وزارة الشؤون الدينية بأندونيسيا وبروناي

إعداد: أحمد فرغلي
قسم العلاقات العامة والإعلام



● الوكيل خالد الزير والوكيل المساعد ناصر المطيري في استقبال وكيلي وزارة الشؤون الدينية بأندونيسيا وبروناي

استقبل وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير في مكتبه وفداً إسلامياً رفيع المستوى من كل من جمهورية أندونيسيا وسلطنة بروناي.

وضم الوفد كلًّا من:

- الأستاذ الدكتور/ خاطب قزوين وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية الأندونيسية وبامبانغ برامورو الوكيل المساعد بها.

كما استقبل الحاج سامان بن قاهار وكيل وزارة الشؤون الدينية في سلطنة بروناي (دار السلام).

وحضر المقابلة السيد/ بدر ناصر المطيري الوكيل المساعد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والسيد/ ياتي بخيت البخيت مراقب العلاقات العامة في الوزارة.

وفي اللقاء تمت مناقشة أوجه التعاون بين جمهورية أندونسيا وسلطنة بروناي وبين دولة الكويت في المجالات الإسلامية.

وأثنى وكيلا وزارتي الأوقاف الأندونيسي وبروناي على الدور الإسلامي الرائد الذي تقوم به دولة الكويت تجاه الدول الإسلامية الأخرى وخصوصاً في المجالات الإسلامية والإنسانية.

أشاد بدور دولة الكويت تجاه القضايا الإسلامية
وفد من الجالية البنغالية يزور الوكيل القناعي



● وفد من الجالية البنغلاديشية يقدم درعا تذكاريا للوكيل المساعد لشؤون الثقافة الاسلامية عبد العزيز القناعي

استقبل وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية عبدالعزيز بدر القناعي وفداً من الجالية البنغالية المقيمة في الكويت وقدم الوفد درعاً تذكارية للوكيل تقديراً على ما تقوم به الوزارة من خدمات تجاه الجاليات الإسلامية وبخاصة الجالية البنغالية في الكويت، كما أثنى الوفد على الدور الإسلامي البارز الذي تقوم به حكومة دولة الكويت تجاه القضايا الإسلامية مثمناً دور وزارة الأوقاف في هذا المجال تجاه الشعوب الإسلامية بوجه عام والشعب البنغالي بوجه خاص.

وأضاف أن الشعب البنغالي يكن لدولة الكويت حكومة وشعباً كل حب وتقدير.

وقال الوكيل القناعي إنني أشكر الجالية البنغالية على الهدية التذكارية التي تعبر عن عمق الصداقة والروابط القوية بين الشعبين الصديقين.

وأضاف: إن ما تقوم به دولة الكويت تجاه الشعب البنغالي والجالية البنغالية ما هو إلا تجسيد لروابط هذه الأخوة.، وكانت الجالية البنغالية قد أقامت حفلاً تم فيه توزيع الجوائز على المتفوقين في مسابقة الحديث النبوي الشريف.

وقد حضر الاحتفال إبراهيم العبيدلي رئيس قسم النشر والتوزيع في إدارة الثقافة الإسلامية وصالح الحيص رئيس قسم الجاليات والمهتدين الجدد في الوزارة.

نتائج السحب على المسابقة الثقافية الثانية لعام ١٩٩٦م

بحضور مدير العلاقات العامة محمد يوسف الأنصاري ومدير الشؤون الإدارية بالوزارة جاسم الفرحان وعدد من مندوبي الإدارات تم السحب على المسابقة الثقافية الثانية لعام ١٩٩٦م والتي أقامتها العلاقات العامة في الوزارة حيث تضمنت أسئلتها العديد من



● نتائج السحب على المسابقة الثقافية الثانية بالوزارة

الأسئلة الثقافية الدينية.
وأسفرت نتيجة السحب عن فوز الأسماء التالية بجوائز قيمة ومتعددة وهم:
محمد سالم أحمد الرمضان ـ مشعل سعود جابر الظفيري ـ بدر أحمد الجوهر ـ مولانتا كام علي كويا ـ إبراهيم أحمد عبدالله الصالح ـ جمال صديق التونسي ـ أحمد سيف العازمي ـ زكريا أحمد محمد البكري ـ عبدالله حامد عبدالله الصالح ـ مصطفى عبدالقادر أحمد مكرم ـ قسمه محمد علي ـ عادل عبدالرحيم مطاوع ـ محمد عبدالمالك يعقوب ـ عبدالجليل محمد أحمد منصور ـ السيد أحمد عبدالعال ـ فقير أحمد نور أحمد ـ محمد سعود عبيد عبدالله ـ عادل محفوظ أحمد حسن ـ استقلال محسن العتيبي..

الأوقاف تعلن أسماء الفائزين في مسابقة المولد النبوي الشريف

تحت رعاية وكيل وزارة الأوقاف المساعد للثقافة الإسلامية عبدالعزيز البدر القناعي، تم السحب على مسابقة المولد النبوي الشريف للعام الحالي ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م والتي أقامتها إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة أخيراً بمناسبة المولد النبوي الشريف. وحضر السحب كل من إبراهيم العبيدلي رئيس قسم النشر والتوزيع في الوزارة وعدد من موظفي الوزارة.

وبلغ عدد المشاركين في المسابقة ٥٥٨ مشاركاً.

وبلغت الإجابات الصحيحة ١٦ إجابة.

واستبعدت ٤٢ إجابة غير صحيحة عن السحب.

وأسفرت عملية السحب عن فوز عشرة مشاركين حيث فاز كل واحد منهم بجائزة مالية قدرها ٣٠ ديناراً، وإليكم أسماء الفائزين:

١ ـ دلال راشد سالم الحمدان.
٢ ـ عالية المراغي.
٣ ـ بدرية عبدالله الماجد.
٤ ـ سالم ناصر إبراهيم الصولة.
٥ ـ عائدة محمد جودت صبح
٦ ـ فاطمة حسين الباهي.
٧ ـ سميرة جعفر الحيدري.
٨ ـ سهيلة عيسى على الحمر.
٩ ـ نواف جابر ضويحي فرحان
١٠ ـ وجيه صبري حسين.

ويمكن للفائزين تسلم جوائزهم من قسم النشر والتوزيع في إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف في أوقات الدوام الرسمي.

استطلاع

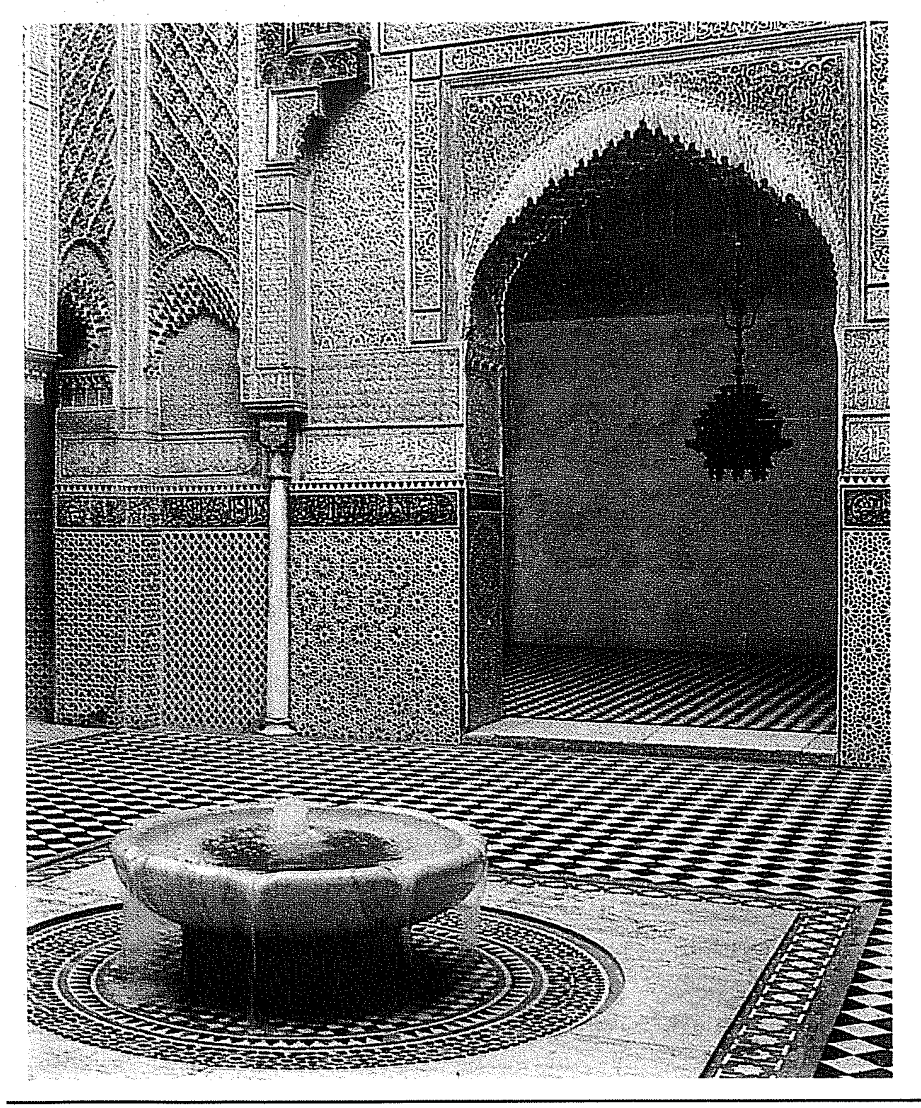
خصائص ومميزات العمارة المساجدية بالمغرب

إن المتأمل في هيئات المساجد وأشكالها وبيوت صلاتها لا يملك إلاّ أن يشعر بقدسيتها في النفس ذلك شعور ديني عميق، فكما أن المؤمن يزداد إيمانه عمقا إذا تنبه إلى ما في آيات القرآن من جمال بديع، فكذلك المصلي إذا أحس بجمال المسجد الذي يصلي فيه، كان ذلك أدعى إلى استغراقه في العبادة، وحب المساجد، والميل إلى زيارتها.

بقلم: سمير البوزيدي

وهذا لا يتعارض مع ما كان عليه السلف الصالح من القول إن زخرفة المساجد مخالفة للسنة، وأن ما في المساجد من نقوش تشغل المصلي عن صلاته وعبادته وخشوعه، لأن المقصود هنا ليس الإسراف في الزخرفة والزينة، فإن ذلك يتنافى مع ما ينبغي للمساجد من وقار، وإنما المقصود هو الفخامة والجلال والرواء دون إسراف في زينة. فإن فخامة المساجد، واتساع مساحاتها واستعمال المواد الرفيعة كالرخام والمرمر والقاشاني يعلي — في بنائها — من هيبتها، ويزيد من شعور المصلي بجلال المسجد وحرمته.

هكذا إذن فالمسجد يعتبر — ليس فقط — مكاناً مقدساً للعبادة وإنما — أيضا — مكان تستعرض فيه مدارس الهندسة المعمارية





● مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء

وحرف الصناعة التقليدية طاقاتها و إبداعاتها، وتجتمع فيه كل أشكال ونماذج الفن الإسلامي.

فبفضل المساجد عرفت الهندسة المعمارية الإسلامية والفنون تطوراً كبيراً عبر التاريخ العربي والإسلامي.

ولقد أنفق علماء الآثار المتخصصون في العمارة الاسلامية جهوداً كبيرة في دراسة أسسها المعمارية، والحلول الهندسية التي ابتكرها المعماريون المسلمون للمشاكل الفنية التي صادفتهم، واجتهدوا في تصنيف ما درسوا من الآثار في طُرز ومدارس لكل منها خصائص وصفات محددة فهناك الطراز العباسي، والطراز الأموي، والطراز المصري، والطراز التركي السلجوقي، والطراز الإيراني الصفوي، والطراز التركي العثماني.

فإذا أردنا ترتيب هذه الطُرز بحسب قِدَمِها التاريخي نجد أن الطراز المغربي هو أقدمها، لأنه نشأ عند بناء أول مسجد وهو جامع عقبة في القيروان، الذي بُنِيَ بين سنتي ٥٠ و٥٥ هـ/ ٦٧٠ ــ ٦٧٥م، ثم تم تجديده في نهاية عصر الولاة في أواخر القرن الهجري الثاني/ الثامن الميلادي. وهناك من يشكك في ذلك، فيقول: بأن جامع عمرو بن العاص أقدم وبالفعل هو أقدم لكنه لا يعد ميلاداً للطراز المصري.

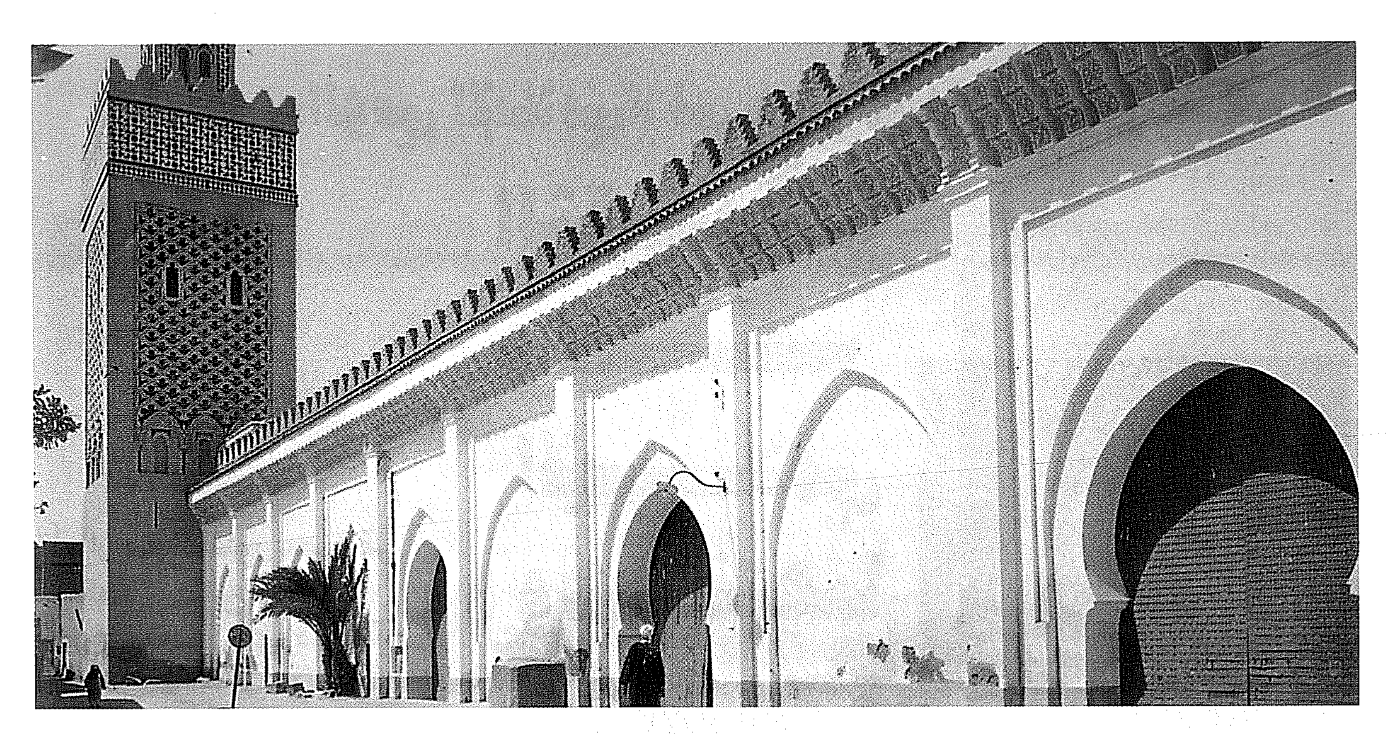
والرأي السائد هو أن ميلاد العمارة المساجدية المصرية ولدت مع بناء جامع أحمد ابن طولون في منتصف القرن الهجري الثالث/ التاسع الميلادي، أما جامع القيروان فيحدد ميلاد الطراز المغربي الذي اتجه بعد ذلك في نفس الخط.

وعلى أساس القِدَم يوجد الطراز الأندلسي تالياً للمغربي، لأنه ولد عند بناء القسم الأول من مسجد قرطبة الجامع على يد عبدالرحمن الداخل سنة ١٧٠هـ، وقد استمر تطور العمارة الأندلسية في نفس الإتجاه بعد ذلك.

ويرى بعض العلماء أن الطرازين المغربي والأندلسي طراز واحد، ويرون كذلك أنهما يتشابهان في الملامح والتطور التاريخي، وهذا غير صحيح فقد ولد كل منهما مستقلا عن الآخر، وكانت لكل منهما خصائصه المميزة وتطوره التاريخي الخاص به. حقيقة أنهما التقيا في أواخر عصر الطوائف قرب نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولكن ذلك الالتقاء لم يُوحِّد بينهما توحيداً تاماً بل ظل كل منهما مستقلا في نطاقه متطوراً في ميدانه.

وتتميز مساجد الطراز المغربي بالتركيز على بيت الصلاة والاهتمام بتعميق جوفه حتى يصبح مربعاً أو قريباً من المربع، كما يهتم بالرواق الأوسط المؤدي إلى المحراب وجعله أوسع وأعلى سقفا من الأروقة الأخرى. ومن مظاهر الاهتمام بذلك الرواق الأوسط والتأنق في مدخله من ناحية الصحن فيبدو هذا المدخل وكأنه مدخل رئيسي للجامع.

ويكتفي الطراز المغربي في المجنبات برواقين أو ثلاثة فيتسع نتيجة لذلك الصحن ويزداد رونقه بهاءً، لأن بوائق بيت الصلاة والمجنبات تطل عليه في تسلسل متشابه يزيد الشعور بالسعة والعمق، كما يكتفي الطراز المغربي بقبة صغيرة أو قبتين، وتكون القباب دائما فوق الرواق الأوسط، كما أن جدار القبلة يغطى إلى ارتفاع نحو مترين بمربعات من الخزف الملون المعروف بالزليج، ويترك



بقية الجدار بياضاً وقد زُيّن بزخارف جصية، أما المحراب فيكون مجوفاً بسيطاً وهو في الغالب من الرخام، وقد يحاط بإطار زخرفي خشبي أو من الزليج يصل إلى السقف أحياناً في هيئة بديعة.

كما يتميز الطراز المغربي بخاصية مئذنته التي تسمى الصومعة أو المنارة، فهي دائما في هيئة برج يتألف من بدن مربع مرتفع سميك الجدران، وتبنى الصومعة في الغالب في الجدار المقابل لجدار القبلة أو خارجه، ويكون لها مدخل من خارج المسجد إلى جانب بابها من الصحن. كما تمتاز مساجد الطراز المغربي بمنابرها البديعة التي تعد أعمالا فنية رائعة من الحفر والزخرفة على الخشب وببواباتها ذات الفخامة التي تلفت النظر.

وقد يتساءل البعض عن السبب في احتفاظ الطراز المغربي بشخصيته وتطوره داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى. والجواب هو أن المغرب لم يتعرض منذ دخول الإسلام لأي تيار ثقافي خارجي. فبينما تعرضت بلاد الشرق الإسلامي للتيارات البيزنطية والمغولية والتركية والصليبية، فكان لذلك أثره في تغير أشكال طُرزه، وظل المغرب بعيدا عن هذه التيارات، مما أتاح للمعماريين وأهل الفن الفرصة للتطور بفنونهم على نفس الأصول وفي نفس الخطوط.

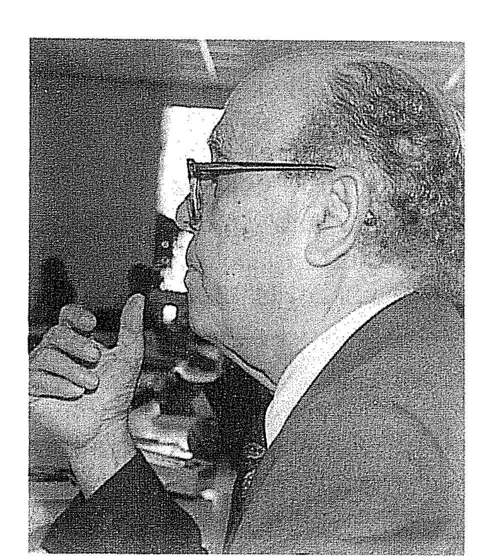
ومن أهم نماذج الطراز المغربي مسجد الكتبية بمراكش الذي بناه عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين سنة ٤٥٨هـ / ١١٥٣م، ومسجد حسان بالرباط الذي بناه يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م.

ولا يزال الطراز المغربي محافظا على خصائصه ومميزاته وعلى أساسه أنشىء أخيرا مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، الذي يعد معلمة معمارية فريدة من نوعها حيث أنه مشيد فوق مياه البحر مباشرة، إشارة وتجسيداً للآية القرآنية الكريمة: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود/٧]، كما يعكس مهارة الصانع التقليدي المغربي التي تجلت مهارته في عملية تزيين هذه المعلمة، وتفرُّدها وغناها، وأبعادها وكتاباتها الهندسية المعمارية العربية الإسلامية، وكذا أصالة التراث المغربي■

حوار

«الوعي الإسلامي» في حوار مع د. مصطفى الشكعة

الثقافة والفكر الإسلامي وعلاقتهما بالحضارة الغربية



الحوار مع الدكتور مصطفى الشكعة له طابع خاص، فالرجل يحمل خبرة سبعة وسبعين عاما، قضى منها أكثر من نصف قرن في مجال الفكر والدعوة الإسلامية، كما أن للدكتور الشكعة اتصالا وثيقا بالحضارة الغربية التي يجيد لغتها ويعرف مداخل محاورتها..

(الوعي الاسلامي) التقت المفكر الكبير وتحدثت معه حول قضايا الفكر والثقافة الاسلامية وعلاقتها بالحضارة الغربية، في ظل التحديات التي يواجهها عالمنا الإسلامي اليوم.. وفيما يلي الحوار:

حاوره: أيمن محمد أبوزيد

● الدكتور مصطفى الشكعة.. حوارنا يبدأ بقضية فرضت نفسها على الساحة أخيرا، وهي الضجة التي أثيرت حول اسلام المفكر الفرنسي روجيه جارودي.. ما رؤيتكم لهذه القضية، وكيف يكون حكمنا على من يعتنق الاسلام من الغرب؟

■ أولا فيما يتعلق ب «جارودي»، فقد أعلن هذا الرجل إسلامه قبل أربعة عشر عاما وسمى نفسه (رجاء) عام ١٤٠٢هـ، ثم سمعناه يعلن قبل أشهر قليلة مرة أخرى أنه قد انتقل إلى الاسلام دون أن يتخلى عن اعتقاداته الخاصة وقناعاته الفكرية، ويقول ان انتقاله إلى الإسلام لا يعتبر انقطاعا عن ماض بل هو تواصل لذلك الماضي الطويل الذي عاش فيه تجارب كثيرة، وأن الدين الذي هو عليه اليوم توفيق بين الاسلام وما سبقه من ديانات، وفي الحقيقة فقد التقيت الرجل قبل عشر سنوات وأستطيع أن أقول، إن هذا الرجل قد أسلم (إسلاما أوروبيا) - إن صح التعبير - فهو قد اختار من الاسلام ما أعجبه وترك ما لم يعجبه، فهو لا يصلي ولا يصوم ولا يؤمن بالغيبيات كالملائكة والجن وعذاب القبر والجنة والنار، وجارودي لايزال ماركسيا يمجد أفكار كارل ماركس حتى هذه اللحظة، وأرى أن إسلامه إسلام من نوع خاص لأنه أسلم وهو كبير السن، وقد عاش في جاهلية دينية لمدة سبعين عاما، والعقيدة ليست مجرد ثقافة دينية في كتب وإنما هي واقع معاش منذ النشأة تكبر مع المسلم كلما تقدم به العمر، فهناك بالضرورة جوانب ناقصة في فكره، تنتج عن الاختلافات بين رجل ولد مسلما ورجل أسلم بعد تقدم السنين به، ولهذا حينما تحول جارودي للإسلام لا

> التقييم الفكري لمسلمي الغرب الجدد ضروري وموقفنا الدفاعي الجامد سبب التسلط الغربي علينا

يجب أن نتوقع منه أن يكون صورة مرضية متكاملة للمسلم، لأنه لا يستطيع أن يسقط من فكره أربعين عاما عاشها في عداء ماركسي للاسلام، ولهذا فهو في حالة تأرجح بين هذا الجانب حينا وبين الجانب الآخر حينا آخر، وهو مسؤول عن ذلك ليس أمامنا، إنما أمام الله تعالى، ويجب أن نستحضر هذه الحقائق في أذهاننا عند قراءة فكر جارودي حتى لا نفجع فيما نقرؤه، أما حكمنا على من يعتنق الاسلام من أهل الغرب، فإننا يجب قبل أن نحتفي به احتفاء الفاتحين ونرفعه فوق الأكتاف ونعقد له الحوارات والندوات، ونتصور أن وضعه الفكري سيكون هو الحجة التي نأخذ منها مبرر وجودنا، لابد وأن نفكر كيف يرى هذا الرجل الاسلام، وهل أسلم عن قناعة حقيقية وآمن إيمانا كاملا بكل عقيدتنا، أم أن إسلامه ناقص ويحمل مفاهيم خاطئة عن الإسلام، كما يجب أن نفكر كيف نحسن توظيف طاقاته الفكرية وعقله للدفاع عن الإسلام في بلاده، التي يجيد التعامل مع لغتها ويعرف مداخل عقول أبنائها وكيفية التحاور معها.

التفكير قبل الاحتفاء

● كيف تبررون هذا الاحتفاء الغريب والتهليل في العالم الاسلامي لكل من يعتنق الإسلام من أهل الغرب مفكرا كان أو كاتبا أو حتى ممن ليست لهم صلة في هذه الجوانب؟

■ إننا في الحقيقة نحتفي فقط بالشخص المرموق بين أهل مجتمعه، لأن في اعتناق أمثال هؤلاء لديننا دلالة واضحة على أن الإسلام دين يسعى إليه الصفوة من الناس، وهناك أمثلة واضحة على هؤلاء منهم ـ على سبيل المثال ـ الدكتور مراد هوفمان السفير الألماني في المغرب فأنا أراه رجلا مسلما حقا فهو متزوج من تركية مسلمة ويعيش الاسلام في منزله وفي حياته كلها، وإن كان ذلك لا يمنعني من التأكيد على أن نفكر أولا فيمن يعلن إسلامه قبل الاحتفاء به.

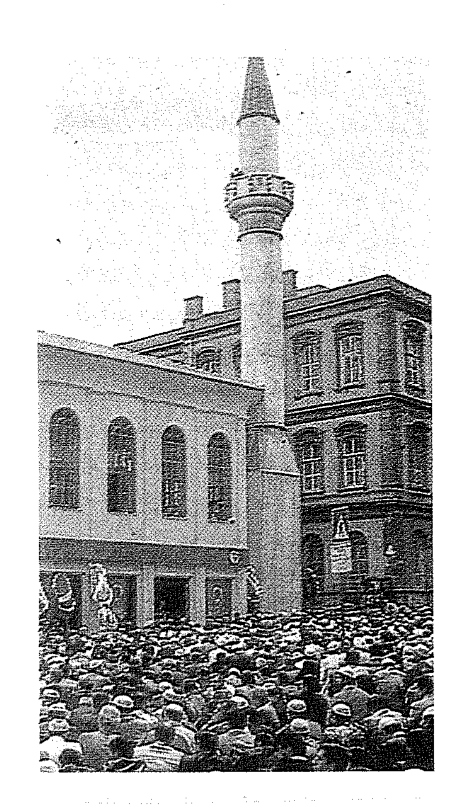
● وبالنسبة إلى علاقتنا بالغرب.. كيف ترون هذه العلاقة؟ ولماذا نقف في علاقتنا بهؤلاء موقف الفكر الدفاعي دائما؟

■ إنني أفسر العلاقة اليوم بين الأمة الاسلامية والغرب، مثل علاقة الضعيف بالقوى، أقول هذا، لأنه على الرغم من أن المسلمين أقوياء بعقيدتهم وبنيتهم المتماسكة مصداقا لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وهكذا هو كلام الله تعالى وتعاليم نبيه ﷺ، إلا أن ضعفنا جاء بعدما هدم المسلمون هذه الأخوة وقلبوها في علاقتهم إلى عداء، فكان من الطبيعي أن يضعفوا وينهزموا أمام الأمم الأخرى.. أما وقوف الفكر الإسلامي موقف الفكر الدفاعي في علاقته بالفكر الغربي، فلأن هذه هي طبيعة الضعيف، فهو مدافع دائما، ولهذا يجب على المسلمين أن يعيدوا سبك أنفسهم ومجتمعاتهم الإسلامية وفق فريضتين أساسيتين هما الاخوة الإسلامية وطلب العلم، ولو صارتا حقيقة واقعة، لصار المسلمون أقوياء، ولم يكونوا وقتها في موقف دفاع وإنما يكون غيرهم في موقف الدفاع الأدبي، وليس الدفاع الجسدي بالطبع لأننا لم نكن يوماً معتدين وماعرف عن الإسلام انه اعتدى على غيره مطلقا.

صراع الحضارة

● في علاقة الحضارات المختلفة يتحدث البعض عن ضرورة حدوث تصادم ثم صراع بين هذه الحضارات.. كيف ترون هذا الرأي، وإن كان هذا الصراع سيحدث فهل هو صراع دائم أم سيعقبه اتفاق؟

■ الحضارة بمعناها الرفيع الراقي هي ملك للإنسانية جمعاء، والمعرفة كذلك، ولهذا فإن الحصول على المعرفة واقتنائها والبحث عنها والسفر إليها هو أمر مطلوب من كل الحضارات، وأنا كمسلم أتحدث بلغة المسلمين كرجل ممن يندرجون تحت راية طالبي العلم والمعرفة، أقول اننا كمسلمين لا نصارع أحدا من جانبنا، نحن نبحث عن أي علم نافع أو معرفة مفيدة من أي جهة تصدر عنها، مهما كانت طبيعة أصحابها وعقيدتهم وحضارتهم، يقول في ذلك الإمام ابن رشد ـ الذي أهدر بعضنا قيمته العلمية والدينية ـ نحن نقرأ ما يكتبه الآخرون فإن اتفق مع ديننا وعقائدنا وعاداتنا وآدابنا أخذناه وشكرناهم، وإن اصطدم مع ذاتيتنا الدينية والحضارية انصرفنا عنه وشكرناهم، ولهذا أقول إن الحضارات لا ينبغي أن تتصادم بأي حال، بشرط أن تكون هذه الحضارات لمنفعة البشرية والعقل الإنساني، وليس للتشكيك فيه أو هدم المعتقدات الدينية السليمة، فأنا ضد صراع الحضارات الإنسانية الذي يتحدث البعض عنه وأؤيد اتفاق هذه الحضارات وتفاعلها شريطة أن يكون الهدف الأسمى لهذا التفاعل خدمة الانسانية وليس هدم العقائد السماوية أو تغيير فطرة الخالق.



جارودي لا يزال ماركسيا وترجمة معاني القرآن البعيدة عن الحقيقة قادها المستشرقون لأغراض دنيئة

ترجمات معاني القرآن

● مادمتم تتحدثون عن ضرورة التقاء الحضارات المختلفة، كيف ترون الترجمات التي ظهرت لمعاني القرآن الكريم من جانب بعض المستشرقين من أصحاب الحضارات الأخرى، باعتبار أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لحضارتنا الإسلامية، وهل يقصد هؤلاء تشويه حضارتنا عن طريق ترجمة معاني الكتاب الكريم؟

■ ترجمة معاني القرآن الكريم بدأت منذ قرون عديدة، وطالما كانت الترجمة تتم للمعاني، فليس هناك ما يمنع ذلك، لكن المشكلة أن كثيرا من المستشرقين يكتبون ترجمة القرآن الكريم إلى لغاتهم، وليست ترجمة معانيه، وكثير من هذه الترجمات مشوهة ومليئة بالأخطاء، والقرآن الكريم لا يترجم إلى لغة أجنبية وإنما معانيه هي التي تترجم، لأن أحد أوجه اعجازه تقع في أسلوبه، فحين أترجم القرآن نفسه إلى لغة أخرى فقد حجبت الوجه البلاغي الإعجازي له، كما أن الترجمة الحرفية مهما بلغت حدا من الإجادة فإنها لا تكون قريبة من روح الأصل، ومن كتبوا على ترجماتهم لفظ (القرآن الكريم) هؤلاء ينبغي ألا ننظر إلى ماكتبوا إلا على سبيل النقد، فترجمة القرآن إلى أي لغة أخرى أمر مرفوض، ومحاط بالمحاذير الكثيرة، أما ترجمة المعاني فإن ذلك أيضا له شروط بحيث يجب لمن يتصدى لهذه المهمة أن يكون مجيدا للعربية إجادة تامة، وأن يكون في نفس الوقت مجيدا للغة التي يترجم إليها هذه المعاني، وهذا مالم يتوفر حتى الآن إلا في القليل من ترجمات معاني القرآن التي ظهرت بشكل كلي، فبجانب الأخطاء الكثيرة والتي يمكن ألا تؤدي المعنى المقصود من الآيات بدقة، أقول ان بعض من يتصدون لهذه الترجمة في نفوسهم غرض معين فيعمدون إلى التشويه المقصود لهذه المعاني، كما أنهم يترجمون القرآن على أنه كتاب من صنع محمد، وليس كتابا منزلا، ومن خلال تجاربي الشخصية مع هذه الترجمات أقول إن ترجمات المعاني التي يمكن الاحتفاء بها قليلة جدا ولا تتعدى أصابع اليد الواحدة، فلا تكاد تجد في الانجليزية إلا ترجمة رجل أسلم هو الدكتور مارمدوك بكتهول، أو الترجمة القديمة التي ترجمها عبدالله يوسف علي، وفي الفرنسية تجد ترجمة لمعاني القرآن قامت بها سيدة فرنسية أحبت الإسلام واعتنقته بعد أن عاشت في المغرب مدة أربعين عاماً. وهي السيدة ماسون التي توفيت قبل شهور قليلة، وأستطيع القول بأن هاتين الترجمتين لا يشوبهما الغرض اللئيم الذي أشرت إليه سابقا.

الاستعداد لقرن جديد

● ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، أليس من الضروري أن يستعد العالم الإسلامي لاستقبال هذا القرن الجديد، خصوصا مع ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، فكيف تكون الاستعدادات، وماموقعنا في ظل هذا النظام الجديد؟

■في تاريخنا الإسلامي، ليس لدينا قرن عشرين أو ثلاثين، لأن الحياة الإسلامية لا تحسب بالقرون وإنما هي حياة موصولة ممتدة تشتمل على ماض وحاضر ومستقبل، ولهذا يجب أن نسأل أنفسنا ماذا أعددنا للمستقبل،خصوصا مع ظهور تكتلات عالمية اقتصادية وسياسة لا أرى للمسلمين بينها أي موقع للأسف، فهي تشكل خطورة إذن على عالمنا الاسلامي، وأرى أن الاستعداد للمستقبل لا يكون إلا بطريقين أساسيين هما للعلم والعمل، وهما من الفرائض التي أمرنا بها إسلامنا، فحقيقة هذه الاستعدادات لابد وأن تنبع من ديننا، وتجربتنا السابقة فحين تمسكنا بهذا الدين ونفذ المسلمون تعاليمه، شهدت على تفوقنا الأمم الأخرى، فعودتنا إلى ديننا هي أساس هذه الاستعدادات لتحديد موقعنا في المستقبل.

الحضارات يجب أن تتوافق لخدمة الإنسانية وتاريخنا يسأل - ماذا أعددنا للمستقبل؟

مستقبل البعث الإسلامي

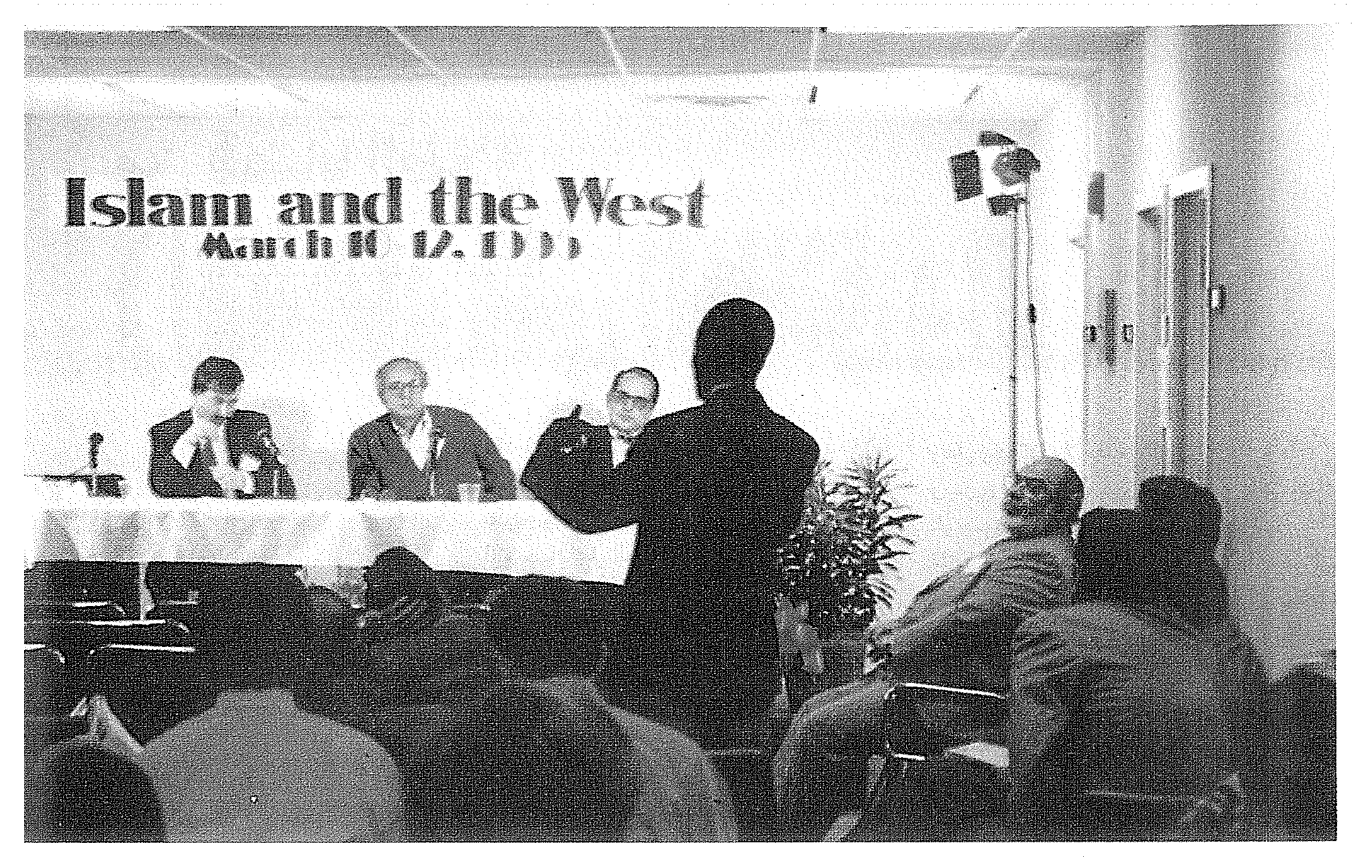
● هل يمكن أن نعتبر البعث الإسلامي هو أحد محددات هذا المستقبل؟

■ الذين يتحدثون عن الصحوة أو البعث الإسلامي، لا أهتم بمصطلحاتهم ولا بالجدل المستمر حول هذه المصطلحات، ولكن أهتم بالواقع الذي يحدث بالفعل في مجتمعاتنا الاسلامية، هناك فعلا مد إسلامي قائم بدليل العدد الكبير من العقول التي تدخل الإسلام من أهل الغرب، وهذا العدد في زيادة مستمرة، لقد كان المسلمون في الولايات المتحدة مثلا قبل خمسة وعشرين عاما أقل من مليون مسلم، والآن وصل عددهم إلى اثنى عشر مليونا، ولو ألقيت نظرة داخل المجتمعات الاسلامية، تجد تزايدا مستمرا في نسبة المحتشمات وحينما أقول ذلك أعنى المحجبات لأن الحجاب احتشام، في المجتمع المصري على سبيل المثال وقبل ثلاثين عاما لم تكن تزيد نسبتهن عن ٥٪ والآن وصلت إلى ٨٠٪ على الأقل، ورغم الجدل حول طبيعة الحجاب الذي ترتديه المرأة، إلا أنني أعتبر التفكير في ارتدائه دليلا على نجاح هذا المد الإسلامي، وإن كنت أريد وأتمنى أن يستمر هذا المد الإسلامي لأنه أحد الجوانب المشرفة في رسم صورة المستقبل، إلا أنني أتخوف من الهجمة الشرسة التي تحارب بها هذه الصحوة داخل مجتماعاتنا الإسلامية بمحاولة تشويه أفكارها وعرضها بصورة تثير البلبلة في العقول، ورغم ذلك فالإسلام يأخذ طريقه إلى الأمام.

أزمة العقل المسلم

● دكتور الشكعة.. تحدث كثيرون عن أزمة العقل المسلم، فهل يعاني العقل المسلم اليوم أزمة حقا؟

■لا يجتمع إسلام وأزمة، ولا ينفصل إسلام عن عقل، فالإسلام دين العقل والتذكر والتبصر، ومادة «يعقلون» و«أولي الألباب» في آيات القرآن الكريم أكبر من أن تحصى، فكيف يكون هناك أزمة عقل مسلم، هناك أزمة العقل المريض الذي يلصق بالإسلام الأزمات، وفي الحقيقة أن أعداء الإسلام يختلقون التعبيرات والمفاهيم



الخاطئة عن الإسلام ويطعنونه بها، وهدفهم الأساسي من ذلك هو بلبلة عقول المسلمين لتنصرف عن الاهتمام بواقعها والتفكير في مستقبلها، ويؤسفني القول أنهم قد نجحوا فيتحقيق هدفهم إلى حد كبير، فهناك كثير من المسلمين لا يعلمون شيئا عن دينهم ولا عن مشاكل مجتمعاتهم الاسلامية، فكيف نطلب منهم أن يعملوا بعقولهم للعمل على حلها، إن الأزمة الحقيقية هي محاولة تغييب العقل المسلم ومحو طاقاته الفكرية والإبداعية وهي أزمة خطيرة بكل المقاييس.

● وكيف نعود إذن بهذه العقول إلى الإطار الصحيح مرة أخرى؟

■ إن ذلك يحتاج إلى تكاتف كل المؤسسات الاسلامية داخل مجتمعاتنا المسلمة، بحيث تبين روح الإسلام الحقيقية لكل من يشوب عقله أي نقص في جانب من جوانب الاسلام، حتى تشارك هذه الأعداد الكبيرة من العقول المسلمة في تحمل مسؤولياتها لخدمة دينها ومجتمعاتها، وهذا يتطلب خطة متكاملة للنهوض بالعمل الإسلامي داخل هذه المجتمعات، وقد نفلح في ذلك إذا صدقت النيات.

واقع الدعوة اليوم

● كيف ترون حال الدعوة الإسلامية؟

■ الدعوة الاسلامية اليوم ينقصها الكثير، سواء على مستوى الدعاة أو على مستوى المجتمعات الاسلامية ذاتها، فبعض الدعاة لا يقدرون المسؤولية الملقاة على عاتقهم في القيام بأخطر دور وهو ربط الناس بدينهم، فتجد بعضهم يغرق في معالجة المسائل الدينية وبيانها للناس، وهذا شيء حسن، ولكنه في نفس الوقت يبتعد تماما عن معالجة مشكلات واقعة وينفصل عنها، مع أن الناس في حاجة إلى الاهتمام بالناحيتين بنفس المستوى، وهنا قد تتغير نظرة المسلم للداعية وربما تتغير نظرته إلى دينه، الذي لم يطرح أمامه حلولا لمشاكله الواقعية التي يعاني منها، أما على مستوى المجتمعات الإسلامية، فأقول إن الإسلام في كثير من هذه المجتمعات - وللأسف الشديد - يساء الظن به، فتحاك ضده المؤامرات لمحاولة إجهاضه بوسائل شتى معلنة أحيانا ومخفية أحيانا أخرى، فالدعوة الإسلامية تحتاج إلى العافية، وأثق في أن المسلمين قادرون في يوم آت على أن يجعلوا دعوتهم تسير في الطريق الصحيح الذي ستصنع منه الخير الكثير.

> أسلوب الدعوة يحتاج إلى تطوير والإسلام لا يتفق مع الأزمات ودعاتنا قادرون على ذلك

منابع ثقافة المسلم

● ما المنابع الصحيحة التي يستمد منها المسلم ثقافته؟

■ أساس ثقافة المسلم هو القرآن الكريم لأنه دستور حياته والمرجع الأساسي لمنهجه في كل الأمور، ثم تأتي السنة النبوية الشريفة، فهي تفصيل لمنهج القرآن وتعاليمه، ولا يمكن أن يستغني المسلم عنها أيضا، ثم تأتي الكتب الإسلامية الصحيحة التي يكتبها علماء ثقات لا تشوب أنفسهم الأغراض اللئيمة، والتي تضيف للمسلم جوانب جديدة أمامه قد يجهلها عن دينه، ثم يأخذ المسلم ثقافته أيضا من كل صاحب معرفة سليمة غير مجروحة أو مشوهة من العلماء، وذلك بالالتقاء بهم والاستماع إليهم، لأن المنطلقات الإسلامية لهؤلاء العلماء تمنع عن المسلم أي انحراف عقلي أو فكري أو سلوكي يهدده في أعز مايملكه وهي عقيدته ■

شريعة

من قضايا الطلاق

(الإشهاد على الطلاق والرجعة)

إن الشهادة في عقد النكاح شرط صحة لهذا العقد لدى جمهور الفقهاء، فهل الإشهاد على الطلاق وكذلك على الرجعة يأخذ حكم الشهادة في ذلك العقد؟.
لقد اختلفت آراء الفقهاء في هذا، ومرد اختلافهم يرجع إلى مدلول الأمر في قول الله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾ (الطلاق/٢).

أ. د: محمد الدسوقي

فقد ذهب الجمهور إلى أن الأمر في هذه الآية للندب، لأنه لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من أصحابه أن الإشهاد على الطلاق أو على الرجعة شرط لصحة وقوع الطلاق، أو عودة المرأة إلى زوجها، ولا أن أحداً منهم توقف عن الطلاق أو عن الرجعة لاستحضار شاهدين مع كثرة ما روي عنهم في ذلك، ولو كان الإشهاد شرطاً لنقل إلينا، لأنه يتكرر وقوعه في كل زمان، وعلى هذا يكون الإشهاد مستحباً في الطلاق وفي الرجعة، خشية الجحود عند النزاع(١)!

قال صاحب مواهب الجليل: لا خلاف بين أهل العلم أن السنة في الرجعة الإشهاد، وأن أصل الأمر في قوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ للوجوب، غير أن مالكاً رحمه الله حمل الأمر هنا على الاستحباب، قال: لأن الرجعة لا تفتقر على قبول المرأة وعلى قبول وليها، فلم تفتقر على شهادة كسائر حقوق الزوج... ثم قال: وهو على الاستحباب عند أبي حنيفة، وهو اختيار أبي بكر من الروايتين عن أحمد بن حنبل؟(٢)

ويذهب بعض الصحابة والتابعين إلى أن الأمر بالإشهاد في الآية للوجوب، وأنه راجع إلى الطلاق والرجعة معا(٣)، روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال: «طلقتَ لغير سنة، وراجعتَ لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد»(٤).

ويرى الإمام ابن حزم أن الأمر بالإشهاد للوجوب، وهو راجع إلى الطلاق والرجعة، قال وهو يتحدث عن الرجعة، وأنها يجب أن تكون باللفظ أولاً: فإن وطئها لم يكن بذلك مراجعاً حتى يلفظ بالرجعة ويشهد ويعلمها بذلك قبل تمام عدتها، فإن راجع ولم يشهد فليس مراجعاً لقوله تعالى: ﴿فإذ بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ لم يفرق عز وجل بين المراجعة والطلاق والإشهاد، فلا يجوز إفراد بعض ذلك عن بعض، وكأن من طلق ولم يشهد ذوي عدل، أو راجع ولم يشهد ذوي عدل متحدياً لحدود الله تعالى (٥) ومن تعدى حدود الله فقد ظلم نفسه، وكان عمله مردوداً عليه، لأن كلا من الطلاق والرجعة تصرف من أحد طرفي عقد الزواج تتعلق به مصلحة لكل منهما، فكان لابد من الإشهاد حفظاً لحقوق الطرفين ومنعاً للإنكار عند الاختلاف(٦).

ويرى الإمامية أن الأمر بالإشهاد للوجوب(٧)، ولكنه راجع إلى الطلاق وحده، لأن السورة التي وردت فيها هذه الآية تتحدث عن أحكام الطلاق، ومن ثم سميت باسمه، وقد ذكر الرجعة استطراداً، فالأمر بالإشهاد وبعدها رجوع إلى ما سيق الكلام له وهو الطلاق، فإذا لم يشهد عليه كان غير مشروع فيكون باطلاً(٨).

وذهب الإمام الشافعي في مذهبه القديم الذي قال به في العراق قبل أن يرحل إلى مصر إلى أن الأمر للوجوب، ولا قرينة تصرفه عنه، وقد ورد عقب شيئين: الإمساك بمعروف، وهو المراجعة، والتسريح بإحسان وهو ترك المراجعة حتى تنتهي العدة، والأول إيجابي يمكن الإشهاد عليه، بخلاف الثاني، وعلى هذا يجب الإشهاد على الرجعة دون الطلاق وهو أحد قولين للإمام أحمد(٩).

ومجمل آراء الفقهاء في الإشهاد على الطلاق والرجعة أن الجمهور يرى أن الأمر في الآية

> الإشهاد على المراجعة فيه إشارة إلى تقدير المرأة واحترامها

الكريمة للاستحباب، على حين يرى غير الجمهور أن الأمر للوجوب ، بيد أن هؤلاء ينقسمون ثلاثة أقسام: قسم يذهب إلى أن الأمر يشمل الطلاق والرجعة معاً، وهو مروي عن بعض الصحابة والتابعين، وأخذ به الإمام ابن حزم، وقسم يرى أنه خاص بالطلاق وحده، وهو يعزى إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه، وقالت به الإمامية، والقسم الثالث يذهب إلى أن الأمر بالوجوب خاص بالرجعة دون الطلاق وهو قول للإمام الشافعي في مذهبه القديم، وأحد قولين للإمام أحمد بن حنبل. ويقرر فقيه معاصر أن الأمر للوجوب، وهو راجع إلى الطلاق وإلى الوجوب معاً، لأن الوجوب مدلول الأمر الحقيقي، ولا ينصرف إلى غير الوجوب إلا بقرينة، ولا قرينة هنا تصرفه عن الوجوب، بل القرائن هنا تؤيد حمله على الوجوب، لأن الطلاق عمل استثنائي يقوم به الرجل وحده، سواء وافقته المرأة أم لا، وتترتب عليه حقوق للرجل قِبَل المرأة. وحقوق للمرأة قِبَل الرجل كذلك ويخشى فيهما الإنكار من أحدهما، فإشهاد الشهود يرفع احتمال الجحد، ويثبت لكل منهما حقه قِبَل الآخر، فمن اشهد على طلاقه فقد أتى بالطلاق على الوجه المشروع المأمور به ومن أشهد على الرجعة فكذلك، ومن لم يفعل فقد تعدى حد الله الذي حده له، فوقع عمله باطلاً، لا يترتب عليه أي أثر من آثاره(١٠). والراجح من كل هذه الآراء أن الأمر بالإشهاد للوجوب، وأنه يشمل الطلاق والرجعة معاً(١١)، فبهذا تتحقق مصلحة، لا ريب فيها، وبدونه يمكن أن تقع أضرار ومفاسد يصعب تلافيها.

وإذا كان الراجح أن الأمر بالإشهاد للوجوب، وأنه يشمل الطلاق والرجعة معاً، فكيف يتم هذا الإشهاد، هل يكتفى فيه بشهادة النساء أو الرجال، أم لابد أن يجمع بين الرجال والنساء، وكم يكون نصاب الشهادة؟

إن ما ثبت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، لا مجال فيه للاجتهاد بالنسبة لجنس الشهود ونصاب الشهادة في الزنا أربعة رجال، وفي بقية الحدود والقصاص شاهدان من الرجال.

والنصاب فيما لا يطّلع عليه الرجال من عيوب النساء، امرأة واحدة أو أكثر، وفي الشهادة على الأموال كالبيع والوكالة والإجارة رجلان أو رجل وامرأتان أما الشهادة في الزواج والطلاق والقتل الذي لا قصاص فيه، فقد تحدد النصاب فيها باجتهاد الفقهاء، وقد اختلفت آراؤهم في هذا من حيث النصاب وجنس الشهود، فالأحناف يذهبون إلى أن النصاب رجلان، أو رجل وامرأتان، وخالفهم الشافعية إذ قالوا إن شهادة النساء لا تُقبل مع الرجال إلا في الأموال وتوابعها كالكفالة، لأن شهادة النساء قبلت في الأموال للضرورة، إحياء لحقوق العباد، وكثرة وقوعها، وقلة خطرها فلا يلحق بها ما هو أعظم خطراً وأقل وقوعاً كالنكاح والطلاق والرجعة، غير أن الأحناف ضموا الزواج والطلاق والرجعة إلى الأموال وتوابعها، وجعلوا النصاب فيها واحداً.

وفي الشهادة على الأمور التي لا يطلع عليها الرجال من عيوب النساء قال الأحناف: إنه يكفي فيها شهادة امرأة واحدة، وقال الشافعية: إن نصاب الشهادة أربع نساء، فكل امرأتين تقومان مقام رجل واحد، وقال المالكية: إن نصاب الشهادة امرأتان، وبنوا رأيهم هذا على أن المعتبر في باب الشهادة العدد والذكورة وقد تعذر اعتبار أحدهما، فبقى الآخر وهو العدد على حاله.

ومادامت القضية اجتهادية في الشهادة على الطلاق والرجعة فإنه يجوز أن يثبت الطلاق وكذلك الرجعة مهما يكن عدد الشهود وجنسهم، تيسيراً على الناس، ودفعاً للحرج الذي يقعون فيه، بل يقع فيه القضاء معهم أحياناً، وحتى لا ندفع الناس إلى الاستعانة بشهود الزور، كي لا تضيع حقوقهم، لعدم توافر النصاب، وفيما ورد عن بعض الفقهاء ما يرجح هذا(١٢).

وبعد فإن الطلاق أبغض الحلال عند الله، ومن ثم لا يجب اللجوء إليه إلا عند الضرورة، الضرورة التي تؤكد أن العلاقة بين الزوجين أصبحت أوهى من خيط العنكبوت، وأن كل محاولات الإصلاح بين الرجل والمرأة باءت بالفشل، وأن من الخير لهما أن يتفرقا ويغن الله كلاً من سعته ولهذا لا ينبغي أن نتلمس الأسباب لإيقاع الطلاق، وأن نسد كل ثغرة يمكن أن تكون سبيلاً للفرقة بين الزوجين، ومن هنا كان وجوب الإشهاد على الطلاق، ففيه إلى جانب حفظ الحقوق عند التنازع والجحد منح الزوج فرصة مراجعة النفس، قبل أن يلفظ بكلمة الطلاق، لتكون هذه الكلمة تعبيراً صادقاً صحيحاً عن رغبة الرجل في تسريح زوجته.

> الطلاق أبغض الحلال عند الله، ومن ثم لا يجب اللجوء إليه إلا عند الضرورة

وأما الإشهاد على المراجعة ففيه إشارة إلى تقدير المرأة واحترامها وأن الزوج نادم على ما كان منه، وفي هذا ما يثير في نفس الزوجة شعور الرضا بالحياة مع الزوج مرة ثانية ولعل هذا الشعور يعيد للعلاقة الزوجية معاني المودة والرحمة■

الهوامش:

١ ـ انظر الفرقة بين الزوجين للأستاذ الشيخ علي حسب الله ص ١٠٦ ط دار الفكر العربي القاهرة.

٢ ـ انظر مواهب الجليل من أدلة خليل للشنقيطي ج٣ ص ١٧٠ ط قطر.

٣ ـ انظر تفسير الطبري ج٢٨ ص ٨٨ ط بولاق.

٤ ـ رواه أبو داود.

٥ ـ انظر المحلى ج ١١ ص ٦١٣ ط القاهرة.

٦ ـ انظر الفرقة بين الزوجين ص ١٠٦.

٧ ـ انظر شرائع الإسلام للمحقق الحلى ج٢ ص ١٩ ط إيران.

٨ ـ انظر الفرقة بين الزوجين ص ١٠٥.

٩ ـ انظر أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٨٣٥ ط بيروت.

١٠ ـ انظر نظام الطلاق في الإسلام للشيخ أحمد محمد شاكر ص ٨٤ ط مكتبة السنة القاهرة.

١١ ـ انظر نيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص ٤٢ ط بيروت، والأمر بالإشهاد في الطلاق يدل على أن الحلف بالطلاق أو تعليق وقوعه بأمر لا يعد طلاقاً في الشرع، لأن ما طلب فيه الإشهاد لابد أن ينوي فيه إيقاعه، ويعزم عليه ويتهيأ له.

١٢ ـ انظر الأحوال الشخصية للمستشار محمد الدجوي ص ٢٧٩ ط دار النشر للجامعات المصرية.

القربات للموتى

شريعة

يشغل بال الكثيرين قضية فقهية يثار حولها الجدل وتتباين فيها الآراء، ألا وهي (قيام الإنسان الحي بعمل قربة من القربات الشرعية - قولية كانت كالدعاء والاستغفار، أو فعلية كالصدقة وما أشبه ذلك - ليست واجبة على الميت) ثم يهب ثوابها إليه، فهل ينتفع الميت بهذا الثواب أم لا؟. بطبيعة الحال هناك مسألتان فقهيتان تبرزان فيما نحن بصدده كمحل لموضوعنا وهما:
الأولى: حكم انتفاع الميت بالدعاء والصدقة من الحي.
الثانية: حكم انتفاع الميت بغير الدعاء والصدقة من الحي مثل قراءة القرآن الكريم والحج والعمرة والصيام.

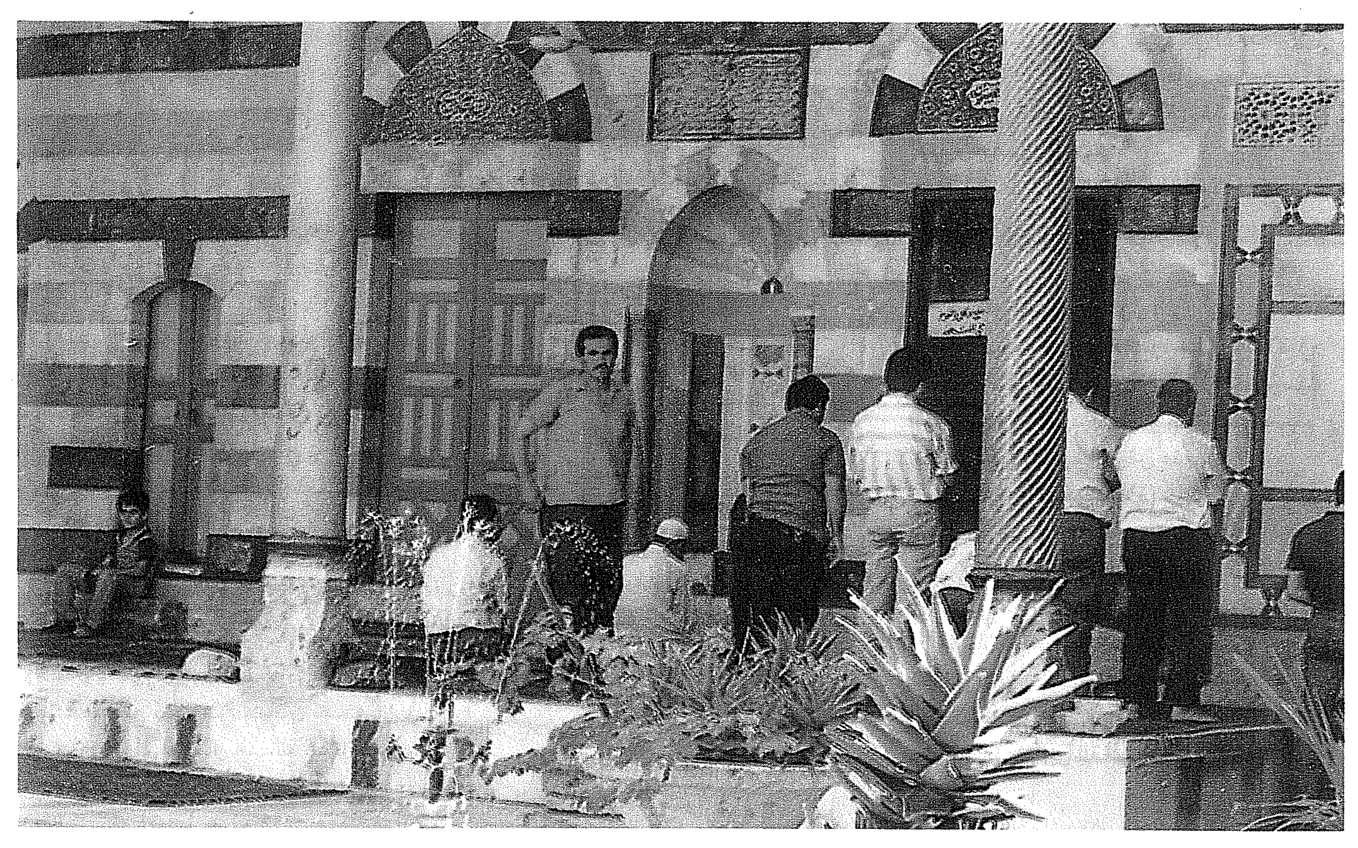
بقلم د. أحمد محمود كريمة

وقبل بيان ما يجب بيانه في المسألتين فإنني أعرض معنى القربة لغة وشرعا:
معنى القربة لغة: القربة - بضم القاف وسكون الراء - هي كل شيء يتقرب به العبد إلى الله تعالى - وتجمع على قرب وقربات(١).
وشرعا: هي فعل ما يثاب عليه بعد معرفة من يتقرب إليه وإن لم يتوقف حصولها على نية(٢).
ألفاظ ذات صلة:
١- العبادة: عمل ما يثاب على فعله ويتوقف على نية.
٢- الطاعة: فعل ما يثاب عليه، توقف على نية أم لا؟ عارفا من يفعل لأجله أم لا؟
بشيء من النظر في تعريف القربة والعبادة والطاعة يتضح لنا أهم الفروق بينهما:
فالقربة - على ضوء ماذكر - ما يفعله العبدلله - تعالى - مما يترتب عليه مثوبة شريطة أن تكون لله - تعالى - مما شرعه الشارع وليس بالضرورة توقفها على نية(٣) في جميع صورها وأنواعها.
أما الطاعة فلا يشترط فيها معرفة الطائع لمن يطيع، والعبادة تتوقف على نية وعليه فالقربة تفارق ما ذكر على النحو التالي:
● القربة لابد فيها من معرفة من يتقرب إليه وهو الله - تعالى -.
● القربة لا تتوقف - غالبا - على نية(٤).
إذا علم هذا: فإن إهداء القربات من الحي للميت تشتمل على عدة مسائل أبرزها ماسلف إيراده وتفعيل ذلك فيما يلي:

> الفقهاء اتفقوا على صدقة الحي للميت وأن فيها ثواباً يعود إلى الميت

المسألة الأولى: حكم انتفاع الميت بالدعاء والصدقة من الحي.
● اتفق الفقهاء على أن الحي إذا تصدق أودعا بخير للميت ووهب ثواب ذلك إليه فإن الثواب يصل إليه وينتفع به(٥).
* سند الاتفاقية: دليل القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع: فدليل القرآن الكريم آيات كثيرة منها:
أ- قول الله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾(٦).
وجه الدلالة: امتدح الله - تعالى - المؤمنين على دعائهم لمن سبقهم من إخوانهم المؤمنين(٧) فدل على انتفاع السابقين بدعائهم.
ب- قول الله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾(٨)
وجه الدلالة: أمر الله - تعالى - الأبناء بالدعاء لآبائهم وأمهاتهم(٩) فدل على انتفاع الأبويين بالدعاء وأنه من وسائل البر بهما بعد موتهما عن الأبناء.

أما دليل السنة النبوية فأخبار كثيرة منها:
أ- خبر «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٩).
وجه الدلالة: أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الميت ينقطع عمله إلا من عدة أمور عدًّ: منها دعاء ولده الصالح له، فدل على وصول دعاء الابن لأبيه وانتفاعه به بعد وفاته.
ب- خبر «استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل»(١٠).
وجه الدلالة: أمر النبي ﷺ شهود الجنازة الأحياء بالاستغفار للميت فدل على انتفاعه بذلك.
حـ- ما رواه أصحاب السنن بسندهم أنه ﷺ كان يقول في أدعيته: «اللهم اغفر لحينا وميتنا...» الحديث(١١).
وجه الدلالة: فعل رسول الله ﷺالدعاء للموتى والإرشاد إليه يدل كذلك على وصول الثواب وانتفاع الموتى به.



د- ماروي أن النبي ﷺ كان يدعو لأهل بقيع الغرقد(١٢)

وجه الدلالة: انه - ﷺ - كان يزور قبور المسلمين للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم(١٣).

هـ- ماروي أن النبي ﷺ سئل: (إن أبي مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه)؟ قال: «نعم»(١٤).

و- ماروي أن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - توفيت أمه وهو غائب عنها فقال للنبي ﷺ إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم» فقال: إني أشهدك أن حائطي والمخراف(١٥) صدقة عليها(١٦).

وجه الدلالة: إذن رسول الله -ﷺ- لأصحابه بالصدقة عن الميت. يدل على وصول الثواب عن الصدقات للموتى وانتفاعهم به.

دليل الإجماع: أجمع العلماء سلفا وخلفا في شتى الأعصار والأمصار على أن ثواب الدعاء والصدقة يصلان إلى الميت وينتفع بهما.(١٧)

● المسألة الثانية: حكم انتفاع الميت بغير الدعاء والصدقة من الحي كقراءة القرآن الكريم والصيام والحج والعمرة.

اتفق الفقهاء على أن العبادة البدنية المحضة كالصلاة والصوم والوضوء والغسل تمتنع فيها النيابة عن الحي(١٨).

ومستند الاتفاقية: دليل الأثر والمعقول والإجماع:

أ- دليل الأثر: ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال «لا يصلي أحدكم عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد»(١٩) وروي مثل ذلك عن ابن عمر - رضي الله عنهما -(٢٠).

ب- دليل المعقول: أن التكاليف البدنية مقصودها الابتلاء والمشقة وهي تحصل بإتعاب النفس والجوارح بالأفعال المخصوصة وهو أمر لا يتحقق بفعل نائبه فلم تجز النيابة، وهذه العبادات يتوقف أصل حصولها على النية، والمقصود منها امتحان عين المكلف بها، وغيره لا يقوم مقامه فيها، وكذلك الخضوع بها لله - تعالى - والتوجه إليه، والتذلل بين يديه، والانقياد لحكمه، وعمارة القلب بذكره، ولا يحصل ذلك إلا من المكلف نفسه(٢١).

ج- الإجماع: أجمع العلماء على امتناع النيابة عن الحي في العبادة البدنية المحضة(٢٢).

أما عن الميت فلا تجوز النيابة إلا ما أخرج بدليل كالصوم.

واختلفوا في حكم وصول ثواب الصوم والقراءة للقرآن الكريم والحج والعمرة وغيرها من الطاعات أو القربات ولم يوص الميت بها له من الحي وذلك على أقوال أشهرها قولان:

الأول: جواز فعلها من الحي للميت وانتفاعه بثوابها. ذهب إلى ذلك الحنفية والحنابلة ومتأخرو المالكية والشافعية في قول.(٢٣)

الثاني: عدم الجواز وعدم وصولها للميت من الحي وعدم انتفاع الميت بها. ذهب إلى ذلك

العبادات البدنية كالصلاة والصوم والوضوء والغسل وما إلى ذلك لا ينوب فيها الحي عن الميت

جمهور المالكية والشافعية في المشهور عندهم(٢٤).

الأدلـة

استدل أصحاب القول الأول القائلون بالجواز وانتفاع الميت بهذه القربات بدليل السنة والأثر والمعقول:

أولا: دليل السنة النبوية: منها: أ- خبر (أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما؟) فقال ﷺ: «إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك وأن تصوم لهما صيامك»(٢٥).

وجه الدلالة: أمر النبي ﷺ للسائل بالصلاة والصيام عن والديه الميتين يدل على الجواز والمشروعية وانتفاع الميت بهذه القربات.

ب- خبر «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة فسمع صوت انسانين يعذبان في قبورهما...» إلى أن قال «....ثم دعا بجريدة رطبة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة» فقيل له: لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا»(٢٦).

وجه الدلالة: إذا كانت الجريدة الرطبة ينتفع بها الميت إذا وضعت على قبره فالقراءة للقرآن الكريم أولى، ويقاس على ذلك سائر القربات(٢٧).

ثانيا: دليل الأثر: ماروه محمد بن قدامة قال لأبي عبدالله أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: فأخبرني مبشر عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يوصي بذلك...»(٢٨).

وجه الدلالة: ظاهر.

ثالثا: دليل المعقول: قياس وصول القراءة للقرآن الكريم ونحوه على وصول ثواب الصدقة والدعاء بجامع أن كلا عبادة.

● استدل أصحاب القول الثاني القائلون بعدم الجواز وعدم انتفاع الميت بالقربات ـ غير الدعاء والصدقة ـ بدليل القرآن الكريم والسنة والمعقول:

دليل القرآن الكريم: آيات منها:

أ- قوله ـ تعالى ـ ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾(٢٩)

وجه الدلالة: ليس للإنسان إلا كسبه خيرا كان أو شرا وعلى هذا فعمل غيره لا ينفعه.

ب- قوله ـ تعالى ـ ﴿ولا تجزون إلا ماكنتم تعملون﴾(٣٠).

وجه الدلالة: الإنسان لا يجازى إلا على عمله خيرا كان أو شرا ولا يجازى على عمل غيره.

حـ- قوله ـ تعالى ـ ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾(٣١).

وجه الدلالة: أخبر الله ـ تعالى ـ بأن الإنسان ليس له في يوم الجزاء إلا ما عمله، وعليه فلا ينتفع ولا يتأثر بعمل أو سعي غيره.

دليل السنة النبوية: أخبار منها: أ- ما روي أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن مما لحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته...»(٣٢)

وجه الدلالة: دل الحديث على أن انتفاع الميت بالقربات إنما كان بسبب فعله حال حياته، فدل على عدم انتفاعه بفعل غيره لحصر هذه القربات في هذا الحديث.

د- قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»(٣٣)...

وجه الدلالة: أخبر النبي ـ ﷺ ـ بأن الميت ينقطع عمله إلا ماكان سببا فيه حال حياته من صدقة جارية أو علم أو ولد صالح يدعو له، فدل على أن غيرها مما ليس من عمله لا تصل إليه وبالتالي لا ينتفع بها.

دليل المعقول: وجوه منها:

١- أن إهداء قراءة القرآن الكريم وماشاكلها من القربات إلى الميت حوالة وهي إنما تكون بحق لازم(٣٤)، والأعمال لا توجب الثواب وإنما هو مجرد تفضل من الله ـ تعالى ـ فكيف يحيل العبد ثواب عمله إلى الميت على مجرد الفضل ـ الذي لا يجب على الله ـ تعالى ـ بل ذلك تابع لمشيئته ـ سبحانه ـ.

٢-الإيثار بالقرب مكروه(٣٥)، فكيف يجوز الإيثار بنفس الثواب.

> الرأي الراجح والمختار هو ما ذهب إليه أصحاب القول الذي يرى مشروعية فعل القربات من الحي إلى الميت

المناقشة

١- يناقش أصحاب القول الأول بما يلي:

دليل السنة: ١- المقصود بالصلاة في الحديث الشريف الدعاء لا الصلاة بمفهومها الشرعي، والمقصود بالصيام قضاء صيام النذر وقضاء صوم الفرض عنهما.

يجاب: لفظ (الصلاة) في الخبر يحتمل المعنيين ولابد من مرجح يرجح أحدهما وهو غير موجود. فيبقى المعنى على عمومه الدعاء والشرعي معا، ويجوز ترجيح الثاني.

ـ الصلاة بمعناها الشرعي ـ لأن قوله «أن تصلي لهما بصلاتك» يدل على أن المراد الصلاة بمعناها الشرعي، أما الصيام فهو هنا عام يتناول القضاء للفرض والنذر وغيره.

٢- وضع الجريدة الرطبة على القبرين إنما هو خصوصية لرسول الله ـ ﷺ ـ يجاب: لم يرد ما يفيد أنه خصوصية فيبقى على إطلاقه.

دليل الأثر: ما نسب لابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قول صحابي وهو محل خلاف في حجيته.

يجاب: ـ ماذكروه صحيح فيما لو انفرد بقوله. لكن هناك الأحاديث والآثار التي تقوم بمجموعها على مشروعية وصول ثواب القربات وانتفاع الميت بها.

يناقش أصحاب القول الثاني بما يلي:

دليل الكتاب: قوله تعالى: ﴿ولا تجزون إلا ماكنتم تعملون﴾ لا يدل على نفي وصول ثواب القربات للموتى بل نفي عقوبة الإنسان بعمل غيره ومؤاخذته بجرم غيره. والسياق يدل على هذا ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ماكنتم تعملون﴾(٣٦).

دليل السنة: خبر «أن مما يلحق المؤمن من عمله...» ليس على سبيل الحصر فلا دلالة إذن على انتفاع الميت بعمل غيره من القربات وإهدائها له.

خبر «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...» ليس فيه مايدل على عدم انتفاع الميت بعمل غيره واهداء هذا العمل له من

الحي بل فيه انتفاعه لأن انتفاع الناس بعلمه ودعاء الولد الذي يشمل قراءته للقرآن الكريم والاستغفار والذكر الشرعي وما أشبه يصل إليه وينتفع به.

دليل المعقول : أ–قياس حوالة المخلوق على مثله، وحوالة المخلوق على خالقه، قياس مع الفارق يعضده أن قيام الورثة بأداء ديون مورثهم التي عجز عنها يبرئه أمام الله ـ تعالى ـ، وعمل وقف له وما أشبه كل ذلك. مشروع فينقض ماقالوه.

ب– القول إن الإيثار بالقرب مكروه خارج عن محل النزاع، لأن مانحن فيه اهداء الثواب للموتى أما هذا القول فمعناه إيثار القرب من الحي للحي بمعنى التباطؤ فيه وعدم المبادرة إليه والاتكال على غيره في فعله.



الرأي المختار

بعد عرض القولين بالأدلة والمناقشة فقد اتضح أن ماذهب إليه أصحاب القول الأول من مشروعية فعل الحي للقربات وإهدائها للموتى وانتفاعهم بها ووصول ثوابها إليهم والأصل فيه ماورد في صحيح مسلم بسنده: جاءت امرأة إلى النبي –ﷺ– فقالت يارسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ فقال: «أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى عنها؟» فقالت (نعم). فقال: «فصومي عن أمك»(٣٧).

فدل الحديث الشريف على مشروعية قضاء الديون عن الميت وتبرئة ذمته بهذا القضاء وأداء صيام النذر عنه فما ثبت فيهما يثبت في غيرهما من سائر القربات المشروعة.

يضاف إلى ذلك أن هذا القول يحقق مصالح شرعية والمصالح معتبرة ■

قيام الانسان الحي بعمل قربات شرعية كالدعاء والاستغفار أو الصدقة للميت قضية أثارت جدلا متباينا بين الآراء الفقهية

الهوامش

١– لسان العرب مادة (قرب).
٢– حاشية ابن عابدين ١/٧٢ طبعة إحياء التراث العربي.
٣– المرجع السابق، ٢/٢٣٧.
٤– القربات د/حسين عبدالمجيد ص٨ مطبعة الأمانة.
٥– فتح القدير ٣/١٤٢ طبعة الحلبي والشرح الكبير للدردير ٢/١٠ طبعة الحلبي ومغنى المحتاج ٣/٦٩ طبعة الحلبي والمغنى لابن قدامة ٢/٥٦٦ طبعة مكتبة ابن تيمية.
٦– [الحشر/١٠].
٧– تفسير الرازي ١٠/٤٨٠ طبعة دار الغد العربي وتفسير ابن كثير ٣/٤٧٥ دار القرآن ببيروت.
٨– [الإسراء/٢٤].
٩– تفسير القرطبي ١٠/١٦٠ طبعة دار الكتب العلمية، تفسير ابن كثير ٢/٣٧٣.
١٠– سنن أبى داود ٣/٢١٥ طبعة بيروت.
١١– سنن النسائي ٤/٧٤ ـ باب الجنائز.
١٢– صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٦٣٥ طبعة الشعب بالقاهرة.
١٣– زاد المعاد ١/٥٢٦ طبعة الرسالة.
١٤– صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٦٥.
١٥– المخراف المكان المثمر: فتح الباري ٥/٣٨٦ ـ باب الوصايا ـ
١٦– المرجع السابق.
١٧– بداية المجتهد ٢/٣٣٧ طبعة الحلبي، المغنى ٢/٥٦٦.
١٨– المنثور للزركشي ٣/٣١٢ طبعة الفليج بالكويت.
١٩– سنن البيهقي ٤/٢٥٧ طبعة حيدر آباد.
٢٠– مغنى المحتاج ٢/٣٤٤ طبعة الحلبي
٢١– المرجع السابق.
٢٢– المنثور ٣/٣١٢.
٢٣– حاشية ابن عابدين ٢/٢٤٣ والإنصاف ٢/٥٥٧ وبلغة السالك ١/١٨٩، وقليوبي ٣/١٧٥.
٢٤– الشرح الكبير وحاشية الدسوقي ٢/١٠ ومغنى المحتاج ٣/٦٩.
٢٥– الفتح الرباني لمسند أحمد ٨/١٠٨ ونيل الأوطار ٤/١٠٥.
٢٦– فتح الباري ٢/١١٠ طبعة الكليات الأزهرية.
٢٧– المرجع السابق
٢٨– السنن الكبرى ٤/٥٦.
٢٩– [البقرة/٢٨٦].
٣٠– [يس/٥٤].
٣١– [النجم/٣٩].
٣٢– سنن ابن ماجة ١/١٠٦.
٣٣– سبق ذكره وتخريجه.
٣٤– عون المعبود ٨/٨٧.
٣٥– الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٢٩ طبعة الحلبي.
٣٦– [يس٥٤/].
٣٧– صحيح مسلم ٢/٨٨٠ طبعة الحلبي.

فقه

المذهب المالكي (٢-٦)

مؤسسه وأصوله وانتشاره وأهم مدارسه

تحدثنا في الحلقة الأولى عن كيفية ظهور الحركة الاجتهادية في الأمصار الاسلامية حيث ازدهر الاجتهاد المطلق على يد المؤسسين للمذاهب منهم، والاجتهاد المقيد على أيدي المنتسبين الملتزمين بأصول أئمتهم وفي هذه الحلقة نتناول أحد مؤسسي هذه المذاهب ألا وهو الإمام مالك رحمه الله فنتعرف على نسبه وبيئته ونشأته وشيوخه وشهادة العلماء بفضله وعلمه...

بقلم: أ.د. محمد أبو الأجفان

هو أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي نسبة إلى جدة ذي أصبح الذي كان من قادة العرب القحطانيين، وقبيلته يمنية عرفت أيضا بذي أصبح وأمه تسمى العالية بنت شريك بن عبدالرحمن الأزدية.

كان عم الإمام مالك يقول: (نحن قوم من ذي أصبح قدم جدنا المدينة فتزوج في التيميين، فكان ونسبنا إليهم).

وذكر بعض المؤرخين أن جده أبا عامر نزل المدينة في العهد النبوي وصاهر بني تيم وارتبط برابطة الحلف والتناصر.

فهو صحابي جليل شهد الغزوات كلها مع رسول الله صلى عليه وسلم ماعدا غزوة بدر، وابنه مالك، جد الإمام، من كبار التابعين وعلمائهم.

وهكذا ينتمي الإمام إلى بيت شريف في الجاهلية وفي الإسلام، وإلى أسرة اشتهر بعض أعلامها بخدمة العلم، وهي أسرة يصفها الشيخ محمد أبو زهرة: (هي توعز إلى الناشيء فيها بأن يتجه إلى طلب الحديث والفتيا، إن كان عنده استعداد لهما، فإن الناشيء تتغذى مواهبه ومنازعه من منزع بيته وما يتجه إليه فتترعرع تحت ظلها المواهب وتتجه المنازع.(١)

ولئن اختلف المؤرخون في سنة ولادته وتباينت أقوالهم بين سنة ٩٠ وسنة ٩٨هـ، فإن المشهور الذي عليه أكثرهم أنه ولد سنة ٩٣هـ وقد روي عنه أنه رضي الله عنه قال: (ولدت سنة ثلاثة وتسعين) وكانت ولادته في المدينة المنورة التي استقرت بها أسرته، ونبغ بها أعلام منها.

ما أفتى مالك حتى شهد له سبعون إماما أنه أهل لذلك

بيئته

والمدينة هي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحي الإلهي وهي كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة: (...قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبدأ الحلال والحرام)(٢) وهي الحرم الآمن ضمن القبر الشريف والمنبر النبوي وروضة من رياض الجنة، والعلم يأزر إليها كما تأزر الحية إلى جحرها، وكفاها فضلا قوله عليه الصلاة والسلام: "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون" وقد كانت بها مدرسة النبوة الحافلة بالآخذين عنه الناقلين لأحاديثه والسائرين على هديه، والمفتين من الصحابة ثم من التابعين ثم من تابعيهم بإحسان.

نشأته

نشأ مالك في هذه البيئة العلمية بيئة الفقه والحديث والأقضية النبوية وأقوال الصحابة والمأثور عن الخلفاء الراشدين المهدين، وكان قد حفظ القرآن في صدر حياته شأنه في ذلك شأن أترابه في أكثر الأسر الاسلامية التي تحرص على تربية أبنائها تربية دينية رشيدة في ذلك العهد الأزهر القريب العهد بالقرن الأول خير القرون كما أخبر الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام.

وحدثنا الإمام مالك عن بداية طلبه العلم، فقال فيما رواه عنه تلميذه مطرف: (قلت لأمي: أحب أن أذهب فأكتب العلم، فقالت: تعال فالبس ثياب العلم. فألبستني ثيابا مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها ثم

قالت: اذهب فاكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه)(٣).

هكذا كانت الأم حريصة على تربيته على المنهج الإسلامي وتمسكه بالأخلاق الفاضلة حرصها على تزكية عقله بالمعرفة الشرعية والعلوم الإسلامية النافعة، وقد تحقق لها ما أرادت، كما تحقق لوالده ما طمحت إليه نفسه وما أمله فيه عندما حرّك همته بعبارة كان لها الأثر في إغرائه بطلب العلم فقد (قال مالك: كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت. فقال لي أبي: ألهتك الحمام عن طلب العلم، فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين) وفي رواية أخرى (ثماني سنين لم أخلطه بغيره)(٤).

شيوخه

والمشيخة التي أخذ عنها مالك وفيرة العدد(٥)، نذكر منهم:

- نافعا مولى عبدالله بن عمر، وهو من أثبت الرواة.
- محمد بن شهاب الزهري القرشي المتوفى حوالي سنة ١٢٥ وكان عمر بن عبدالعزيز يوصي أهل الآفاق بالأخذ عنه ويقول لهم: إنكم لا تجدون أحداً أعلم منه بالسنة.
- العلاء بن عبدالرحمن المخزومي المدني الفقيه الثقة المتوفى بعد سنة ١٣٠.
- أبو عبيدة حميد الطويل البصري المتوفى سنة ١٤٢ وهو يصلي.
- عمرو بن أبي عمر ميسرة المدني المتوفى بعد ١٥٠.
- محمد بن أبي بكر بن عوف الثقفي.
- نعيم بن عبدالله المجمر المدني.
- سعيد المقبري بن أبي سعيد كيسان المتوفى سنة ١٣٣ تقريبا.
- محمد بن المكندر بن الهذلي التميمي المدني المتوفى سنة ١٣٠.
- المكي محمد بن مسلم ابن أبي تدرس الأسدي المتوفى حوالي سنة ١٢٦.
- أبو حازم سلمة بن دينار الحكيم مولى بني ليث المدني المتوفى سنة ١٤٠. وقد شارك مالك شيخة ابن شهاب في الأخذ عن أبي حازم سلمة.
- زيد بن أسلم العدوي المدني مولى عمر رضي الله عنهما المتوفى سنة ١٢٦ وقد كان من العلماء بالفسير.
- أبو نعيم بن كيسان القرشي، المتوفى سنة ١٢٧.
- يحيى بن سعيد الأنصاري.
- هشام بن عروة بن الزبير.
- ربيعة بن أبي عبدالرحمن سالف الذكر وهو المعروف بربيعة الرأي، لميله إلى الرأي في اجتهاده.

هؤلاء الشيوخ وغيرهم ممن لم نذكرهم من شيوخ مالك كانوا من طبقة التابعين الذين رووا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغوا هديه وساروا على منهجه الشريف وصراطه المستقيم.

أخذ شيوخه عنه

وقد حرص كثير من شيوخه على الأخذ عنه عندما ظهر نبوغه وسمت مكانته بين معاصريه وعرف فضله وأمانته وسعة اطلاعه. قال أبو محمد الضراب: "روى عن مالك جماعة من شيوخه الذين روى عنهم، فمنهم يحيى بن سعيد الأنصاري وأبو الأسود ابن نوفل وزياد بن سعد وابن شهاب وهشام بن عروة وربيعة إلى آخرين سواهم، ومن شيوخه الذين أخذ عنهم المغازي الضحاك بن عثمان وابن كنانة كان يسألهما عنها ثم يتحدث بهما في مجلسه فيكتبها الناس عنه ويكتبها معهم الضحاك وابن كنانة وأكثر ذلك إنما سمعه منهم".

ويروي ابن القاسم وابن وهب عن الإمام مالك قوله: (ما أحد ممن أخذت عنه العلم إلا اضطر إليّ حتى سألني عن أمر دينه)(٦).

الأخبار في إمامة مالك وحفظه وورعه وتثبته أكثر من أن تحصى

تثبته في الرواية:

فقد استفتوه لما رواه مستكملا الملكة الاجتهاد، ورووا عنه لما رأوه حافظا ثبتا متحرياً قبول الحديث مستعملا معايير النقد والتجريح والتعديل، وكان يقول: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون منه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين — و أشار إلى المسجد - فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن)(٧).

بهذا يكون مالك مسهما في وضع المنهج العلمي لنقد الرجال وتمحيص الروايات.

وهو عندما يظفر بالسند الموثوق يحرص على أخذ الأحاديث الصحيحة بوساطته، ومن هنا جاءت سلسلته الذهبية: مالك عن نافع عن ابن عمر، قال مالك: (كنت آتي نافعا نصف النهار وما تظللني شجرة من الشمس أتحين خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أره، ثم أتعرض له فأسلم عليه، وأدعه حتى إذا دخل أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني، ثم أحبس عنه وكان فيه حدة)(٨).

ويذكر مترجموه ما كان يتخذه من التدابير التي تكفل له الظفر بمجالسة شيخه ابن هرمز، وما كان يتحمل في سبيل تحقيق هذه الرغبة من تعب.

وقد آتت جهوده في الطلب أطيب الثمار فبلغ أسمى المراتب العلمية وجمع أوفر نصيب من صحيح الأحاديث التي تضمنها موطأه.

شهادة العلماء بفضله وعلمه:

وقد شهد له بالفضل والعلم كثير من أعلام عصره ومن بعدهم (٩).

فهذا شيخه ابن هرمز يقول عنه: (إنه أعلم الناس)

وهذا سفيان بن عيينه يقول عنه: (مالك إمام، ومالك عالم أهل الحجز ومالك حجة زمانه).

وهذا أبو حنيفة يقول عنه: (ما رأيت أعلم بسنة رسول الله منه).

أما الإمام الشافعي فيقول: (مالك أستاذي وعنه أخذت العلم وما أحد أمنّ عليّ من مالك، وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله وإذا ذكر العلماء فمالك النجم).

كما قدمه أحمد بن حنبل على الأوزاعي والثوري والليث وحماد والحكم في العلم، وقال: هو إمام في الحديث والفقه، وقد سئل عمن يريد أن يكتب وينظر في الفقه، حديث من يكتب؟ وفي رأي من ينظر؟ قال: حديث مالك ورأي مالك) وقال أيضاً: (مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك: متبع الآثار من مضي مع عقل وأدب).

وقال ابن فرحون مسجلا اعتراف كثير من الأعلام بإمامة مالك: (قد اعترف له بالإمامة يحيى بن سعيد شيخه والأوزاعي والليث وابن المبارك وجماعة من هذا النمط، ومن بعدهم كالبخاري وابن عبد الحكم وأبي زرعة الرازي، ومن لا يعد كثرة)(١٠).

وقال ابن عبدالبر: (الأخبار في إمامة مالك وحفظه وورعه وتثبته أكثر من أن تحصى، وقد ألّف الناس في فضائله كتباً كثيرة) (١١).

انتصابه للتدريس والفتوى:

هذا وبعد أن نال مالك شهادة أهل الذكر بأنه صار أهلا للإفتاء والتدريس انتصب بالمسجد النبوي يؤدي رسالة العلم ويبلغ الأمانة وهو ابن سبعة عشر عاما. وفي بعض الروايات أنه كان ما بين العشرين والخمس والعشرين من عمره. وكان يقول: (ما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك)(١٢). ويؤثر عنه قوله: (لا خير فيمن يرى نفسه في حال لا يراه الناس فيها أهلا).

وقال الزرقاني: (ما أفتى مالك حتى شهد له سبعون إماما أنه أهل لذلك وكتب بيده مائة ألف حديث، وجلس وهو ابن سبع عشرة سنة، وصارت حلقته أكثر من حلقات مشايخه في حياته وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ الحديث والفقه كازدحامهم على باب السلطان)(١٣).

على أن الزحام على بابه كان يشتد أيام المسلم عندما يفد الحجيج للزيارة من مختلف الأصقاع فينتهزون الفرصة للأخذ عن هذا الإمام ومنهم الخلفاء، والأمراء (١٤).

وكان له آداب في مجلس العلم يحرص عليها ويحمل الطلبة على التجميل بها وهي تدل على مدى تقديره للحديث ولعلوم الشريعة ومدى جده في أخذها وتدريسها، ومن هذه الآداب ما تضمنه قوله: (حق له من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى، وينبغي لأهل العلم أن يخلوا أنفسهم من المزاح وبخاصة إذا ذكروا العلم) وقوله: من آداب العالم أن لا يضحك إلا تبسماً)(١٥).

ومن مقتضيات منهجه في الفتوى عدم التسرع وشدة الاحتياط والتثبت وكان يقول: (إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة ما اتفق لي فيها رأي إلى الآن) وقول أيضا: (ربما وردت عليّ مسألة فأسهر فيها طيلة ليلتي. وكان يقول أيضا: من أحب أن يجيب على مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب)(١٦).

وفاته

يذكر ابن فرحون أنه اختلف في تاريخ وفاة الإمام مالك وأن الصحيح أنها كانت يوم الأحد لتمام اثنين وعشرين يوماً من مرضه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة.

وفي العشية التي فاضت فيها روحه دخل عليه بكر بن سليمان الصواف مع جماعة وقالوا له: يا أبا عبدالله كيف نجدك؟ قال: (ما أدري كيف أقول لكم إلا أنكم ستعاينون غداً من عفو الله ما لم يكن من في حساب)، وكانت هذه العبارات المبشرة بالخير من آخر ما سُمع منه.

وذكروا أنه تشهد ثم قال:لله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي الليلة التي توفي فيها رأى عمر بن يحيى بن سعيد يقول:

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنه
غداة ثوي الهادي لدي ملحد القبر
إمام الهدى مازال للعلم صائنا
عليه سلام الله في آخر الدهر

فانتبه وكتب البيتين وإذا بنعيه ينتشر(١٧).

> من أحب أن يجيب على مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب

هوامش:

١ـ مالك لأبي زهرة: ٨١٦/١
٢ـ ترتيب المدارك ٣٦/١ـ٣٧ـ وفاء الوفاء للسمهودي: ١٩/١.
٣ـ ترتيب المدارك: ١٣٠/١.
٤ـ المصدر نفسه: ١٣٠/١.
٥ـ انظر: ترتيب المدارك: ١٣٠/١ وما بعدها.
٦ـ انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك: ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ط.دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ بتحقيقنا ـ
٧ـ الإنتقاء، لابن عبدالبر: ١٦ ـ ط دار الكتب العلمية بيروت.
٨ـ ترتيب المدارك: ٧٥/١ـ٧٦.
٩ـ انظر: انتصار الفقير السالك: ١٣٩ـ١٤٠.
١٠ـ الديباج المذهب، لابن فرحون: ١٥.
١١ـ التمهيد لابن عبدالبر: ٧٤/١ ـ ٧٥ ط الأوقاف بالمغرب.
١٢ـ مالك لأبي زهرة: ٣٨.
١٣ـ شرح الزرقاني علي الموطأ: ٣٠٢/١.
١٤ـ انظر مثلا ـ زيارة الخليفة هارون الرشيد لمالك في انتصار الفقير السالك:
١٥ـ مالك لأبي زهرة: ٥٠.
١٦ـ الديباج المذهب: ٢٣.
١٧ـ المصدر نفسه: ٢٨ـ٢٩.

فكر

آداب الاختلاف في الإسلام

بقلم: د. محمد إبراهيم أحمد

عندما تتراءى في مخيلتي صورة العالم الإسلامي اليوم أراها صورة قاتمة ملطخة بالدماء، فأصحاب خير أمة أخرجت للناس يقتل بعضهم بعضا لأتفه الأسباب، ويوجهون مدافعهم صوب إخوانهم عندما يختلفون في الآراء، ونسوا أو تناسوا قول الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الانفال: ٤٦] بل إن الحق تبارك وتعالى ألغى انتساب أهل الفرقة والاختلاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾ [الأنعام: ١٥٩]

والاختلاف في حد ذاته ليس عيبا فقد اختلف السلف الصالح رضي الله عنهم ولكن اختلافهم لم يكن لينزع من قلوبهم الحب والمودة ولم يتركوا للشيطان أن يشعل نار الفرقة بينهم، فهذا عبد الله بن عباس - وكان كثير الاختلاف مع زيد بن حارثة - يرى زيدا يوما يركب دابته فأخذ بلجام دابة زيد يقودها له فقال زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرني يدك فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، وتتلخص آداب الاختلاف في الإسلام في النقاط التالية:

أولا: الفهم الصحيح للاختلاف:

فالاختلاف بين اثنين يعني أن كلا منهما سلك طريقا غير الآخر. قال تعالى: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ [الذاريات: ٨] والاختلاف في الآراء لا يفسد للود قضية، أما إذا أفضى الاختلاف إلى الجدل ومحاولة كل شخص أن يقنع الآخر برأيه فلابد أن يكون ذلك بالحسنى، فإن لم يستطع إقناعه فليحتفظ كل منهما برأيه دون عداوة أو بغضاء.

ثانيا: الاختلاف بشرط حسن النوايا:

فهو يتيح التعرف على جميع الآراء والاحتمالات ويفتح مجال البحث والتفكير للاهتداء إلى الرأي الأصوب والصراط المستقيم.

ثالثا: الحرص على عدم الاختلاف وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حرصا على مصلحة الجماعة وقد وعد بقصر في الجنة لمن ترك الجدال والاختلاف وهو على حق.

رابعا: حين يكون للاختلاف أسبابه مثل: التعريف بشيء من السنة

لم يكن لبعضهم معرفة في فهم بعض آيات القرآن الكريم، فيجب أن يكون ذلك بالحسنى وأن يستجيب الآخرون ويعترفوا بالخطأ، وليس في ذلك أدنى شعور بالغضاضة أو النقص.

خامسا: الأخوة الإسلامية فرض عين على المسلمين

والأخوة فوق الاختلاف أو الاتفاق في المسائل الفقهية وغيرها.

سادسا: يجب أن تكون الأمور الاعتقادية مما لا يجري فيها الخلاف أو الفرقة وأن ينحصر الاختلاف في الأمور الفرعية.

سابعا: اجتماع العلماء وأصحاب الحل والعقد على فترات محددة:

لتصفية الخلافات وتصحيح الأوضاع ومناقشة أمور الدين في جو يسوده الحب والمودة

ثامنا: الاستقبال النفسي السليم لتصحيح الأخطاء، وأن تكون نظرتنا إلى من يصحح أخطاءنا نظرة حب واحترام وتقدير■

منهج التواصل بين حضارات العالم
«الإسلام والمستقبل الحضاري»

فكر



قدم الدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت بحثا أمام المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي نعقد أخيرا في القاهرة تحت عنوان « حوار لا صدام » ، ونظرا لاهمية البحث تقوم مجلة الوعي الاسلامي بنشره كاملا.

تمهيد

يعيش العالم الآن فترة انتقال حضاري حافلة بالكثير من قوى التغيير والتفاعلات الثقافية.... وقد جاءت هذه المرحلة في ختام قرن من الصراعات الفكرية والاقتصادية والصدامات العسكرية والاستراتيجية.. كانت دماء وأرواح الكثير من البشر وقوداً لها..

وفي هذه المرحلة تبرز الحاجة إلى الحوار كمطلب ضروري يكتسب أهمية بالغة، لتمهيد طريق التواصل وإرساء ودعم وتعزيز منهج التقارب والتعاون بين الحضارات المختلفة، ومساهمة في البحث عن إيجاد الإطار الحضاري الذي يقوم على عناصر القوة المستمدة من خلاصة التجارب الحضارية للبشرية جمعاء.

الدواعي الشرعية والضرورات العملية للحوار

تنطلق القناعة ضرورة وأهمية الحوار الحضاري من دواع شرعية، ومن ضرورات واعتبارات عملية يفرضها الواقع العالمي المعاصر...

(أ) الاسلام في الحضارة والدعوة الى الحوار

يؤصل الإسلام منهج الدعوة إلى الحوار الحضاري، واعتماد التواصل الإنساني والتعايش والتفاعل بين الأمم والشعوب المختلفة على مجموعة من المبادىء من أبرزها ما يلي:

ـ الحوار: هو بالنسبة لنا كمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية.... فنحن أصحاب دعوة ورسالة عالمية، لا تخص جنساً ولا لوناً، ولا عرقاً، ولا بلداً معيناً، والخطاب القرآني الكريم يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعاً، مؤكداً على التعايش والإخاء الإنساني، مستهدفاً خير وتقدم ونماء الإنسانية كلها.

ويصبح واجباً علينا حمل أمانة الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته... وتعريف العالم والإنسانية كلها بالإسلام ومبادئه، وقيمه، ومثله، ومقاصده السامية، وتصحيح الكثير من التصورات، والانطباعات، والمفاهيم السلبية الخاطئة التي راجت لدى العديد من الأوساط الدولية عن الإسلام والمسلمين، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بالحوار والتواصل مع الآخرين.

ـ هذا فضلاً عن أن الدعوة إلى الحوار، والالتقاء بالآخر ومجادلته بالتي هي أحسن، هي دعوة قرآنية، وتكليف شرعي قائم، ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾[آل عمران: ٤٦].

ومن ثم علينا نحن أن نبادر إلى الدعوة إلى هذا الحوار، وأن نكون أكثر حرصاً عليه من غيرنا... وأن نحاور وندعو، ونتواصل بمنهج الإسلام القائم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والرفق واللين، وحسن العرض ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾ [النحل: ١٢٥].

ـ لقد أسس الإسلام منهجاً متكاملاً للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة... فقد أقر باختلاف الناس والأجناس.. وقنن هذا الاختلاف، وربط المسلمين مع سائر البشر ـ على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم الحضارية ـ برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة

> الدعوة إلى الحوار، والالتقاء بالآخر ومجادلته بالتي هي أحسن، هي دعوة قرآنية

الأصل البشري... وألزم المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم، وإشاعة الخير مع الجميع وبين الجميع ـــ بغض النظر عن الديانة أو الجنس أو اللون ـ ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وقد اعترف الإسلام بواقع الديانات السابقة وعلاقته بها قائمة وقديمة، وجعل الإيمان برسل الله وأنبيائه وكتبه عنصراً مهما في عقيدة المسلم، كما أرسى مبدأ حرية الاعتقاد: ﴿لا إكراه في الدين﴾ كأساس للإخاء والتعايش الإنساني ومن ناحية أخرى فقد قرر الإسلام أن السلم ونبذ العدوان هو الأصل في العلاقة بين الشعوب ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة ١٩٠].

(ب) الضرورات الواقعية والعملية

ـــ يقوي من دواعي الحوار ضرورات عملية وواقعية معاصرة نجمل بعضها فيما يلي:

* يدخل العالم مع بدء القرن الحادي والعشرين مرحلة من المتغيرات الجذرية والتطورات والتحولات الكبرى والسريعة، والثورة الهائلة في وسائل الاتصال والإعلام، والمعلومات، وما تفرضه من إمكانات غير مسبوقة للتواصل الثقافي والفكري والقيمي بين الحضارات المختلفة، وفي عالم الاتصال المفتوح، وتدفق المعلومات، واختفاء الحواجز الثقافية تفرض هذه المعطيات الجديدة نفسها علينا ـــ ولا يمكن الانعزال عنها أو الإحجام عن التعامل معها، والحوار حولها، والعمل المشترك على توظيفها في خدمة الإنسانية، ومواجهة وتقليص تداعياتها السلبية.

* من الواضح أن هذه النقلة الحضارية الراهنة تأتي في أعقاب مرحلة شهدت أكثر الصراعات والصدامات دموية في العالم... وإذا ما علمنا أن هذه الصدامات كانت الأطراف الأساسية فيها تنتمي إلى الحضارة نفسها، فإنه يمكننا تصور مدى ضراوة هذه الصدامات إذا كانت بين أطراف تختلف في انتماءاتها الحضارية... وعليه، فإن الدرس الذي يجب أن تعيه البشرية من هذه التجربة القاسية هو ضرورة الالتقاء حضارياً، والتعاون بين الشعوب على صالحها العام.

* ومن دواعي اللجوء إلى الحوار الحضاري ـ أنه لا تزال بعض التيارات الفكرية في العالم تفكر بمعايير عصر الصدام، وترى أن الصدام أمر حتمي... وأن انتهاء حلقة من هذا الصدام لابد وأن تتلوها حلقة أخرى تختلف فيها أطراف الصراع ومضامينه... ومن هذا ما نشاهده من بعض الآراء التي ترى في الإسلام العدو المرشح للغرب بعد سقوط الشيوعية.

* وأخيراً، يجب أن نعترف بأن ميزان القوى في العصر الحالي قد مال لصالح الغرب... ولهذا فهو يسعى إلى نشر ثقافته، ونمطه الحضاري على العالم بادعاء أنه السبيل لتحقيق حياة أفضل للبشرية من وجهة نظره... ولهذا يلاحظ أن هناك تيارات تدعو إلى فرض نمط الحضارة الغربية باستخدام وسائل الهيمنة الثقافية والاقتصادية كافة، وهو ما ظهر في مناسبات ومحافل دولية مختلفة (مثل: مؤتمر السكان في القاهرة العام ١٩٩٤م، ومؤتمر المرأة في بكين العام ١٩٩٥م).. ومن شأن هذه الدعوات أن تغذي مظاهر الصراع الحضاري بين البشر، وتدخله في حلقات جديدة أكثر عنفاً وضراوة.. ومن ناحية أخرى فإن هناك تيارات تدعو إلى التعايش بين الحضارات، والتواصل الإيجابي بينها لإبراز العناصر التي تعزز تقدم البشرية، ويجب على جميع القوى المستنيرة في العالم ـ ومن بينها نحن المسلمين ـــ أن تدعم هذه التيارات التي تدعو إلى احترام مختلف الحضارات.

أهداف الحوار الحضاري

لعل في الاعتبارات التي تبرز أهمية اللجوء إلى الحوار الحضاري إيحاء بما يجب أن تكون عليه أهداف هذا الحوار... ويجب أن نعي أن هذه الأهداف يجب أن تلقى قبولاً لدى مختلف الأطراف... وهذا لا يتنافى مع مفهوم الإسلام للتدافع بين البشر... بمعنى التنافس الحضاري بين الأمم... وهو الذي يتيح لجميع الأطراف فرصة تقديم ما يعمل على خدمة البشرية جمعاء...

ويمكن أن نعطي إشارة موجزة إلى ما يلوح الآن من أهداف للحوار الحضاري العالمي... والتي تتركز في:

* التعريف بالإسلام وقيمه ومبادئه ومقاصده السامية على النحو السابق الإشارة إليه.

* تجنب الأطاريح التي تدفع الشعوب نحو صدامات جديدة تستخدم فيها شتى أساليب القوة وعدم احترام الإرث الحضاري للبشر.

* الاعتراف بالتعددية الحضارية، وبأهميتها لتقدم البشرية... وتكريس احترام الخصوصيا الثقافية لمختلف الأمم.

* توجيه ما تأكله الحروب من طاقات بشرية ومادية إلى تحقيق مزيد من التقدم والرفاهي للبشرية جمعاء.

* تيسير التعاون بين أمم العالم وشعوبه والذي سيكون أمراً محتماً نتيجة دخول عصر ثور المعلومات والاتصالات، وما سيفرضه من أنماط ومعايير جديدة لحياة البشرة وأنشطتهم.

* تحقيق الاستفادة المشتركة من الإنجازا الحضارية المختلفة، والسعي نحو العمل عل إيجاد إطار حضاري عالمي يجمع في تكوينه أكبر كم ممكن من عناصر التميز الحضاري التي تتمتع بها ثقافات الشعوب المختلفة.. إذ إنه من غير الجائز القبول بإهدار أي رصيد حضاري إيجابي ساهم في ازدهار وتقدم البشرية في أي مرحلة من مراحل التاريخ.

تفعيل الحوار الحضاري العالمي مسؤولية جميع الأطراف بالتساوي والتوازي

من هم أطراف الحوار الحضاري العالمي؟

إن تفعيل الحوار الحضاري العالمي مسؤولية جميع الأطراف بالتساوي والتوازي... ولن يكون هذا الحوار هادفاً دون مشاركة الجميع وحرصهم المخلص على إنجاحه وتفهم الأطاريح المتبادلة من خلاله، ولن تتحقق الغايات النبيلة والآمال الكبيرة من الحوار، والتي ترمي إلى تعزيز أواصر التفاهم والتقارب والتعاون بين الحضارات إذا انفردت به القوى السياسية والاقتصادية وحدها دون بقية القوى الحضارية الأخرى.

وعلى ذلك يمكن تصنيف الأطراف المشاركة في الحوار بأكثر من معيار.. وذلك على النحو التالي:

* المعيار الثقافي

وهو المعيار الذي يتعامل مع مختلف الحضارات، والتي يجب أن يشارك ممثلون لها جميعاً كأطراف متساوية في الحوار الحضاري.

* المعيار الإنمائي

من المعروف أن هناك تفاوتاً كبيراً في المستوى الإنمائي الذي حققته مختلف شعوب العالم... وهذه الشعوب يتساوى حقها ومسؤوليتها في إحداث الحوار الحضاري العالمي وفي إنجاحه.. ووفق هذا المعيار يتعين أن يشارك في الحوار ممثلون عن: الدول الصناعية المتقدمة، والدول النامية (وهي إجمالاً الدول التي في سبيلها إلى تحقيق مستويات متقدمة من النمو)، والدول الأقل نمواً.

* المعيار المؤسسي

من الضروري لإنجاح الحوار الحضاري العالمي أن تساهم فيه جميع الدوائر والمؤسسات التي تنظم انتماءات البشر على مختلف الأصعدة... ولذلك فإن المؤسسات التي يمكن اعتبارها أطرافاً في هذا الحوار يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

ـ التنظيمات الدولية، وهي هيئة الأمم المتحدة، والتنظيمات التابعة لها... وفي مقدمتها منظمة اليونسكو... التي تتمتع بما يؤهلها لدور مميز في تنظيم الحوار الحضاري والدعوة إليه.

ـ التجمعات الإقليمية... مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومنظمة الدول الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة دول جنوب شرق آسيا، ومنظمة الوحدة الأفريقية، ومنظمة دول عدم الانحياز.. وغيرها من المنظمات الإقليمية والمؤسسات المتخصصة التابعة لها.

ـ المنظمات والمؤسسات التطوعية القطرية والدولية.

ـ الجامعات ومراكز البحوث والدراسات.

ـ الأحزاب والتجمعات السياسية والفكرية.

ـ المؤسسات الاقتصادية (ودورها يتميز من خلال المساندة والتمويل اللذين يمكن أن توفرهما لفاعليات الحوار الحضاري العالمي).

* المعيار التخصصي

وهنا نتطرق إلى الأفراد والشخصيات ذات الإسهام الخاص في عملية الحوار الحضاري العالمي.. وتتسع دائرة هؤلاء الأفراد بحسب تخصصهم لتشمل الفئات المؤثرة... مثل: رجال الدين، والمفكرون، والسياسيون، ورجال الثقافة والفنون، ورجال الاقتصاد والمال، والعلماء والباحثون، ورجال الإعلام والصحافة، والقيادات والرموز المجتمعية وقيادات الحركات النسائية.. إلخ.

محتوى الحوار ومضامينه

من العسير أن نلم في عجالة بمحتوى الحوار الحضاري العالمي ومضامينه.. وذلك لاتساع هذه القضية، وتعدد أبعادها، وتجدد أطاريحها مع تجدد الحقائق المتغيرة في العالم، إلا أنه يمكن الإشارة إلى عدد من الملامح الرئيسية لمادة هذا الحوار والتي من أهمها:

احترام جميع الأطراف لخصوصية الحضارات المختلفة

يجب أن يركز الحوار الحضاري على إشاعة قيم احترام الرصيد الحضاري لمختلف الأمم.. إيماناً بأن في التنوع مصدر قوة.. وبالتالي يصبح لزاماً أن نبحث في إيجاد الأساليب التي تمكن من مراعاة الخصوصية الحضارية لكل من الشعوب والأمم من خلال الإطار الحضاري العالمي المشترك الذي نسعى إليه.

إبراز العناصر المشتركة بين الحضارات السائدة في العالم

وهنا يحاول الحوار الحضاري أن يعالج بعض الآثار التي خلفتها الصراعات القديمة.. فطالما عَمَّ الجهل بالمفاهيم، والقيم الحضارية المشتركة بين مختلف الأمم.. وتمَّ التركيز في حالات كثيرة على مواطن الاختلاف والتباين بأسلوب غير موضوعي يدفع إلى تغذية عوامل الصدام والصراع والهيمنة والسيطرة والاستعلاء.

.التكامل بين مكامن القوة في الأنماط الحضارية المختلفة

وهذه نقطة البداية، ومحور عملية الحوار ذاتها.. لأن نجاح الجهود الساعية إلى إيجاد إطار حضاري عالمي مشترك لن يتم من خلال اجتياح حضارة لغيرها من الحضارات ــ كما كان يحدث في مراحل التاريخ الأولى ـ ولكن من خلال دعم، وتعزيز التوجهات المعاصرة التي تؤمن بالتعايش، والتفاعل، والاحترام المتبادل بين الحضارات، لذا فإن الحوار الحضاري يجب أن يركز على كيفية تحقيق التكامل بين مكامن القوة في الأنماط الحضارية السائدة في العالم الآن.

> يجب أن يركز الحوار الحضاري على إشاعة قيم احترام الرصيد الحضاري لمختلف الأمم

البرامج التنفيذية للحوار الحضاري العالمي

النتيجة والثمرة التي نسعى للحصول عليها من خلال الحوار الحضاري العالمي يجب أن تتمثل في شكل برامج ومشروعات تنقل هذا الحوار ومضامينه إلى واقع البشر وحياتهم.. ودون ذلك يكون الحوار ـ في الحقيقة ـ غير هادف، ومجرد شيء من الترف الفكري... كما يجب في هذا السياق أن يتم رسم أدوار للعمل الإيجابي لمختلف الأطراف، والمؤسسات في عمليات تنفيذ هذه البرامج والمشروعات وفي دعمها.

من هذا كله نجد أن المنهج الإسلامي يؤصِّل الدعوة إلى الحوار الحضاري واعتماد مبدأ التواصل الإنساني والتعايش، والتفاعل بين الحضارات المختلفة من أجل استمرار عملية النهوض الحضاري للبشر جميعاً، بالاعتماد على العطاء الإيجابي للثقافات المختلفة.

متطلبات إسلامية للحوار

تساعد مجموعة من العوامل والمتطلبات على توافر الشروط اللازمة لإنجاح حوار الحضارات كما تؤثر إيجاباً على تقدمه في المسار الصحيح وبالفاعلية المرجوة..

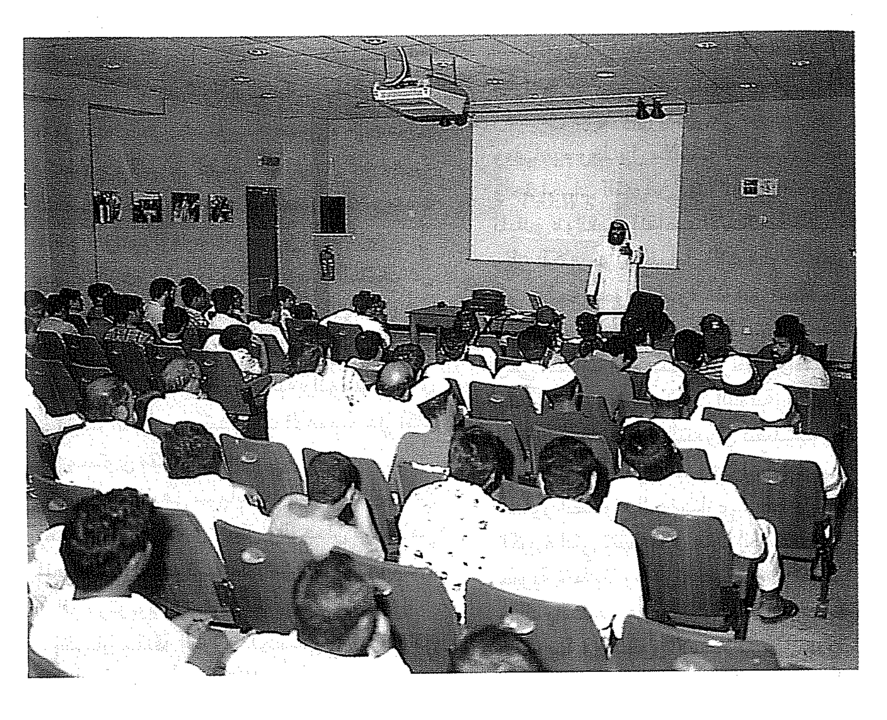
وفيما يلي بعض أبرز تلك المتطلبات..

١ ــ تأهيل الخطاب الفكري لمواجهة تحديات الحوار

إذا كانت هناك مقتضيات ودواع عديدة تدفع إلى ضرورة تجديد مفردات خطابنا الفكري ولا مجال للتعرض لها في هذا السياق، إلا أن الحوار مع الآخر يأتي ليكون سبباً إضافياً ضمن دواعي هذا التجديد... وذلك لأن هذا الحوار سوف يشهد تركيزاً مرجعياً بالغاً على الخطاب الديني كخطاب ثقافي، وحضاري متكامل، مطالب باستدعاء، وتقديم القيم والمفاهيم والرؤى، والأطاريح الإسلامية لتحرير موضوع

الحوار ومناقشاته ومداولاته وسجالاته المتوقعة، وهو ما يقتضي ويتطلب ضرورة العمل على تأهيل خطابنا الفكري لمواجهة تحديات هذا الحوار.

وإذا جاز لنا أن نشير بإيجاز لبعض العناصر التي ينبغي أن تضبط وتوجه مسار عملية التأهيل، فإننا نرى التركيز فيما يتصل بالحوار الحضاري على التوجهات التالية:



أ ـ تصدر نقطة الانطلاق في الحوار مع الآخر من الخصوصية الحضارية التي تتميز بها أمتنا، وهي خصوصية تستند إلى واقع لا سبيل إلى إنكاره..

واقع التعدد الحضاري في الجماعة الإنسانية المعاصرة، التي تعرف وجود عدة بنًى وتشكيلات حضارية مختلفة ومتنوعة، ولكل واحد منها خصوصياته وسماته ومكوناته الذاتية...

وهذا الاختلاف في الخصائص الحضارية من أمة إلى أمة يقتضي بالضرورة تعدد طرق ومشاريع النهوض والتقدم، لأن كل طريق منها يجسد المعطيات الخاصة بالأمة، ومكوناتها القيمية، والتراثية، والاجتماعية، والثقافية، كما يلبي طموحاتها وتطلعاتها نحو النهوض الحضاري، ومن ثم فإننا نرى خطأ المقولة التي تقول إن للتطور الإنساني طريقاً واحداً يجب الأخذ به، وأن الحضارة المعاصرة حضارة كونية يتعين تعميم وفرض معاييرها، ومبادئها على الجميع...

إن علينا ـ على طاولة الحوار ـ أن نكرس مبدأ الحق في الاختلاف الحضاري، وفي أن يكون لنا مشروعنا النهضوي الحضاري المستقل في مضامينه ومناهجه ووسائله. وذلك في مواجهة من ينكرون هذا الحق. ويشككون في قدرة وإمكانات هذا الاختيار المستقل... على أن ذلك يفرض علينا في المقابل تكثيف الجهود والمحاولات الإبداعية التي تعمل على إبراز الخصوصية الإسلامية، واستجلاء عناصرها المميزة، والكشف عما يمكن أن تضيفه للمسيرة الإنسانية المعاصرة من قيم ومبادىء، ومفاهيم تترجم التواصل، والتفاعل ـ بين الحضارات ـ الذي ندعو إليه.

ب ـ الانفتاح على الحضارات الأخرى

إن الاعتزاز بالهوية، والخصوصية الحضارية لا يعني إهمال الحضارات الأخرى أو الانغلاق في مواجهتها وادعاء التميز عليها، ورفض نتاجها الإنساني، فمثل هذا الموقف الانعزالي السلبي لا ينسجم مع مقتضيات الحوار ومتطلباته، وهو يصدر عن فهم غير موضوعي للتاريخ الحضاري الذي هو في مجمله ثمرة الجهد الهائل، والمتراكم للمسيرة الإنسانية على مدار التاريخ.

لقد كان جوهر العلاقة بين الحضارات على ما شابها من مظاهر الصراع والحروب هو التفاعل والأخذ والعطاء... وعلى هذا النحو كانت حضارتنا الإسلامية حضارة عالمية وإنسانية، وكانت الثقافة العربية الإسلامية ثقافة متفتحة قابلة لاستيعاب كل أنواع الثقافات التي احتكت بها.

إننا ندرك على ساحة الحوار أنه لا تعارض إطلاقاً لدينا بين الالتزام بالثوابت الدينية والمحافظة على الهوية، وبين الأخذ، والاقتباس من الحضارات الأخرى، والإفادة من التراث والنتاج المشترك للحضارات الإنسانية على مدى العصور المختلفة، ومنها النتاج الحضاري المعاصر، بما يساعدنا على حل مشكلاتنا، ويخدم قضية تطورنا وتقدمنا... ذلك أن الأخذ والتفاعل والتواصل يتم بميزان من قيمنا الأصيلة، وبمراعاة خصوصيات هويتنا... وهو تفاعل وتواصل تفرضه وبدرجة غير مسبوقة الحقائق الجديدة في عالم اليوم الذي أضحى أكثر اتصالاً، وترابطاً وتشابكاً في مصالحه وقضاياه...

> هناك مقتضيات ودواع عديدة تدفع إلى ضرورة تجديد مفردات خطابنا الفكري

ج ـ إبراز الطابع الإنساني للفكر الإسلامي

إن خطابنا الإسلامي المعاصر بحاجة إلى التركيز على إبراز الخصوصية الإنسانية في الإسلام على وجه ملائم بعد أن ظل طرحنا لهذا البعد الإنساني المهم ضعيفاً ومحدوداً، ومما يضاعف من هذه الحاجة، ما نلاحظه على الصعيد الإسلامي من ضآلة الوعي بالقيم والمنطلقات الإنسانية المستمدة من شريعتنا، والتي يتعين أن تشكل نسيجاً للعلاقات والروابط الداخلية والخارجية للمسلمين لصالح تنامي بعض التيارات، والاتجاهات، والنزعات، والسلوكيات الخاطئة التي لا تعطي لهذا البعد اعتباره

الواجب، وتقدم عليه بعض الممارسات والرؤى الخاطئة، فضلاً عما نلاحظه من تنام للهجمات الإعلامية المعادية والمغرضة في بعض الدول، والتي تعمل على تشويه صورة الإسلام وتصويره للرأي العام الدولي على أنه دعوة للعنف والتطرف، وردة حضارية، ومعاد للتطور، ولقيم الحريات وحقوق الإنسان.

ومن هنا تبدو الأهمية البالغة لإعادة الكشف عن الحقائق الأصيلة الخاصة بمنظومة القيم الإنسانية المتكاملة التي تميز الإسلام، وتركز على إبراز تلك القيم الإنسانية والجوهرية في خطابنا الحواري وتبدو تلك الأهمية على أكثر من مستوى منها:

ــ ترسيخ الوعي ــ بأبعاد الطابع الإنساني للثقافة الإسلامية في العقل والوجدان الإسلامي المعاصر، وما يرتبه ذلك من آثار إيجابية ـ ثقافياً، وتربوياً، وسلوكياً.

ـ إظهار حقيقة الوجه الحضاري والإنساني للإسلام على الصعيد العالمي.

ــ دعم الاتجاه الذي يرى الانفتاح على نتاج الفكر، والحضارة المعاصرة، والإفادة من التعايش الحضاري واتخاذ الحوار كأساس للعلاقات بين الحضارات المختلفة.

ـ التأكيد على قدرة الإسلام على وضع مبادىء، وقيم أخلاقية روحية ذات أهمية عالمية توجه وترشد تطور المجتمع الإنساني المعاصر، خصوصاً مع تزايد الإحساس العالمي بأزمة الإنسانية في ظل التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتسارعة، حيث يؤكد هذا الطابع الإنساني قدرة الإسلام على أن يوفر لحركة الحياة كلها قيما حافظة للعلاقات الإنسانية قادرة على زرع بذور الاستقرار، والأمن، والسكينة في عالم يشوبه القلق وفقدان الشعور بالأمن وضحالة، وتصدع المشاعر، والعلاقات الإنسانية.

د ــ التأكيد على المضمون الحضاري للخطاب

ينبغي أن يكون خطابنا في مواجهة الآخرين خطاباً حضارياً متكاملاً وفي مقدمة الخصائص التي تكسب الخطاب طابعاً حضارياً اتسامه بالواقعية.. أي ارتباط الخطاب بحركة الواقع الراهن إسلامياً ودولياً، وبإشكالياته وقضاياه وتحدياته... وعلى ذلك يبدو ضرورياً أن يمتلك الخطاب القدرة على قراءة وفهم هذا الواقع والتعرف على عناصره، ومكوناته، وقواه المختلفة، وتطوراته، ومتغيراته، وتحولاته المتسارعة بأشكالها وصورها، وميادينها المختلفة، والتي تفرض أوضاعاً محلية وإقليمية ودولية جديدة تتطلب الحاجة إلى إدراكها والتعامل معها، وأن يعمل على صياغة تصورات ومفاهيم وحلول ملائمة تستجيب لمتطلبات واحتياجات النهوض بهذا الواقع، انطلاقاً من المبادىء والقيم والمقاصد الإسلامية.

ولأن الكثير من القضايا والإشكاليات المطروحة على ساحة الحوار سوف تتعلق أصلاً بأزمات التخلف والنمو، والتراجع والتقدم الحضاري، وهي قضايا اكتسبت في المرحلة الراهنة أهمية بالغة على صعيد العلاقات الدولية، ومن ثم فإن المحتوى والمضمون التنموي لخطابنا الفكري يبرز ليكون محوراً جوهرياً ورئيسياً من محاور الطرح الحضاري... غير أن المهمة الكبيرة التي تنتظرنا في هذا الصدد، هي تأكيد حيوية خطابنا وقدرته على الإبداع الحضاري، وذلك بالكشف عن القيم والمفاهيم، والتصورات التنموية في المنظور الإسلامي، والتعريف بما يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامي من معالجات، وصيغ متميزة في المجالات التنموية المختلفة.

ويبرز أخيراً المستقبل ـ مستقبل الأمة ومستقبل البشرية ــ بصوره وآفاقه ومتطلباته ليكون واحداً من أبرز القضايا المطروحة على الحوار وذلك بالنظر إلى الأولوية التي يحتلها على سلم اهتمامات الأطراف الأخرى... وهي أولوية ينبغي أن نلتفت إلى خطورتها البالغة... وعلينا هنا أن نقبل على هذا التدافع الحضاري، وألا يتخلف خطابنا نحو التوجه إلى المستقبل واستشرافه ورسم وصياغة مساراته، وأن ينشغل بتحدياته المتوقعة حتى تأتي تطوراته ومتغيراته ــ وهي قادمة لا مفر منها ــ واعية ومقصودة.

٢ ـ ارتباط حوار الداخل الإسلامي بالحوار مع الآخر

يبدو أمراً مهماً وضرورياً لنجاح حوارنا مع الآخر أن يسبق هذا الأخير ويواكبه، ويرتبط به حوار إسلامي ــ إسلامي ــ يتصل بمجمل قضايا وإشكاليات الشأن الإسلامي،وتكون قضية الحوار الحضاري بالضرورة في مقدمة هذه القضايا... إن الأمر يتصل أساساً بأهمية العمل في البيئة الإسلامية على توفير ثقافة حوارية بدرجة كافية، وأرضية صحيحة وسليمة ومتينة تستند إليها، وتنطلق منها وتنمو فيها علاقاتنا الحوارية، وتتولد وتتأصل فيها التقاليد، والأعراف الحوارية كمنهج وأداة ووسيلة لازدهار وإثراء حياتنا الفكرية والثقافية.

> إن الاعتزاز بالهوية، والخصوصية الحضارية لا يعني إهمال الحضارات الأخرى

والحوار هو الأداة الحضارية لتبادل الآراء ومناقشة الأفكار والتعرف على المواقف المتباينة، والبحث عن فهم أو أرضية مشتركة... ولقد أصبح الحوار في عالم اليوم لغة ضرورية لدوام التعايش وتحقيق المصالح بين الشعوب، والأمم وإدارة الاختلاف والتنوع بين التجمعات والقوى والتيارات المختلفة، وبينما الحال كذلك من حولنا فإننا نأسف لتراجع هذا المنهج الحضاري من على قائمة العلاقات بين التيارات والمدارس الفكرية على الساحة الإسلامية لحساب شيوع منهج خاطىء يشكل واحداً من أبرز الإشكاليات الإسلامية الراهنة.

إنه منهج المواجهة، والصراع، والخصومة، والعداء، والتجريح المستمر، وتبادل الاتهامات، منهج الضيق بالمخالفين، والمسارعة إلى اتهامهم في أفكارهم ونياتهم وأخذهم بالشبهة، وسوء الظن، أو النيل من دينهم وتقواهم... ولقد كان من آثار شيوعه انقطاع سبل الاتصال والحوار... وفقدان القدرة ـ في حالات كثيرة ـ على الحوار والمناقشة، والمناظرة، والشورى، والتقويم والنقد الذاتي، وبروز ضروب من التخويف والإرهاب والتعصب الفكري، دفعت ببعض العلماء والمفكرين إلى العزوف عن الجهر بآرائهم والمشاركة في إثراء وإنماء الفكر ودفع مسيرته نحو تجاوز حالة الأزمة التي يمر بها.

علينا إذن أن نعمل على الأخذ بمبدأ الحوار، وأن نجعله مبدأ المبادىء الذي يحكم العلاقات بين الأطراف، والمدارس، والتيارات الإسلامية، وأن نحرص على تأكيده وإشاعته في العقل المسلم، وأن نضع له أكثر الصياغات سعة ومرونة، والأسس، والضوابط التي تضمن تحوله من ممارسة عشوائية إلى ممارسة منظمة وواعية، لأنه بالحوار والثبات عليه نفتح الطريق رحباً فسيحاً لبناء علاقات صحية قوامها التآلف،

والتفاهم والمشاركة البناءة من أجل صياغة المفاهيم والتصورات الملائمة التي تساعدنا على حل الكثير من مشكلاتنا، ومواجهة الكم المتراكم من قضايانا.

٣ ـ آلية إسلامية للحوار

لن تتحقق لنا القدرة على التعامل الصحيح والسليم مع الحوار بندية وكفاءة مرجوة، إلا بامتلاك الأداة والآلية التي يناط بها إدارة كل ما يتعلق بالحوار الحضاري في مراحله المختلفة، والإحاطة بكل ما يتصل به على نحو علمي منظم ومؤسسي.

إن مثل هذه الآلية تصبح ضرورية لدواع عديدة، منها مواجهة القنوات المتاحة للحوار اليوم وهي في معظمها لدى الأطراف الأخرى (مثل لجنة الحوار بالفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي، ومجلس كنائس الشرق الأوسط)، فضلاً عن أن التخطيط للحوار ووضع البرامج الخاصة به والإعداد له، وتحديد أهدافه وأولوياته وأسلوبه وكيفية التعامل معه، وتعبئة أفضل الطاقات الفكرية المتاحة لخدمته، وإنجاز البحوث والدراسات المتصلة به... وطرح وتحليل الرؤى المختلفة... والتوصل إلى صياغات مشتركة... وتوجيه وتقويم ومراجعة نتائجه، وتحديد مساراته المستقبلية، والتنسيق بين البلدان الإسلامية بخصوصه.. وغير ذلك من الأمور التي تتصل به هي في حاجة إلى عمل مؤسسي يضطلع بمهامها، ويضع كل الجهود ضمن منظومة موحدة توفر المقومات والإمكانات، والشروط اللازمة لإنجازه على وجه ملائم وتضمن له الاستمرارية، والفاعلية معاً.

وليكن هذا البناء المؤسسي المقترح، والخاص بشؤون الحوار في شكل مكتب دائم أو سكرتارية دائمة لدى منظمة المؤتمر الإسلامي.

٤ ـ المبادرة إلى الحوار والتصدي بصراحة لإشكالياته

إذا كانت هناك الكثير من الأسباب الحقيقية التي دفعت إلى عدم اهتمامنا بالحوار مع الآخرين، وإلى تزايد الشكوك والمخاوف لدى البعض من حقيقة الدعوة إلى هذا الحوار وجدواه، وهي أسباب تقف وراءها الموروثات التاريخية للصراع التاريخي الطويل بين الإسلام والمسيحية، ومرحلة الاستعمار الغربي للبلدان الإسلامية، وأخيراً محاولات الهيمنة الحضارية الراهنة، والتي اكتسبت صوراً عديدة... إلا أنه في المقابل، ولأسباب أشرنا إلى بعضها علينا أن نعي بأن حاجاتنا للحوار لا تقل عن حاجة الآخرين له إن لم تزدد.

ولهذا فواجبنا أن نبادر به وأن نكون أكثر حرصاً عليه.. وأن نمتلك الجرأة على الإقدام عليه والإصرار على مواصلة مسيرته مهما كانت العقبات، ويغدو الاعتراف بإشكاليات، ومصاعب الحوار وتعقيداته في هذا السياق أمراً ضرورياً لنجاحه.. ولن نتمكن من مواجهة وتقليص تلك العقبات والإشكاليات، وتجاوز أزمة الثقة، وحالة سوء الفهم المتبادل ـ إلا بالمكاشفة الشجاعة، والوضوح، والصراحة التي تستند إلى اعتبارات موضوعية تعبر عن نفسها بلغة خطاب عقلاني بعيداً عن الطابع الدعائي، والانفعال العاطفي.



■ صورة ارشيفية للمؤتمر العام السابع

٥ ـ لجنة تحضيرية إسلامية للإعداد للحوار

وحتى يمكن أن نتوافر على أفضل الشروط والظروف الموضوعية المواتية لإجراء الحوار فإننا نقترح على مؤتمركم الموقر تشكيل لجنة تحضيرية للإعداد للحوار من نخبة متميزة من علماء، ومفكري العالم العربي والإسلامي. تضع أمامها مجموعة من الأسئلة الجوهرية التي تتصل بالحوار، وتعمل على الإجابة عليها لتكون تمهيداً، ومقدمة ضرورية تهيىء وتوجه للحوار المقترح... إن اللجنة التحضيرية مطالبة بالإجابة على تساؤلات من مثل... تحديد المقصود بالحوار ومبرراته، وأهدافه وغاياته وأطرافه... والمشاركين فيه... وأصوله ووسائله ومستوياته التنظيرية أي إطاره الفلسفي... والقضايا التي يجب أن تحظى بالاهتمام قبل غيرها.. والمفاهيم الأساسية التي تشكل تصورنا الثقافي والحضاري الذاتي... إلى غير ذلك من العناصر والقواعد الرئيسية التي تتصل به...

إننا نأمل في صياغة علاقات حضارية متكافئة بين الإسلام والحضارات الأخرى، تكون أكثر عدلاً وإنصافاً وتوازناً، وتقوم على إرساء دعائم الاحترام المتبادل، والتفاهم والتعاون الإيجابي، والعمل المشترك لخير الإنسانية كلها، وتلك مسؤولية على درجة بالغة من الأهمية. علينا أن نضعها في مقدمة همومنا وانشغالاتنا ■

> خطابنا الإسلامي المعاصر بحاجة إلى التركيز على إبراز الخصوصية الإنسانية في الإسلام

المصطلح في الفكر الإسلامي بين الأصالة والتغريب

بقلم: محمد مصطفى سليم

المصطلح شفْرَةٌ مقننة، تختزل بداخلها مجموعة الأسس والمفاهيم والدلالات المتفق أو المتوافق عليها بين الكاتب والقارئ في مجال معرفي محدد، نوعا من التواصل والتفاهم الواعيين. وتنبثق أصالة المصطلح من كونه إفرازا صادقا للواقع (المادي/الفكري) يعكس معتقداته وهمومه، بل واستراتيجياته في سياق متكامل ونسيج حي يتبدل ويتغير بالتطور والمواكبة للمتغيرات الواقعية. وهنا يتجلى هدف المصطلح من جانب، وتتحدد مسئولية الكاتب الذي تعهد إليه أمانة صك المصطلح بالتكليف الإرادي، استيعابا لرصد التنقلات المادية والفكرية المتنتجة (بفتح التاء) بفعل إبداعات العقلية العربية الإسلامية من جانب ثان، لأن الكاتب وحده هو القادر على هضم الموروث والتفاعل مع الحاضر الراهن واستشراف آفاق المستقبل. ويبرز دور القارئ من خلال إلمامه بالتيارات الثقافية الأصيلة والوافدة، المطروحة على الساحة حتى يتاح له قدر كبير من التواصل في ظل ثورة المعلومات وعصر التراكم المعرفي، وهذا من جانب ثالث.

وتأسيسا على هذا المفهوم نطرح ثلاثة أسئلة متصلة ببعضها بعضاً هي:

أولا: هل مفهومنا للمصطلح يتواءم مع ماعرضناه آنفا؟

ثانيا: هل لدينا الكاتب (المفكر) المسؤول عن صياغة المصطلح الإسلامي؟

ثالثا: هل لدينا القارئ (المثقف) المواكب للتطور المضطرد في عناصر الثقافة؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة بالنفي أو الإثبات، رغم ضرورة تحديد أيهما لا تفض إشكالية المصطلح، ولذا ينحصر دورنا في هذه المقالة على تشخيص الوضع الراهن تاركين الإجابة للقارئ مع ضرورة التنبيه ـ في البداية ـ على أن هناك تمايزاً مطروحاً بين المصطلحات الناشئة في الفكر الإسلامي، وبين المصطلحات الناشئة في نطاق الفكر الغربي، فالأولى لا غبار عليها، وأما الثانية يظهر إشكالها ماثلا في عملية الإسقاط الساذج للمصطلح الغربي على الساحة الإسلامية وهو المطبوع بالطابع المحلي للبيئة الأصلية التي تولد فيها، وإن كان مكتسبا للطابع العالمي بفعل السيطرة الحضارية الآنية للغرب على العلم المعاصر. كما نضع أيدينا على تمايز دلالي للمصطلح في شقيه: اللغوي والحضاري بما يتحدد المضمون اللغوي عندنا في عدم ارتباطه بالمضمون الحضاري الغائب عن واقعنا الحاضر المتطور دوما في واقع الآخرين.

وتبدو المشكلة قائمة عند حدود الالتقاء بين الفكرين: الإسلامي والغربي في ظل تمايزهما الحضاري، حيث حملت الكلمة العربية من الناحية الاصطلاحية مدلول الكلمة نفسها في اللغة الأجنبية، مما جعل المسلم يستشعر حالة من التأزم ويلمس تفريغ المصطلح من دلالات الواقع الخاص به، والتي يفترض فيها أن تكون هي (المادة) بالنسبة للمصطلح (الصورة).

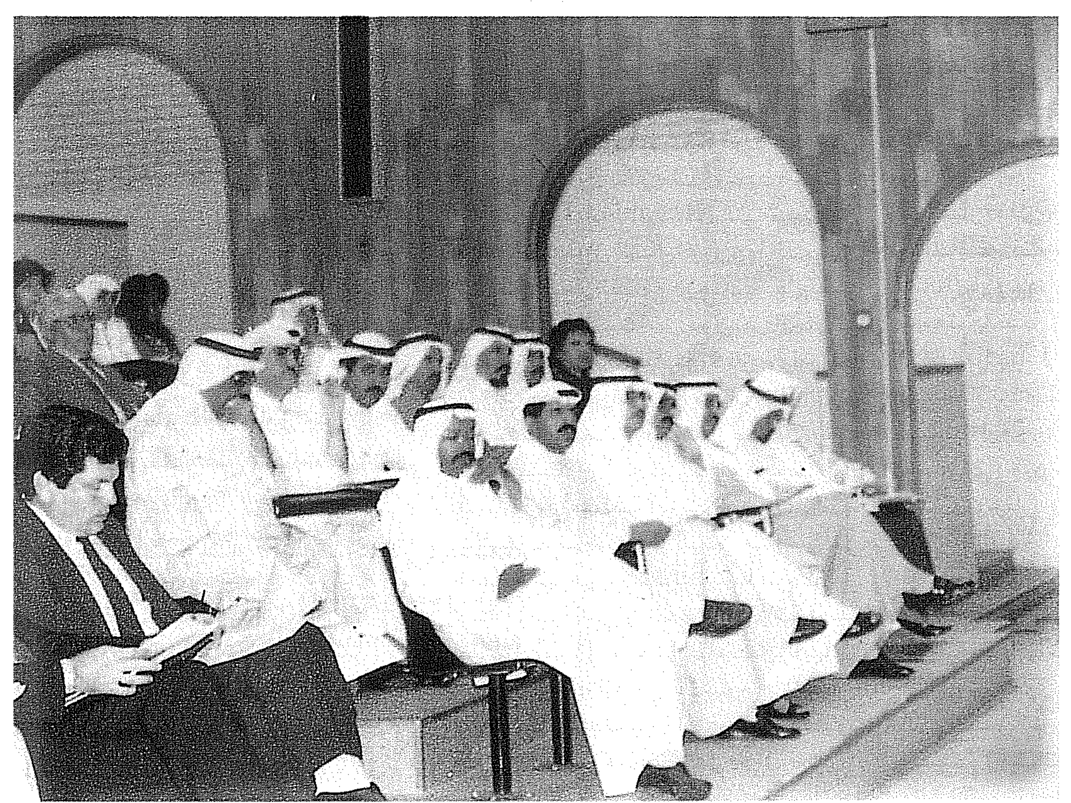
وكانت المحصلة أننا وقفنا، كتابا وقراءً، على ركام هائل من المصطلحات الغامضة في دلالاتها، والمنحوتة غربيا في واقع مغاير تماما لواقعنا، بل أصبح مقياس البراعة للمفكر منوطا بقدرته على صب النتاج العربي في القوالب المعدة في بلاد الآخرين. وقد يحميه في ذلك سياق من التبعية العمياء لكل ما هو أجنبي، فغدا أسيراً لهذه المصطلحات لا ينفك منها، وبذل جهدا كبيراً في إخضاع تأويلاته ونتاج إخوانه المفكرين، حتى أجداده من القدامى لدلالات هذه المصلحات بطريقة غير أمينة، ومتعسفة ضاربا بحد المنطق في أن يكون المصطلح (تابعا) والنتاج (متبوعا).

وإذ بالقارئ يردد، بوعي أو دون وعي، تلك المصطلحات الغامضة من قبيل التشدق والتنطع المتحذلق، وبنمط كله خيلاء وعجب بالنفس.

إمعانا في التوضيح ننوه بأن هناك ثمة ملمحاً خبيثاً، يظهر على استحياء تارة، وفي تبجح تارات وتارات أخرى، فيما تنطوي عليه هذه المصطلحات المقيدة لنا من إحداث القطيعة بيننا وبين الموروث العريق، فبالضرورة تمسخ الهوية وتضيع الذات الأصلية، أمام طوفان المصطلحات المراوغة. ولقد كان الغرب صاحب دور خطير، ومازال يلعب نفس الدور، في صك العديد من المصطلحات التي تعمل على زعزعة جسد الأمة، وتفريق وحدتها، على نحو (المحمدية) و(العروبة) و(الوطنية) و(القومية) و(الإسلام الأصولي) وساهم أبناء أمتنا بنصيب، أشد خطرا، مما ينتهجه الغرب فوجدنا (الإسلام الأرثوذكسي) و(اليسار الإسلامي) وغيرهما، مما يظن فيه القدرة على تحجيم، أو الوقوف أمام الصحوة الإسلامية المعتمدة على العقيدة والقيم الخاصة بها، التي تجعل من الأمة جسداً واحداً، يصان من الذوبان أو الفناء، في غيرهم،

> سيطر المصطلح الغربي على عقول مفكرينا، فأصيبوا بحمى التغريب

وهذا جلي في قوله تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام/١٥٣].
ولأننا لم ننعم النظر في الفوارق العميقة، بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي فلقد أصبحت كلمة (الليبرالية) تعني عندنا (الحرية) رغم مابين المصطلحين من اختلاف وتباين، والأمر كذلك مع (الديموقراطية) التي تفسر عندنا بـ: (الشورى في الإسلام)، كما انقلت إلينا مصطلحات، لم يعرفها الفكر الإسلامي، وإنما جاءت نتيجة النزعة المادية في الفكر الغربي. ومع ذلك، نستخدمها بغير تحديد، مثل (الاغتراب) و(التطور) الذي يرتبط في الإسلام بمفهوم الثوابت، بينما يقوم في الغرب على مفهوم التحول الدائم والصيرورة.
والأمر كذلك مع مصطلح (الثيوقراطية) بظلاله الغربية المرتبطة بالوثنية اليونانية والعبودية الرومانية والتثليث المسيحي، والذي لم يعرفه الإسلام، لأنه يقوم على سيطرة رجال الدين على الحكم، بدعوى الحق الإلهي، الذي يعد المشيئة الإلهية منبعا للسلطة الزمنية. كما سيطر المصطلح الغربي على عقول مفكرينا، فأصيبوا بحمى التغريب المرتفعة بمصطلح مثل (العقلانية) للتقليل من شأن الوحي والنقل (القرآن والسنة)، والأمثلة على ذلك كثيرة تحتاج إلى الرصد المتأني، والتحليل العميق.
ومن أطرف ما نسمعه اليوم، وقد نقل إلينا، مصطلح (الكارزما الأصولية) وكلمة كارزما Charsima التي تعني هبة النعمة تضم المعنى الديني والاجتماعي والسياسي والفني، ولذا اشتق منها (القائد الكارزمي) ــ الذي يعد نعمة الحركة الثورية ذات الطابع الديني والأيديولوجي، أو المعتقد الشمولي الثوري المسمى بـ (الأصولي) ـ ويهدف كما تواضعوا على تعريفه إلى انتشال الإنسان من الإحساس بالغربة في مجتمع غير مستقر، مع إعطاء مشروعية اللاعقلانية الجماهيرية التي تكبت الإبداع، وذلك بإيجاد المحركات الثقافية. وهذا خلط سخيف وغلط ساذج، مسموم، يجعل من نهرو وعبدالناصر وسكارنو ونكروما وحسن البنا ومحمد بن عبدالوهاب والسنوسي في مرتبة واحدة، وهذا لهو الظلم والتعسف بعينه.
إن طوفان المصطلحات الغربية المدسوسة في كتاباتنا، تعد فصلا من رواية طويلة، حكيت لضرب الثوابت الإيمانية الحافظة لضمير المجتمع ومقدساته. وأظن الأوان قد أتى لكي نغربل هذه المصطلحات، بعيدا عن الهجوم والدفاع، وبالتالي نصك مصطلحات، تنبع أساسا من واقعنا الاجتماعي والنفسي والإسلامي.



فليس الخلاص ــ كما نادى البعض ــ ممثلا في ضرورة تحييد المصطلح، بمعنى أنه عندما نعطي هذه المصطلحات تعريفات محايدة، بها تتجنب تفريغ مضامينها أو إعطائها مضمونا مناقضا، قد لا يكفي ذلك لانتشال مصطلحاتنا وتخليصها من رواسب غربية، تصطدم بالذات العربية الإسلامية، لأننا لا نمتلك الحضارة المهيمنة في وقتنا هذا.
ومع أن لهذا الخلاص وجاهته وموضوعيته العلمية، إلا أننا نود طرحه على صيغة ـ أكثر صراحة.. وتحديدا ـ لا تنفصم جذريا عما نادى به البعض. إن الخلاص يتمثل في ضرورة أسلمة المصطلح الثقافي، في الوقت الذي نسمع فيه عن أسلمة العلوم والفنون والمناهج والقضايا، استجابة للنداءات المتكررة حول إعادة الهوية الإسلامية الصحيحة، في واقع كله ضباب. وهنا يكمن الخلاص، أو على الأقل، نستطيع الإجابة عن الأسئلة المطروحة في مفتتح المقالة. ■

> الخلاص يتمثل في ضرورة أسلمة المصطلح الثقافي في الوقت الذي نسمع فيه عن أسلمة العلوم والفنون والمناهج والقضايا.

الحرية الفكرية... والإيمان...

فكر

هل تعتبر الحرية الفكرية نقيض الإيمان كالماء والنار فلايجتمعان؟ أم أن الفكر القاعدة والأداة التي منها وبها يؤسس الإيمان؟! هل يخيف التفكير؟ ولماذا ياترى مبررات الخوف؟ هل يقود التفكير إلى الضلال أم إلى الرشد؟ هل يعاني العالم الاسلامي اليوم من (أنيميا Anamia) فقر دم حاد فكري؟ وهل الأزمة العقلية قديمة؟ وأيا كانت كذلك فكيف ومتى بذرت هذه البذرة الخبيثة، بذرة العقم الفكري؟ والزهد في العلم والاستخفاف بالعلماء، ليرتفع (مثل) (قارون) وليُخسف بالمجتمع في ليل التاريخ؟!!...

كلها أسئلة محورية وبنيوية، لأن بالفكر يمكن توليد ثلاثة أمور في غاية العظمة: (الإيمان مع الوعي، نزع فتيل العنف وتأسيس الحوار السلمي الاجتماعي، واستنبات الديمقراطية).

فمع قدح زناد الفكر يتولد نور الوعي، ويتأسس الايمان وتزدهر الأخلاق، ويعم السلام، وتزدهر شجرة الديمقراطية ومع انطفاء الفكر يشتد التعصب، وينمو التطرف، وينفجر العنف ويخسف بالمجتمع...

بقلم: د.خالص جلبي

كانت العائلة (الألمانية) التي قصدت الاجتماع بي متوترة بعض الشيء، ففتح موضوع معقد أو غير مريح مع المسلمين من أول جلسة فيه بعض الإرباك، وهم غير حريصين عليه، وما يريدونه هو السماع من أطراف فكرية شتى، لذا وجهت السيدة الألمانية (ريناتا Renate) التي تبحث في التاريخ السؤال التالي، وزوجها الصيدلي مشدود النظر ليسمع الإجابة: هل يمكن توجيه بعض الأسئلة من دون حرج حتى لو لمست موضوعا حساسا؟ كان جوابي لها فيه الكثير من دواعي الارتخاء وازالة التوتر من جلسة البحث؟ اعتدلت في جلستي وقلت لها: أريد أن أخبركم بجو البحث قبل الدخول في مناقشة أي فكرة، هزت رأسها بالإيجاب، تابعت: جو البحث مؤسس على قاعدتين جوهريتين تتولد منهما نتيجتان في غاية الأهمية فيكون البناء الفكري ذو أربعة مفاصل أساسية: فأما القاعدتان فهما: لا حدود للبحث العلمي فلا يوجد (تابو)، وبإمكانكِ البحث فيما ترغبين، ولا حدود للحرية الفكرية فلا حجر على العقل.

﴿هل في ذلك قسم لذى حجر﴾[الفجر/٥] تأمل قسم الله بالعقل، وأما الأمران العظيمان اللذان يتولدان من جو كهذا فهو: لا خوف من طرق أي موضوع كائنا ماكان من دون أي شروط مسبقة في البحث، وطالما انتزعنا الخوف من البحث ووثقنا بالعقل والعلم، فلن يقتل أي أنسان من أجل آرائه، وهو المبدأ القرآني العظيم الذي دشن بعد أعظم آية في القرآن الكريم [آية الكرسي]، فإذا كانت [آية الكرسي] قد دشنت عظمة الله دون حدود، فإن آية ﴿لا إكراه في الدين﴾ قد دشنت عظمة واحترام العقل الانساني، فلا ممارسة لأي ضغوط تجاهه كي يعتقد ما لا يعتقده أو يمارس مايراه خطأ. تبادلت السيدة الألمانية مع زوجها النظرات، وبابتسامة خفيفة قالت: هل يمكن البحث مثلا في نظرية التطور (Evolu-tion-T)؟ كان جوابي سريعا من دون تردد: طبعا تستطيعين بحث ذلك طالما وضعنا القاعدة الأولى للبحث إذ لا حدود للبحث، فيجب أن لا نتناقض مع أنفسنا!!

كان الحوار كله يدور باللغة الألمانية التي أتقنها ونفعتني خارج اختصاص الطب أكثر من العمليات الجراحية، حيث فتحت عيناي على ينابيع ثقافية من مصادرها الأصلية وبغزارة.

بعد عشر دقائق من الغوص في البحث حصلت مفاجأة غير متوقعة، فالسيدة (ريناتا Re-nate) وزوجها ترددا أمام سؤالي: هل سمعتم بقصة (لوسي) (Luci) في علم الانثروبولجيا (Anthropolojy)؟ أجابا: لم نسمع بعد؟! كان تعليقي: إن هذه القصة ليست طازجة جدا فهي تعود إلى العام١٩٧٨ ميلادي، حين كشف العالم الأمريكي الانثروبولوجي (دونالد جوهانسون Don-ald Johanson) عن هيكل عظمي لامرأة تمشي منتصبة قبل حوالي (٣ مليون سنة)؟!.

وكان ذلك في مثلث (عفار) شرقي الحبشة الحالية، إلا أنها ثغرة بنيوية في البناء المعرفي لمن يريد دخول موضوع شائك ومعقد من النوع الذي تريدين الدخول فيه، اعترفت السيدة (ريناتا) بهذه الثغرة البنيوية والغربيون فيهم ميزتا الإصغاء الجيد والاعتراف بالخطأ وهذا يرجع إلى أنهم ينتسبون إلى حضارة (الهدوء) و(التنظيم) فهي تربية حضارية عندهم...

والعبرة في هذه القصة ميزةُ فكرة (أحدث المعلومات) وهي ما تسمى باللغة الانكليزية (Updating - Information)، فالذي يريد أن يخوض في أي بحث يجب أن يحيط به قبل أن يدلي برأيه فيه سلبا أو إيجابا. تأمل التعبير القرآني: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ [يونس/٣٩]. بل إن الإمام الغزالي يمضي إلى أكثر من ذلك في كتابه (المنقذ من الضلال) فيعتبر أنه لكي يمكن الدخول في أي بحث للرد عليه، يتطلب الغوص فيه والتمكن منه، بل وتجاوز أفضل من علم فيه حتى يأتي بالرد الناضج.

(وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على مالم يطلع عليه

صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقا، ولم أر أحدا من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك).مع كل الزخم القرآني في تأسيس قاعدة (العقل والعلم) فإن العالم الاسلامي يخاف من التفكير ويرعب من العلم فمفردات الفكر والفقه والعلم والتدبر والعقل وحواشي وأشباه هذه المفاهيم تسبح فيها الآيات القرآنية وتستحم، فتحت هذه المفردات تتكرر ما يزيد عن (١٩٤) مرة تأكيداً لمعاني (الحرية الفكرية).. و(البحث العلمي)...

فتحت مفردات (علم، علما، علمه، علمها، علمهم، علمي) تكررت (١٠٥) مرات وتحت (تعقلون، تعقل، يعقلها، يعقلون)(٤٧) مرة، وتحت (الفقه: تفقهون ـ نفقه ـ يفقهوا ـ يفقهون ـ يفقهوه ـ يتفقهوا) (٢٠) مرة، وتحت (التدبر) (٤) مرات، وتحت الفكر (فكر ـ تتفكروا ـ تتفكرون ـ يتفكروا ـ يتفكرون) (١٨) مرة... وهكذا... والعجيب هو ليس في هذا الرقم الفلكي من الحض على التفكر والتدبر والتأمل والنقد والمراجعة، بل العجيب هو هذا الطلاق العجيب، والتخلف غير المفهوم بين العالم الاسلامي والبحث العلمي والفهم المعرفي، فهي بحق أكبر من كل كارثة، لأن القاعدة العلمية هي أساس القاعدة التكنولوجية، والقاعدة العلمية هي بدورها تكوين للوسط العقلي، ذلك أن العقل هو الذي ينسج المعارف والمعلومات في بنى مميزة لإنشاء الفضاءات المعرفية العلمية الجديدة. فاليابان لم تكن لتقفز القفزة النوعية التكنولوجية من دون القاعدة العلمية واليابان بفضل القاعدة العلمية بإمكانها انتاج السلاح النووي (تكنولوجيا) في مدى شهر واحد وبالكمية التي تريد، ولكنها تصر على عدم التسلح على الرغم من كل اغراءات الولايات المتحدة لها فيما سبق والآن، فهي ترد على كل إلحاح الولايات المتحدة، بالتحية اليابانية واللطف الشرقي المعهود، إنها متمسكة بوثيقة الاستسلام الكاملة لليابان التي وقعتها معها على ظهر البارجة الأمريكية (ميسوري) في ١٥أيلول من العام١٩٤٥... والتي تقضي باستسلام اليابان ومن دون قيد أو شرط وعدم العودة للتسلح مطلقا وتسريح خمسة ملايين جندي من الخدمة. والقاعدة العلمية بدورها ترتكز إلى مناخ عقلي خصب يمتص المعارف وينميها بعد صقلها، ولذا فالتجربة اليابانية يجب أن تدرس بمنتهى الدقة كونها تروي لنا قصة عجيبة من جزر قليلة العدد تبلغ أربعا. تضم حوالي (١٥٠)مليونا من البشر، في تربة فقيرة ليس فيها أي موارد طبيعية، وكتلة مخيفة من صخور الجبال التي لا تمنح غذاء يسمن أو يغني من جوع، بل فوق رؤوسهم عواصف (التيفون) البحرية المرعبة، والأرض من تحتهم تهتز من دون توقف، والذي حصل هو عملية (الاقلاع العقلية) قبل أي عمل آخر، لمعرفة العالم الذي يحيط في هذه الجزر المعزولة في أقصى الأرض.إن محور القرآن الأساسي في هذا الاتجاه هو تزكية العلم من دون حدود، والثناء على العقل والقسم من دون تردد، وإذا أردنا إجمال مصطلحات القرآن في هذا الصدد لوجدناها تنطوي تحت أربع كلمات (العقل) ويقابلها ـ كلمة ـ (الهوى)، و(العلم) ويقابلها (الظن)، وعمد القرآن إلى إعطاء الثقة إلى (العقل والعلم)، في حين سحب الثقة من (الهوى والظن) وجمع هذه التركيبة الرائعة في نصف آية في [سورة النجم/٢٣] حينما قال: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس﴾ وأكمل الآية ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ فهنا ينقدح معنى حضاريا هائلا هو أن الهدى جماع تفاعل العقل مع العلم، في حين أن الضلال هو النتيجة البيئية لتفاعل الهوى مع الظن.. لذا يجب أن نتحرى العلم لنتمسك به، ونوقظ العقل كي نتسلح به، كي يكون لنا الكاشف الضوئي في ظلمات التخلف...

ومن العجيب والمحزن بنفس الوقت أن القرآن حينما أراد منا أن نكون شهداء على الناس فإننا خسرنا هذه الوظيفة منذ زمن بعيد، فالشهادة تعني الحضور كما يقال في الحكمة احضروا الشاهد، فإن (الشاهد) هو ذلك الذي (وعى) الحدث، فيمكن أن يدلي بشهادته كونه كان حاضرا لـ(الأحداث)...

ان اجتماع دول (السبع الصناعية) في هاليفاكس والتي يرمز لها بـ (G7) لم نكن شهودا فيها، ولا حتى بصفة (مراقب) فنحن باختصار (غائبون) عن العالم الذي يعيش فيه، بل نحن مرعوبون والرعب مصدره الجهل، كما يروى عن العالم الذي أراد أن يشرح للأمير الفرق بين (العلم والجهل) فأخبر الأمير أنه في جلسته المعتادة سوف يرمي من على السطح إلى الأرض بأوانٍ نحاسية كثيرة، فلما هدأ القوم في المجلس وشربوا وأكلوا وارتخوا وبدأوا يتسامرون عمد العالم فألقى بالأواني النحاسية إ[لى] الأرض، فكان لها صوت عظيم في هدوء اللي[ل] فارتعب الناس وقاموا وتدافعوا وكادوا أ[ن] يطأ بعضهم بعضا من شدة الخوف، و[لم] يتحرك الأمير من مكانه، فتعجب الناس م[ن] ذلك أيما تعجب، ولم يدركوا أن العلم يور[ث] الهدوء والطمأنينة، وأن الجهل هو سبب الرعب كما حدث لحمار الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل) الذي أصيب بنوبة رعب شديدة عندما اشتعلت النار في زريبت[ه] فيقول الفيلسوف إنهم عبثا حاولوا إخراج[ه] من الزريبة لينقذوه وهو يمانع، فيضيف الفيلسوف راسل إن هذا التصرف يقع في[ه] كثير من الناس بجهلهم، وأن الدجاجة الت[ي] تجرح في قن الدجاج يهجم عليها بقية الدجا[ج] فينقرون مكان الجرح حتى الموت وهـ[م] يظنون أنهم يحسنون صنعا.

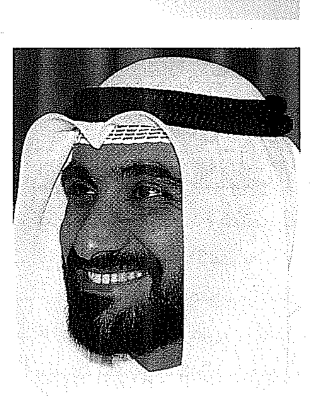
صحيح أن الكشوفات العلمية الجديدة ف[ي] البيولوجيا والكوسمولوجيا والنسبي[ة] وميكانيكا الكم وعلم النفس قد أتت بالخ[بر] اليقين عن النظام المدهش في الوجود والحـ[ق] الذي قامت عليه السموات والأرض، والعدا[لة] والتوازن الذي أسست عليه آليات البيولوجي[ا] ومغزى التاريخ، والبرمجة في الخلق والجما[ل] في كل بناء، فكل الكون يسبح لله، ولكـ[ن] المحزن بنفس الوقت أن ارتياد هذه الفضاءا[ت] المعرفية كلها تم وفي معظمه على يد علماء مـ[ن] غير العالم الاسلامي، فالبناء الذري اكتشف[ه] نيلز بور، والنسبية آنيشتاين وتم تطوير ميكانيكا الكم على يد (بول ديراك) البريطاني وفيرنر هايزنبرغ الألماني والسير في الأرض لمعرفة كيفية بدء الخلق قام بها داروين الذي لا يهمنا فيه النتائج التي وصل إليها بقد[ر] هذه الهمة التي لا تعرف الكلل لاكتشاف الأشياء الجديدة: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت/٢٠].

إن العالم الاسلامي يخاف من التفكير ويخشى من العلم ولذا فهو يضع حدودا لكل شيء، هنا نقف وهنا لا نتابع، ان شعوره هو شعور الضعيف تجاه أمواج المحيط، ولا يعلـ[م] أن الأمان كله هو في عمق المحيط... ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ [سبأ/٦] ■

التواصل الحضاري ومشروعات النهضة الإسلامية

حضارة

بقلم الأستاذ/ زبن العتيبي



شهدت الأعوام القليلة الماضية أحداثاً تاريخية مهمة أدت إلى تغيير الكثير من المفاهيم السابقة. كما أدت إلى إلقاء المزيد من المهام والتبعات والواجبات على بلدان العالم الإسلامي، بعد أن سقطت النظرية الأممية (الشيوعية).

وبعد أن انجلى غبار ما بعد السقوط وكشف لنا عن دول إسلامية شقيقة وعزيزة هناك، كانت حتى الماضي القريب قابعة خلف الستار الحديدي الأصم، والتي حاولت الأممية من خلال نظرتها الكونية أن تجرد شعوب تلك المناطق من هويتها، وإنسانها من ذاتيته وعقيدته ودوره في الحياة، وبعد أن تغير التوازن الدولي، وأصبح الجميع يبحث عن دور ما أحياناً، وفي أوراق التاريخ المنسية أحياناً أخرى وكذلك في أوراق الجغرافيا المظلومة يأتي دورنا لنقف الآن... ونتأمل إخواننا العائدين من محنة التاريخ إلى محنة الواقع الجديد، ولنحاول معاً أن نصل إلى صيغة أوضح أو صيغ مختلفة ملائمة لإخواننا، ونوقظ أحفاد الإمام البخاري القابعين هناك حتى ينهضوا من جديد وينفضوا الكابوس الذي خيم عليهم ردحاً من الزمان، وعندها يعبرون جسر اللاتوازن الحالي إلى نقطة ثابتة مضيئة، يستطيعون معها أن يعيدوا إلى هذا الإشعاع وميضه الذي طالما أغدق علينا نوره وعلمه وحكمته في السابق.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن من أين نبدأ؟....

فقد سجل التاريخ لنا بوثائقه المعتمدة وأصوله الراسخة الدور الحضاري لأولئك النفر ممن حملوا لواء الدعوة، وممن خلدهم التاريخ ونسيهم المعاصرون، فمن منا يعرف بطولات العظماء من أمثال الأحنف ابن قيس التميمي، والربيع بن زياد الحارثي، والحكم بن عمرو الغفاري وأمثالهم كثير.

ومن الذي يتحدث اليوم عن قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي فتح البلاد والقلوب للإسلام، والذي يعد بحق أول من زرع شجرة ثابتة في بلاد ما يعرف الآن بآسيا الوسطى.

هؤلاء العظماء حفظهم لنا التاريخ، والذين لم يحفظهم كُثر... لكننا نعرف أن كثيرين منهم كانوا يعرفون أن جهادهم سيذكره يوماً ما أناس لم يعرفوهم، ولم يقابلوهم، ولكنهم سيتوجهون لهم بالشكر والثناء والدعوة الصالحة الطيبة.

ولكن هل يكفي أن نتوجه لأجدادنا منهم كلمات شكر فقط. مقابل ما قدموه لنا وللبشرية وللإسلام؟

وهل يكفي أن نذكرهم دون أن نتأمل معنى ما فعلوه، ودون أن نتدبر دروس العطاء والمثابرة والعزيمة والنصر والنجاح؟

إنهم حملوا المشاعل التي أضاءت لهذه المنطقة الغالية طريق الرقي والحضارة، والإسهام في بناء التقدم الإنساني في كل مكان.

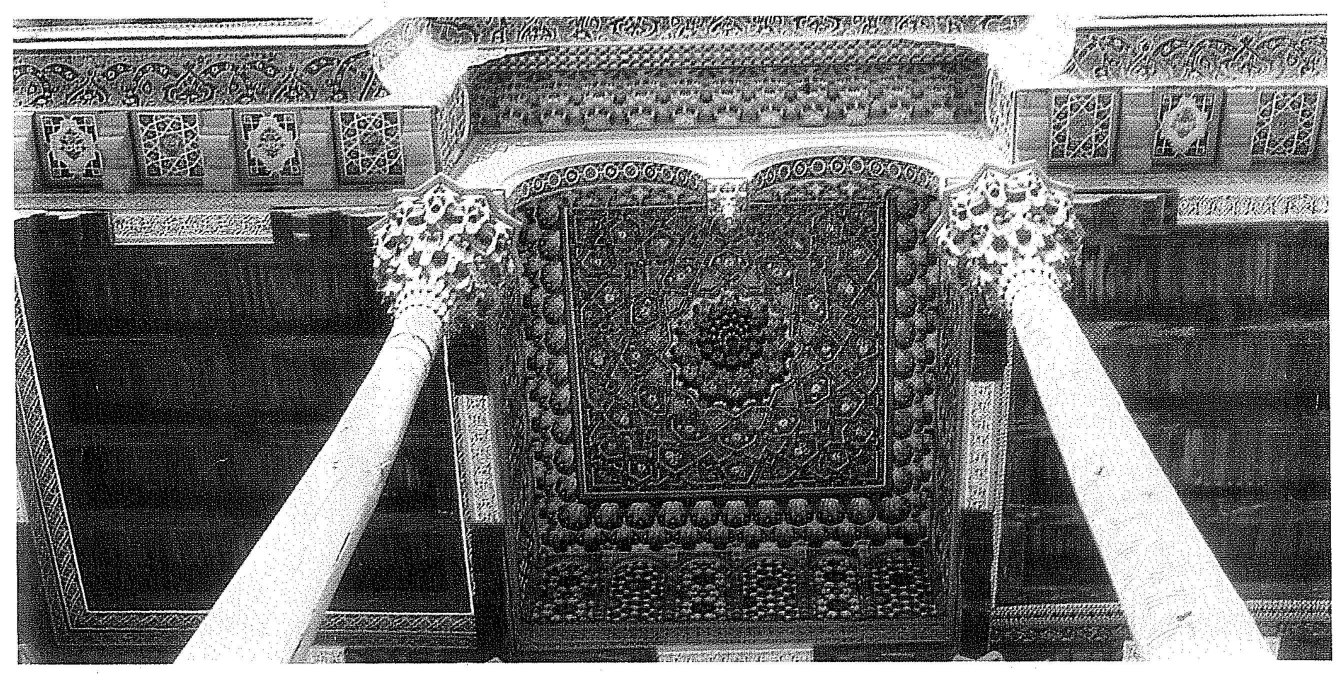
لابد لنا إذن من وقفة فاحصة، نتأمل فيها هذه المعاني ثم نحاول استخلاص بعض النتائج من حقائق التاريخ المحفوظة.

فالنتيجة الأولى التي نخرج منها بعد استقراء تاريخ فتح بلاد ما وراء النهر، هي: ارتباط الدعوة بحياة هؤلاء الأجداد ارتباطاً حميماً ومباشراً.

فمنذ أن تم فتح إقليم خراسان سنة ١٨ هـ - ٦٣٩م، والفتوحات بدأت تتوالى، والقادة يتابعون بكل إصرار وثبات، أوامر التبليغ وواجب التنفيذ في نشر الدعوة.

كما أن الحدود التي وصل إليها المسلمون في ذاك العهد المبكر، هي حدود الصين في إقليم تسنكاينغ، وهي الحدود الحالية للمد الإسلامي في هذه المنطقة، وهذا يعني أن مرحلة الاستقرار والرخاء والحضارة التي شهدتها هذه المنطقة فيما بعد، لم تؤد إلى اتساع الحدود الإسلامية فيما وراء الحدود التي وصلها المسلمون الأوائل، بل كان العكس، ونعني هنا أن تغيير وتتابع الأنظمة من قياصرة وأباطرة ، وشيوعيين لم يؤد إلى تراجع هذه الحدود عما كانت عليه.

فبعد انهيار منظومة الدول الاشتراكية ظهرت دول آسيا الوسطى من جديد وأذربيجان بهويتها الإسلامية، ومن هنا ينبع هذا التساؤل عن الثبات الزمني للمد



■ جانب من مسجد بولا كاووز

الإسلامي في المنطقة حيث امتدت من ٩٧هجرية ـ ٧١٦ ميلادية وحتى الآن. ولم تستطع فترات الرخاء أو الانحسار أن تغير في هذه الحدود الجغرافية؟

ولا نريد أن نحدد إجابة واحدة عن هذا التساؤل، ولكننا نرى أن ثبات شكل الدعوة تحول بعد فترة من الزمان إلى عائق أمام المسلمين في التقدم، كما أن ثبات الدولة أدى إلى رغبتها في التوسع رأسياً بدلاً من أن يكون أفقياً ـ إذا جاز لنا التعبير! ـ نقول إن الاهتمام بعمران المدن الجديدة، وتعليم أهلها والتعلم منهم، كان أكثر استحواذاً على اهتمام المسلمين في فترة القرن الثاني الهجري وما تلاه.

فالإسلام في تلك المناطق لم يكن دعوة قائمة على الخطب والروحانيات، بل كان تأثيره ومداه واقعاً يراه الناس كما أن مبادىء الإسلام وقيمه السامية ترفض الإكراه والقهر فهي تدعو إلى حرية العقيدة، ولهذا لم ينتشر سريعاً في تلك البلاد حتى بعد أن خضعت للمسلمين.

ويذكر التاريخ أن أجزاء كثيرة من هذه البلاد كانت تدفع الجزية وهي على دينها. فعندما تولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي إقليم الصغد أرسل ابنه لمقاتلة ملك (الختل) وكانت النتيجة أن تعاهدا على الجزية.

وفي أذربيجان كان الصلح بين حذيفة بن اليمان وحكام أردبيل على الجزية أيضاً.

وفي بخارى صالح عبيدالله بن زياد ومن بعده سعيد بن عثمان بن عفان الخاتون حاكمة المدينة على الجزية، كما صالحت هي أيضاً مسلم بن زياد على ما صالحت عليه اللذين سبقاه، دون أن تغير دينها.

ويذكر التاريخ أن أهل سمرقند قد شكوا للخليفة عمر بن عبدالعزيز من القائد قتيبة ابن مسلم لأنه دخل مدينتهم غدراً وأسكن المسلمين فيها.

فما كان من الخليفة إلا أن أمر واليه أن ترفع الشكوى إلى القاضي «ابن خاطر الباجي» ليحقق في الأمر.

فلما تحقق القاضي من صدق الشكوى أمر بإخراج المسلمين من المدينة، فاستعظم أهل سمرقند هذه العدالة ودخلوا في دين الله أفواجاً.

> لن يرحمنا التاريخ الحديث إذا أهملنا إخواننا المسلمين الذين تحرروا من ربقة الشيوعية.

ومن المعروف عن القائد الداعية قتيبة بن مسلم أنه كان مؤمناً بالدعوة إلى الإسلام عن طريق القدوة الصالحة والأنموذج الأمثل. لذا عمل على أن يسكن المسلمون البلاد التي يفتحونها ويخالطون أهلها ليروا كيف يصلي المسلمون، وليشاهدوا أسواقهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، ويتعلموا لغتهم، وبمثل هذه الأساليب كان يدعى أهل تلك البلدان للإسلام، دونما خطب أو مواعظ.

فانتشار الإسلام في بلدان آسيا الوسطى لم يكن قائماً على الفرض القسري للديانة الجديدة، كما أن سكان تلك البلاد لم يختاروا الطريق السهل لاسترضاء الحكام الجدد، بل قاوموا وأحياناً بشراسة هؤلاء القادمين الجدد باعتبارهم غرباء، ولأن الدعوة الجديدة لم تكن واضحة لديهم.

وما أن دخل نور الإسلام قلوب أهل تلك البلاد حتى أصبحوا أكثر الناس إيماناً ودعوة وحرصاً عليه، وجهاداً في سبيل نشره وتعليمه، ومن ذلك يتضح أن الجهل بالديانة كان سبباً للمقاومة ، وأن المعرفة الحقة بالديانة الإسلامية هي الطريق الأوحد للدعوة وتثبيت راية الإسلام، إذن المسألة تكمن في توافر المعرفة وإمداد الناس بها وتركهم وحريتهم ليختاروا اختيار الفطرة الذي لا يخطىء.

بعد ذلك ننتقل لاستقراء مرحلة مهمة أخرى في تاريخ هذه المنطقة مرحلة ما قبل



الاستقلال. ومن خلال هذا نتعرف على طبيعة التغييرات والتشوهات التي حدثت في المنطقة، ومدى التجهيل المعرفي الذي مارسته النظرية الأممية (الشيوعية) ضد سكان آسيا الوسطى لتبديل الهوية الثقافية للشعوب المسلمة هناك بهوية أخرى.

فالنظرية الأممية كانت ترى أن الفكر الغيبي ليس إلا مرحلة من مراحل الفكر البشري في علاقته بالطبيعة، ولم يكن هذا إلا محاولة ساذجة من الإنسان لتفسير العالم، ولإلقاء عجزه المعرفي عن الفهم على إله واحد.

وكان اعتمادها على تفسير العالم يقوم ببساطة على أن للعالم قوانين مادية يمكن معرفتها وأن لهذه القوانين وجودا في التاريخ الإنساني ورحلة البشر على الأرض، وما يعرف بالمادية التاريخية.

ولما كان استنباط هذه القوانين يقوم على عاتق البشر باعتبارهم الجنس الأرقى، فقد وصل التاريخ إلى قرب نهايته. وبالتالي كان للإلحاد في الفكر الأممي مكانه التاريخي والفكري. وعلى مستوى الفكر افترضت النظرية الشيوعية أن العالم تم تفسيره، وأنه أصبح واضحاً ويمكن قراءته من خلال قوانين الجدل. وبالتالي فلا محل هنا للغيبيات.

ومن خلال هذه النظرية كان الفكر الأممي يمارس سلطته القهرية على أتباع الديانات الأخرى، وكان نصيب الإسلام من الاضطهاد أكثر من غيره، وسبب ذلك هو أن أتباع هذا الدين كانوا من أشد مقاومي هذا الفكر الأممي، والشيء الآخر هو طبيعة الدين الإسلامي الحنيف، الذي يمثل منهجية معرفية متكاملة في تفسير السعي البشري والوجود الكوني.

وقد وجدت النظرية الأممية نفسها في مواجهة مع المنهجية الإسلامية الشاملة واصطدمت بالإيمان المطلق لأتباعها، كما كان غريباً عليها أن تجد نفسها إزاء نظرية معرفية تهب الحرية للبشر مقابل بعض النواهي التي تقيدهم، ولا يستفيد منها النظام.

لقد كان شيئاً بالنسبة لها!

ولذا لم يكن غريباً أن يلغي أحد القادة الأمميين في مرحلة مبكرة وبالتحديد في العام ١٩٢٤م المحاكم الشرعية، وأن يؤسس بدلاً منها (اتحاد المناضلين) في سبيل الكفر بالله.

ولمواجهة المنهجية الإسلامية هناك قامت الأممية بإغلاق المدارس الدينية في العام ١٩٢٦م وبلغت أعداد المؤسسات التي تم حظرها في تلك الفترة ما يقرب من ٥٠ ألف مؤسسة.

ولاستكمال حلقة الحصار على الدين الإسلامي كانت الخطوة المتقدمة هي إغلاق المساجد، ففي العام ١٩٢٨م تم إغلاق ٢٦ ألف مسجد، وتبع ذلك بالطبع تسريح الأئمة والمؤذنين وخدام بيوت الله، وكان عددهم آنذاك ٤٥ ألف شخص، ويلي ذلك القضاء على وحدة المسلمين.

وبعد أن قامت تلك السلطات بتدمير البنية التحتية للمعرفة الإسلامية، عملت الأممية على القضاء على القاعدة الاقتصادية للمؤسسات الدينية من خلال مصادرة أملاكها وأملاك الأوقاف الإسلامية في العام ١٩٣٠م، وبالتالي قضت تلك السلطات على إمكانية المسلمين المادية لبناء وإصلاح مساجدهم ومدارسهم،وأعيتهم عن القيام بالخدمات الدينية التي كانت المؤسسات الإسلامية تضطلع بها منذ أن دخل الإسلام بلادهم.

والآن.. بعد سقوط النظرية الأممية أيديولوجيا علينا أن نواجه آثار هذه الحملة

من خلال برنامجنا الحضاري اليوم نهدف إلى إعادة هذه القاعدة الإسلامية الأساسية إلى الحياة

الشرسة التي تمت ضمن خطوات وئيدة ومتصلة.
ونحن من خلال برنامجنا الحضاري اليوم نهدف إلى إعادة هذه القاعدة الإسلامية الأساسية إلى الحياة، ومن أجل هذا الدورالذي علينا إحياؤه بإحياء ودعم جميع المؤسسات الإسلامية هناك.
ومن خلال هذا الاستقراء لأوضاع المنطقة بجب أن نهتم (بالمفاهيم المعرفية الإسلامية هناك)، وأن نقدم لشباب الجمهوريات في آسيا الوسطى، دراسات وأبحاثاً وبرامج تعليمية وتثقيفية وذلك من أجل القضاء على (العلمانية) التي فرضتها تلك السلطات، فالجهل بالإسلام هو الهمُّ الأول الذي يجب أن نواجهه .
كما أن الانقطاع التاريخي لفترة من الزمان أدى إلى شبه توقف لممارسة الحياة الإسلامية هناك ومنعها من تطورها الطبيعي منذ أن دخلت الشيوعية إليها، ومنع المعرفة التاريخية الإسلامية لدى هذه الشعوب. وصور المسلمين أعداء للشعب دائماً حتى يتمكنوا من الفصل بينهم وبين الشعب هناك، ولأنهم هم وحدهم الذين يعبرون عن الشعب.
فقد شاءت قدرة الله سبحانه وتعالى أن تكون شجرة الإسلام الوارفة في آسيا الوسطى، والتي أنجبت الإمام البخاري والنسائي والنسفي والترمذي وابن ماجة وأمثالهم من أعلام العلوم الإسلامية هناك، أن تحفظ المسلمين، فلم يذوبوا تحت معاول سبعين عاماً من فرض الإلحاد أو تحطيم المآذن وإغلاق بيوت الله.إذ مازالت لهؤلاء الأعلام مكانتهم في حياة شعوبهم.
إن التاريخ الذي يدرسه ويقرؤه شباب اليوم في جمهوريات آسيا لا يمت بصلة إلى ما حدث في هذه المنطقة منذ القرن الثاني الهجري وإلى الآن، ومع سقوط الأممية نرى أنه لابد لنا وللقائمين على التربية والتعليم في جمهوريات آسيا الوسطى من إعادة تدوين التاريخ الإسلامي من جديد لإظهار الوجه المشرق لبلادهم وعلمائهم في عصور الإسلام الزاهرة هناك، كما أن السعي البشري إنما يرتبط برؤية أصحابه له وبرؤيتهم للحياة، وبطبيعة العلاقات والصراعات التي يعيشونها.
والمشكلة الآن في آسيا الوسطى تندرج تحت الأسباب التالية:

أولاً: التنوع اللغوي الحادث الآن: فبعد أن استقلت الجمهوريات هناك اندفعت جميعها إلى لغاتها المحلية وذلك من أجل استرداد هويتها الضائعة، ومن المعروف أن غالبية الجمهوريات هناك كانت تعتمد اللغة الروسية في معاملاتها الرسمية، عدا أذربيجان حيث كانت اللغات المحلية لغة منطوقة أكثر منها مكتوبة، وكان التعامل باللغة الروسية قد تم فرضه من خلال سياسة استبدال الأبجديات الأكيرليكية التي هي أساس اللغات السلافية.
كما أن اللغة التركية والفارسية هما اللغتان اللتان اشتقت منهما غالبية اللغات المحلية هناك.
وبما أن اللغة التركية نفسها قد تعرضت للتغير إبان العهد الأتاتوركي وتم استبدال الحروف العربية بأخرى لاتينية فالمسألة تبدو متشابكة ومعقدة أكثر، ومن هنا صار البعد التاريخي بين المسلمين وجذورهم التاريخية واللغوية كبيرا.
فالتراث الحضاري لهذه المنطقة كتب باللغات المحلية وبالأبجدية العربية، وهذه اللغة أصبحت فيما بعدجزءاً من تاريخ اللغات في هذه المنطقة. ومن هنا يجب البحث عن صيغة لنقل التراث الثقافي.
كما أن هناك عوامل كثيرة تتحكم في الخيارات القادمة لهذه الجمهوريات في هذه النقطة بالذات.
وإن كنا نرى من خلال تجربتنا في هذه المنطقة أن ما يناسب المرحلة الحالية هو تقديم التراث المتوافر الآن باللغة الروسية.فإن المعرفة التي كانت غائبة من قبل لم تكن حاضرة عند الشعب الروسي الآن ولذا يجب تصحيح الكثير من المفاهيم والمعلومات عند الشعب الروسي الآن

> واجب المسلمين أجمعين إيقاظ الدعوة والنهوض بها في آسيا الوسطى بعد أن كانت نائمة خلال الحقبة الماركسية.

وبخاصة في الجمهوريات ليعيد من جديد حساباته للذين كانوا وحتى أعوام قليلة خلت جزءاً من ثقافته الأممية.
فالتواصل الحضاري الإسلامي بيننا وبين شعوب هذه المنطقة يعتمد على العربية كلغة ثانية لهذه الشعوب وعلينا أن نتعلم من أصحاب اللغات اللاتينية تجربة نقل لغاتهم إلى الشعوب الأخرى حتى نتمكن من إعادة الروح الإسلامية إلى تلك المناطق ولن يتم هذا إلا عن طريق لغة الإسلام اللغة العربية.
وبالنسبة للجمهوريات الإسلامية يجب أن نعقد الاتفاقات الثقافية ونعد البرامج الخاصة للدعاة والأئمة الذين يعتمدون اللغات المحلية والروسية ونحاول إدخال لغة الإسلام العربية حتى نساعد هذه الشعوب على تجاوز المرحلة الصعبة التي تمر فيها ـ هذه الشعوب ـ اليوم، ويتطلب هذا الأمر الإسراع بإرسال المتخصصين في الشؤون الدينية واللغوية لمعرفة ما يحتاجه الناس هناك على وجه الدقة من أجل أن تكون الحركة الثقافية فاعلة وفي اتجاهها الصحيح.
ومن ثم علينا أن نجند الإمكانات البشرية والمادية من أجل الكشف عن الإبداعات والكتابات والمساهمات الفكرية لهذه الشعوب في مرحلتها القيصرية. فنتاج هذه الفترة الأدبي والفكري هو الجزء الذي أصابه التلف، فعندما كانت هذه المنطقة خاضعة للدولة الإسلامية كان نتاجها الفكري والأدبي يتم تداوله على مستوى الدولة الإسلامية بكامل أجزائها ومناطقها، وهي الفترة التي أسهمت فيها هذه المنطقة بأعظم نتاج حضاري إسلامي.
إذاً نتاج الفترة القيصرية كان مرحلة تاريخية لم تشهد فيها العلاقات بين سكان هذه البلاد والبلدان الإسلامية الأخرى تواصلاً حضارياً رغم أن الدولة العثمانية كانت لفترة طويلة هي المهيمنة على هذه المنطقة أو أجزاء منها.
وحركة الترجمة للعربية في تلك الفترة لم تتمتع بأي اهتمام أو نشاط كما أن التغيير الذي حدث للغة التركية مع إنهاء الخلافة أدى إلى اختفاء أو إهمال أجزاء كبيرة من التراث الثقافي الإسلامي العام، وأعتقد أن التنقيب في هذه المنطقة وفي تلك الفترة عن الثقافة الإسلامية قد يعيد اكتشاف العديد من الروائع الفكرية والأدبية التي ربما تحظى باهتمام واسع.

كما أن عـزل المسلمين — في هـذه الفترة في الجمهوريات السوفياتية السابقة — عن إخوانهم في البلاد الإسلامية الأخرى جعل العلاقات الديبلوماسية مع البلدان العربية تقتصر على العلاقة مع المركز الإسلامي في موسكو فقط ، بعيداً عن التمثيل الدبلوماسي وما يمثله من معان سيادية. ومن ثم كانت رحلات الحجيج من الجمهوريات السوفياتية السابقة والمناطق الإسلامية لا تتم إلا من خلال الإدارات الدينية التي أسسها النظام الشيوعي.

ونتيجة لذلك صدر العام ١٩٥٨ قرار بتجريم الذاهب إلى الأماكن المقدسة للمسلمين كما تم تجريم الحاج بتحديد عقوبته بالسجن لفترات طويلة، وامتد تأثير هذا الحظر إلى داخل الاتحاد السوفيتي نفسه ولم يكن من المألوف لدى مسلمي الجمهوريات أن يزوروا عدداً من الأماكن التي يعتبرونها ذات مكانة في نفوسهم. لكن السلطات حرمت عليهم مثل هذه الزيارات إلا لأغراض تعليمية أو تاريخية أو سياحية أو سياسية، أما أن تكون هذه الأماكن رموزاً دينية فقد كان محرماً مثل هذا الالتفات على المسلمين في آسيا الوسطى.

وأدى ذلك إلى ابتعاد المسلمين عن عباداتهم وشعائرهم وعزلهم عن إخوانهم في الدين وبالتالي إلى قلة خبرتهم في الحياة الدينية والتاريخية خارج النظام السوفياتي.

وكان هذا شيئاً يشعر المسلمين بالحاجز القسري والذي ظنوه أبدياً لكثرة ما مر بهم من مآسٍ ولتكرار القهر والتعسف والظلم المتتالي هناك وإلى جانب هذا الشعور ترافق أيضاً لدى المسلمين في الجمهوريات شعور عميق بعدم الثقة بالإغراب وكان هذا انعكاساً طبيعياً في فترات الاضطهاد الطويلة، والتواصل الحضاري الآن مع تلك الشعوب يهدف إلى تجاوز هذه العقبة بالمعرفة بالإسلام والمسلمين، والمعرفة بالذات والثقة بها وبإمكاناتها والتربية على التعامل مع الآخرين من خلال الاتفاقات والمعاهدات والاعتماد على الذات ومعرفة الهوية الإسلامية ومعنى الاخوة والمصلحة المشتركة والتآخي الحضاري...

وهذه المعرفة الصحيحة ستؤدي إلى تجاوز هذه السمة السائدة في الجمهوريات عند التعامل مع الآخرين والأغراب والاخوة أيضاً.

كما أن المنح الدراسية للطلاب في العلوم الدينية وغيرها من العلوم تسهم في كسر حاجز عدم الثقة والتعرف المباشر على أنماط أخرى من العلاقات والعادات والثقافات، ويمكن لهؤلاء الطلاب من خلال تعلمهم اللغة العربية أن يكونوا رسل حضارة إسلامية من جديد إلى مسلمي الجمهوريات في لغة الإسلام الأم فهم مازالوا يتقدمون خطوة ويلتفتون حولهم بحثاً عن الخطأ الذي يعتقدون أنه لابد من وجوده فيما حولهم.

بعد سقوط الشيوعية واستقلال الجمهوريات الإسلامية.

صار واجبنا أن نقدم لهم المساعدات على الشكل التالي

أولاً:

أن ندعم النقص في الهيكلية الاقتصادية لتلك الجمهوريات. وهذا يتطلب علاجاً. إلى جانب المساعدات المالية وإعداد الكوادر العلمية والفنية، هو إعادة هيكلة اقتصاد الجمهوريات بصورة جديدة ويكون ذلك بالدخول في مشاريع مشتركة فيما بين الجمهوريات.

ثانياً:

يجب دعم الثقافة والجانب المعرفي في ظل الظروف الاقتصادية السيئة حتى لا تكون الثقافة ترفاً يمنع الناس من الاستمتاع بها ولأنها تبدو من جهة أخرى ذات تكلفة باهظة وغير نافعة فهي لا تأتي بربحية سريعة أو عالية ومن ثم لا تجذب الناس بسرعة.

هذا الموقف إلى جانب الضائقة الاقتصادية التي يمر بها المواطنون هناك هما السر في عدم إقبال المواطنين في تلك البلاد على المساهمة في حل تلك المعضلات الفكرية والثقافية.

سقوط الأممية يدفعنا للقيام بواجبنا نحو إخوة لنا في آسيا الوسطى أغفلهم التاريخ حقبة من الزمان

وهنا نبين أن عدم الاهتمام الذي قد يلحظه البعض ممن يزورون الجمهوريات السوفياتية السابقة يرى أن ابتعادهم عن هويتهم الإسلامية يعود إلى أسباب حياتية حالية، لذا علينا أن نوجه الأنظار إلى أهمية الجهود الرائدة لجذبهم إلى هذه المواجهة، لأننا نعرف أن التأخير في هذه المواجهة قد يؤدي إلى عواقب غير طيبة بتأخير عودة الإسلام إلى ربوعهم.

كما أن إقبال بعض الطلاب على المنح الدراسية التي تهديها عدة جهات إسلامية يعتبر حلاً سريعاً للأزمات الحالية، ومن هنا ننصح بالتوسع في هذه المنح مما يؤدي إلى نتائج طيبة للغاية إذا أحسن استخدامها من قبل القائمين عليها.

وسنكتفي بهاتين الإشارتين فيما يخص ملامح المرحلة الحالية ونعني مرحلة ما بعد الاستقلال وسقوط الشيوعية.

والآن مشروعنا الحضاري الجديد هو (مشروع التواصل الحضاري مع أحفاد الإمام البخاري).

الذي نقوم به لسد الثغرة المعرفية في التاريخ الإسلامي في هذه المنطقة، ومن ثم إزاحة الستار الكثيف عن الانقطاع الذي حدث بين أبناء تلك المنطقة يسير نحو مستقبل المسلمين الناصع ومساهماتهم الرائعة في الحضارة الإسلامية.

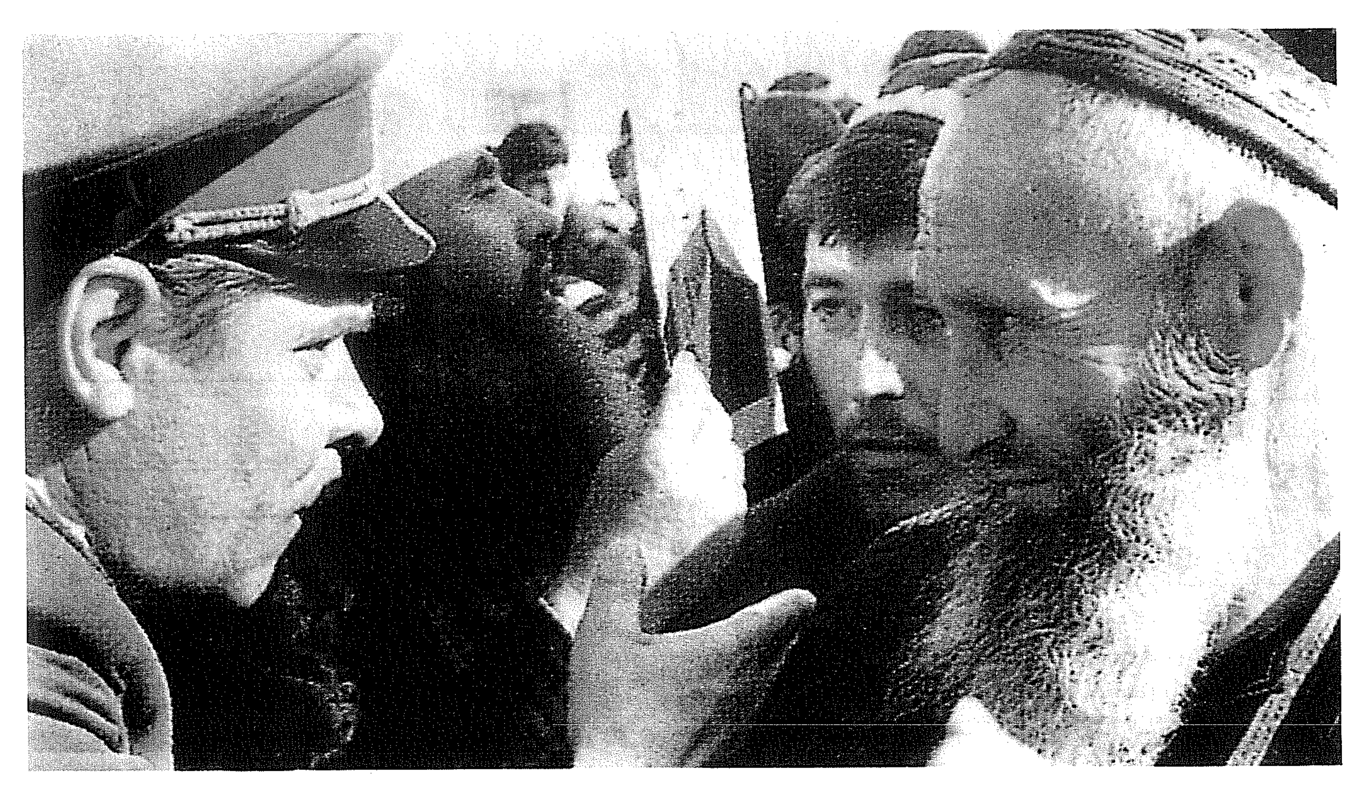
كما أن توثيق العلاقة بين الشعوب العربية والإسلامية وشعوب تلك المنطقة يجعل استشرافاً لمستقبل أفضل لنا ولهم جميعاً، إضافة إلى أن تلك الجمهوريات تمثل لنا امتداداً جغرافياً في مناطق آسيا التي يمكن أن تسهم مستقبلاً في دعم واستقرار حضارة أمتنا.

ثم إن إعادة ترسيخ مفاهيم الرحمة والعدل والتعايش السلمي بين شعوب تلك الجمهوريات يتوافق مع مبادىء ديننا الإسلامي الحنيف.

ومن خلال هذه المفاهيم لابد لنا من وضع عدة أهداف تنفيذية واضحة تمثل الوسائل التي تساعد على الوصول إلى هذه الغاية ومنها.

١ ـ إبراز الصورة الحقيقية لكل من يساهم في هذا المشروع من أجل حث الجميع على العمل الجاد والبناء والكويت حكومة وشعباً من خلال مساهماتها الخيرية والإنسانية.

ومن خلال الاهتمام في نشر وتعليم اللغة



العربية في هذه الجمهوريات.
ونشر وتعليم المفاهيم الإسلامية الصحيحة لها دور كبير بإنشاء بعض المعاهد والمؤسسات التعليمية الراقية لجميع الأعمار والمراحل الدراسية والتي تستخدم بها أرقى وسائل التعليم والمعرفة لجذب الراغبين.
كما أن تطوير العمل الخيري في هذه المناطق -مراعاة لظروف سكانها ولمواجهة بعض الدعايات السخيفة التي يروج لها بعض الناس من أعداء الدين الإسلامي- ينبه الغافلين من المسلمين إلى أهمية ما يجب أن يتم الآن من أجل مواجهة الحملة التي نقوم بها في تلك المناطق، وتعريف العرب والمسلمين في العالم بماضي إخوانهم في آسيا الوسطى يجعل للمسلمين اليوم حافزاً قوياً في إعادة التاريخ والفكر الإسلاميين في تلك البلاد.
كما أن معالجة آثار ونتائج الانقطاع الحضاري الذي حدث إبان الحقبة السابقة هو الذي يعيد للإسلام وجهه الجديد المشرق هناك وذلك عن طريق:-
١ - ترجمة معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة إلى اللغة الروسية لأنها الأكثر انتشاراً في تلك المناطق.
٢ - إقامة الندوات والمؤتمرات الثقافية بمشاركة العلماء والباحثين والمثقفين بصورة دورية للوقوف على ما يحدث وما يتم إنجازه، لتجاوز القصور الذي يحدث والمواقف الطارئة التي تستجد ومن ثم الوصول إلى نوع من التنسيق والتكامل في النشاط بين الجهات المختلفة لدعم كل منهما للآخر بدلاً من العمل المشتت.
٣ - إعداد ندوات تلفازية وتعليمية وتثقيفية وتاريخية لما لهذه الوسائل من تأثير في عدد كبير من المواطنين ولسهولة وصول المعلومات الإسلامية إلى الناس في بيوتهم.
٤ - إعداد حلقات وبرامج دينية إذاعية مترجمة إلى اللغة الروسية واللغات المحلية الأخرى، وإذاعة هذه الحلقات بصفة دورية مستمرة.
٥ - إصدار المجلات والصحف التي تعالج مشاكل هذه الجمهوريات وتتحدث عن المفاهيم الصحيحة لكل الأديان السماوية والدين الإسلامي بشكل خاص وذلك لتصحيح موقف الناس هناك.
٦ - إنشاء المعاهد والمراكز البحثية في المناطق الاستراتيجية وربطها بها في البلدان العربية والإسلامية لتعمل كمصدر دائم ثابت للمعلومات وتوافر المادة الإعلامية الضرورية للعاملين والمهتمين في شؤون المنطقة.
٧ - دعم النشاطات الشبابية في المجالات المختلفة وذلك بجلب برامج إسلامية وثقافية لهم.
٨ - تشجيع تبادل الزيارات والمعلومات بين المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية الإسلامية.
٩ - ترميم وتجديد المعالم الثقافية والأثرية الإسلامية هناك والبحث عن المخطوطات المفقودة لدراستها وإعادة نشرها.
١٠ - تكثيف النشاط الثقافي الإسلامي وإعداد المعارض المشتركة والمتخصصة بالآثار والمخطوطات والفنون التراثية الإسلامية للتنسيق والتعاون بين الجهات المعنية.
وإذا قمنا نحن بدورنا فيما قدمنا له نكون قد روينا بماء الإسلام النبتة التي ذبلت في الماضي حتى تنتج وتنطلق من جديد وتزهر وتثمر وتقطف ثمارها في المستقبل. ■

توثيق العلاقة بين الشعوب العربية والإسلامية وشعوب المنطقة يجعل للمستقبل إشراقاً وتقدماً

الزخرفة الإسلامية

بقلم أ. د.: محمود ابراهيم حسين

الزخرفة الإسلامية

تنوعت ميادين الفنون الإسلامية تنوعا كبيراً، على أن هناك أنواعاً منها اشتهرت أكثر من غيرها، ولعل الزخرفة المعروفة باسم التوريقات الاسلامية هو ما عرف عند علماء الفنون خصوصاً الأوربيين باسم (الأرابيسك)، وظل الناس ولفترة طويلة من الزمان يعتقدون أن كلمة (الأرابيسك) إنما تعني كل كنوز الفن الإسلامي في الشرق واعتقدوا أيضاً أن هذه الكلمة تعني الزخارف الهندسية والنباتية وكذلك زخارف الكائنات الحية.

سبب الانتشار

وقد اختلف الباحثون في سبب انتشار الزخرفة الإسلامية فمنهم من أرجع ذلك إلى رغبة الفنان المسلم في أن يتميز إنتاجه الفني عن الفنون السابقة عليه، فاتجه إلى الإكثار من الزخارف بأنواعها المختلفة حتى عرفت منتجات هذا الفن بالمنتجات الزخرفية .

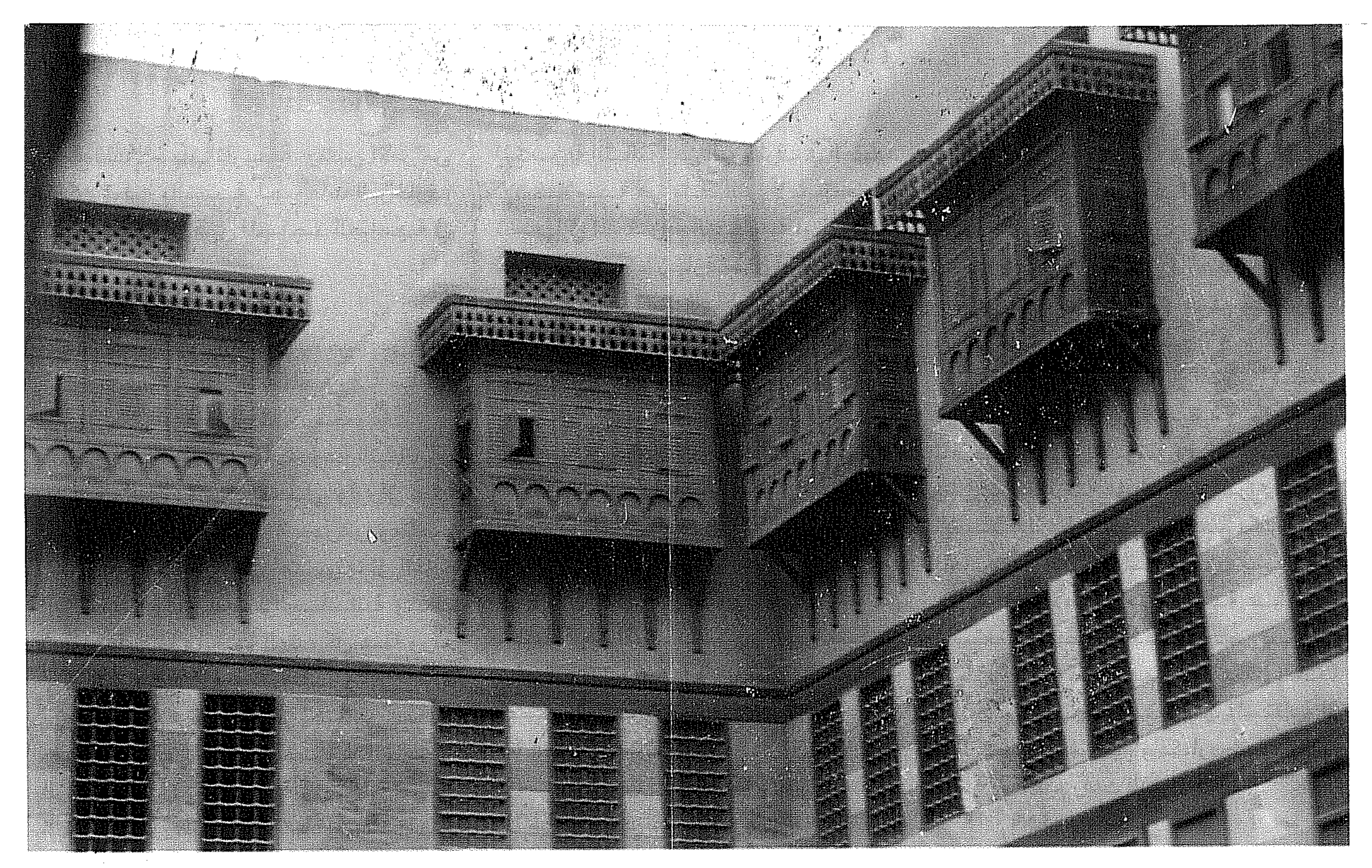
على أن بعض الباحثين ربط بين كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية وانتشار زخارف (الأرابيسك)، ويعتقدون أن انصراف الفنانين عن تصوير ورسم كائنات حية أدى بهم إلى ابتكار ميادين جديدة أظهروا فيها مهارة صناعية كبيرة، وقدرة فنية عظيمة وهي ميدان الزخرفة الإسلامية، ومع تطور الدراسات والبحوث الخاصة بالزخرفة أصبحت هناك حاجة ملحة لتعريف هذا المصطلح تعريفا دقيقا وأكثر تحديدا.

> انتشار الزخرفة يعود إلى رغبة الفنان المسلم تمييز انتاجه عن الفنون السابقة

ويعتبر الويس ريجال Alois Riegl في كتابه ماهية الطرز Stil Fragen أول من أشار إلى تعريف محدد لزخارف (الأرابيسك)، وحددها شخصياً بأنها نوع من الزخارف النباتية البعيدة عن أصولها الطبيعية التي تبدو على هيئة حلقات متشعبة انقسامية متتابعة.

ويبدو أن مجموعة الزخارف التي تنبع من عناصر نباتية خيالية وزهرية وزنبقية، وتلك التي على شكل حلزوني كانت كلها معروفة في الحضارات القديمة التي أعطت لهذه العناصر طرازها المعروف، إلا أنها كلها كانت مختلفة عن (الأرابيسك) بالمفهوم الذي طرح في منتجات الفنون الإسلامية.

على أية حال فإن الربط بين زخارف (الأرابيسك) والفنون الكلاسيكية كانت من الأمور التي تظهر وتختفي في ثنايا المؤلفين خصوصاً المستشرقين، فعلى سبيل المثال نجد (هرتزفلد) في مقالة له عن (الأرابيسك) في دائرة المعارف الإسلامية قد ربط بين الفنون الكلاسيكية وهذا النوع من الزخرفة، وذكر أن الأرابيسك ربما كانت له أصول كلاسيكية ولكن بمجرد أن أخذه المسلمون تحول عندهم وفقد كل صلة له بالفنون الكلاسيكية، كما حاول (عفيف بهنسي) أن يربط بين التصوف كمذهب انتشر في العصور الإسلامية وبين هذا النوع من الزخارف، فهو يرى أن الفنان المسلم لجأ في زخارفه إلى الإلحاح للوصول إلى الوجود الحقيقي أو المطلق الأبدي. أما الدكتور حسن الباشا فقد ذكر أن الرأي القائل بإرجاع زخارف الأرابيسك إلى الفن الكلاسيكي رأي يجانبه الصواب، ذلك أننا لا يمكننا أن نغفل الحقيقة الجغرافية للدولة الإسلامية التي وقع جزء كبير منها في نطاق العالم الكلاسيكي، وبالتالي فإن الفنانين المسلمين اقتبسوا في البداية ثم أضافوا ما يتناسب مع قيمهم الروحية، على أن (ديماند) أشار إلى أن الشكل الذي وجدت عليه الزخارف الإسلامية المعروفة باسم (الأرابيسك) في منتجات الفنون الإسلامية لم ترد على شاكلة



أي زخارف كلاسيكية، بمعنى أن الصورة النهائية للزخرفة هي عربية إسلامية.

وجهة نظر العرب

ويبدو أن زخارف (الأرابيسك) تعكس وجهة نظر العرب الذين خرجوا من الصحراء بعقيدة ونظرة جديدة للعالم المحيط بهم، ففيما يتعلق بالإسهام الحضاري لهم نجدهم قد حملوا شعرا استطاع وبسرعة أن ينتشر في صفوف العديد من الطبقات في البلاد المفتوحة، ويتميز هذا الشعر بالارتفاع الموسيقي والميل إلى ملاحظة السماء ومعرفة تفاصيل حركة النجوم بها، وهذا في حد ذاته كان كافيا للدلالة على أحاسيس العرب الجمالية ومن هنا وعندما واجه هؤلاء العرب ثروة زخرفية كبيرة في الأقطار التي فتحوها تعاملوا معها وعرضوها من خلال وجهة نظرهم التي تتطابق مع أحاسيسهم الجمالية، والواقع أن الزخرفة الإسلامية المعروفة (بالأرابيسك) كانت أنموذجاً فريداً، فالأصل في الزخرفة (ورقة) نباتية تتفرع منها أغصان في موجات غير حقيقية لا يوجد مثيل لها في الطبيعة، ولاشك أن الفنان العربي المسلم حمل في داخله وجهة نظر عالمه الذي يعايشه وهو عالم المسلمين، وبالتالي حينما اقتحم عالم الطبيعة من حوله نجده يحوِّل كل ما هو محسوس من تجربة ومشاهد موجودة في الطبيعة إلى أشكال غير حقيقية وغير موجودة على النحو الذي صوره ورسمه في الطبيعة، وهذه الرؤية الجديدة نجدها أيضا في أعمال الشعراء والأدباء والموسيقيين في إنتاجهم الشعري والأدبي والموسيقي، فالشاعر العربي لا يحاول أن يسرد ماضيا حقيقيا ولكنه كان يتناول ظلالاً من الذاكرة عن هذا الماضي، ونجده من جهة أخرى يركز فيها على المظاهر الزائلة لتلك الحوادث كما يحاول هذا الشاعر عن طريق الجناس والقافية والاستعارة والكناية والتشبيه إيجاد تكوين متكامل بوساطة التناغم والانسجام من البداية والنهاية في بيوت الشعر.

ونجد الأمر بالنسبة للموسيقى العربية فتتنوع دون اللجوء إلى تغير، ولكنه من جهة أخرى يتصاعد إلى أعلى ثم يخفت ويضمحل في نغمات متجانسة شأنه في ذلك شأن التفريعات النباتية (الزخرفية).

زخارف الأرابيسك الشهيرة تتعلق بالحضارة وتعتبر نظرة جديدة للعالم المحيط بها دوما

نشأة الأرابيسك

وبيد أن زخرفة الأرابيسك - التوريقات الإسلامية - قد بدأت حينما استعمل الفنان المسلم في مدينة (سامراء) بالعراق أسلوباً جديداً في زخرفة الجدران، عرف باسم الزخرفة المشطوفة أو المحدبة، وتطور هذا النمط من الزخرفة بسرعة كبيرة في كل أنحاء العالم الإسلامي ولدينا أمثلة كثيرة ومتنوعة لهذا النوع من الزخرفة من مدينة (سامراء)، ومن زخارف خطية من مسجد أحمد بن طولون، وكذلك مجموعة الأخشاب والعاج التي تنسب إلى فترة العصر الطولوني في مصر، كذلك وصلتنا أمثلة متنوعة لنوع الزخرفة نفسها من (إسبانيا) وعلى وجه التحديد من مسجد قرطبة - ومدينة الزهراء - إلا أن تشابه هذه الزخارف لا يعني أن زخارف التوريق الإسلامية (الأرابيسك) الموجودة في منتجات مصرية كانت أكثر ميلاً إلى الزخارف العباسية، بينما نجد أن زخارف التوريق من النوع نفسه والتي وجدت في إسبانيا أكثر ميلا للزخارف الأموية، وربما

يرجع ذلك لأسباب تاريخية، ونفس الأمر من الممكن قوله بالنسبة لمجموعات الزخارف التي وجدت في بعض المساجد العباسية في إيران.

أنواع الزخارف

ويمكن حصر الزخارف الإسلامية من نوع التوريقات الإسلامية المعروفة باسم (الأرابيسك) أو غيره إلى ثلاث مجموعات.

المجموعة الأولى: هي المجموعة النباتية، وتتألف من ورقة نخيل، وأوراق عنب وسيقانه وزهور ثلاثية الفصوص وعناصر زخرفية ترجع في أصولها إلى الفترة الكلاسيكية والبيزنطية والساسانية وكذلك في أواسط آسيا وأيضا الهند، كل هذا ورثه الفن الإسلامي ويمكن القول: ان الفترة الإسلامية المبكرة لم تبتكر تصاميم جديدة، ولكن الجديد الذي حدث هو انتشار الزخارف الشرقية النباتية في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، كما استطاعت هذه الفترة أيضا أن تمزج بين فنون زخرفية من مناطق مختلفة من العالم إلى جوار بعضها بعضاً في منتج فني إسلامي، على أن الظاهرة المثيرة للدهشة هي عدم و جود انتشار معاكس لزخارف حوض البحر الأحمر في اتجاه الشرق وهي ظاهرة محيرة إلى حد كبير.

والمجموعة الزخرفية الثانية: هي مجموعة الزخارف الهندسية وهي في الغالب داخل إطار، أو تكون و حدة هندسية محددة بذاتها كما هو الحال في زخارف الفسيفساء أو الإطارات التي تحيط بالفتحات المعمارية ويبدو أن الزخارف الهندسية كانت معظمها ابتكارات للفنان المسلم وليست كما هو الحال في الزخارف النباتية لها أصول في فنون سابقة، ويمكن وصف الزخارف الهندسية بأنها تمازج بين وحدات زخرفية كاملة وأخرى غير كاملة، وبصفة عامة فإن الفنان يعتمد في زخارفه الهندسية على الدوائر والخطوط المستقيمة، وكان الفنان يحرص في كل مرة على تجنب عمل وحدة زخرفية مرتبة أو واضحة المعالم بشكل كامل فهو غالبا ما يقطع امتدادها فجأة ويجعلها متداخلة مع عناصر أخرى وغالباً ما ينجح في ذلك كما هو الحال في زخارف الفسيفساء في خربة المفجر في بلاد الشام أو في الرخام المحفور في آثار قرطبة.

المجموعة الثالثة: من الزخارف في العقود الإسلامية هي تلك التي لا نستطيع أن نضعها في المجموعة الهندسية أو النباتية حيث يوجد فيها زخارف مثل أشكال الجزر الموجودة بكثرة على الفخار الإسلامي، من ذلك مجموعات زخارف الأقواس الموجودة على المعادن، خصوصاً البرونز الذي كان يحيط في كثير من الأحيان بأشكال زخرفية حيوانية أو آدمية، ووجدت في واجهة قصر المشتى الذي يقع على مسافة عدة كيلو مترات من مطار الملكة علياء الدولي بالأردن وقوام الزخارف عبارة عن شريط كبير يرتفع إلى أربعة أمتار، وتحتوي الزخارف على سلسلة من المثلثات تكون فيها أشكال زخرفية ينتج عنها ٥٦ مثلثا أو مساحة مثلثة متعاقبة القواعد والرؤوس، في كل مثلث منها زهرة ضخمة بارزة تحتوي في داخلها خطوطا دائرية أما باقي المساحة المثلثية فتحتوي على مجموعات مختلفة منها أشكال لولبية تؤلف دوائر منفصلة، وفي بعض الأحيان أشكال حيوانات.

زهرة اللوتس

بالاضافة إلى الزخارف السابقة نجد أن زهرة اللوتس كانت عنصرا زخرفيا دائما في الفنون الإسلامية خصوصاً المبكرة كعنصر من أقدم ما استعمل الفنان في الزخرفة في معظم الحضارات القديمة، وكان العنصر الفرعوني من أكثر العصور التي استعملت هذا النوع من الزخرفة وقد استعملت (زهرة اللوتس) من قبل الفنان المصري في العصر الفرعوني بأشكال متنوعة ومختلفة فكانت تارة مقفولة وتارة مفتوحة، وكانت بتلاتها توزع بطريقة زخرفية متميزة، وقد تأثرت العصور التالية على العصر الفرعوني بهذا النوع من الزخرفة وخصوصاً العصر البطلمي في مصر، وقد استعمل الفنان في العصر الساساني (زهرة اللوتس) التي كانت أكثر استعمالا في المعادن ودائما كانت تتصل بسيقان طويلة وأحياناً تؤلف هذه السيقان دوائر على (براعم اللوتس)، ويبدو أن الفنان المسلم في الفترة المبكرة من عمر الفنان الإسلامي تأثر بشكل (زهرة اللوتس) واستعملها بكثرة في معظم المنشآت المعمارية الأموية كما هو الحال في واجهة قصر المشتى وبعض أجزاء الفسيفساء في (قبة الصخرة)، بالإضافة إلى زخارف الرخام الموجودة في قرطبة، كما أن بعض أنواع النسيج المصري في الفترات المبكرة كانت تحمل (زهرة اللوتس) كعنصر زخرفي وبمرور الوقت بدأ الفنان المسلم خصوصاً في العصور المملوكية في رسم (زهرة اللوتس) بأسلوب متأثر بفنون الشرق الأقصى خصوصاً الفنون الصينية، ولكن من الملاحظ أن (زهرة اللوتس) لم تكن تستعمل بطريقة متوازنة على مختلف أنواع الفنون الإسلامية، بل كانت تستخدم بكثرة على المعادن على سبيل المثال وظهرت بشكل أقل على الخزف الإسلامي بصفة عامة، واستعمال زهرة اللوتس لجزء من فن الزخرفة المعروفة باسم (الأرابيسك) أفقدها الكثير من ذاتيتها وشخصيتها المستقلة إذ انها خضعت لمفاهيم وأفكار جديدة هي أفكار ومفاهيم راعت الفن الإسلامي.

الزخارف الكأسية

وإلى جوار (زهرة اللوتس) وجدت الزخارف الكأسية والتي كان يقصد بها نوع من الزخارف انتشر بمفرده وكذلك جزء مكون كفن زخرفة (الأرابيسك)، وتأتي تسمية هذا العنصر بالعنصر الكأسي نظرا للشبه بينه وبين أشكال الكؤوس ويختلف هذا العنصر من فنان لآخر ومن قطعة فنية لأخرى تبعا لعدد البتلات أو الأوراق المكونة لهذه الزخارف، ولهذا العنصر الزخرفي فيما يبدو أصول في الفنون السابقة على الإسلام، وربما استخدمه الفنان الساساني وكذلك فنانو بلاد الرافدين، وهذا ما يفسر انتشار هذه الزخرفة بكثرة واضحة في مدينة (سامراء)، وهذا العنصر الزخرفي لعب دورا مهماً في زخارف (الأرابيسك)، إذ كان يشكل المحور الأساسي والمركزي الذي ينتشر حول عناصر الأرابيسك الأخرى.

وانتشرت زخارف المراوح النخيلية على منتجات الفنون الإسلامية، وهي تبدو على هيئة ورقة مقسومة إلى قسمين يربط فيها ساق أو فرع نباتي واحد، ويبدو أن أصل هذه الزخرفة ساساني وذلك للتشابه بين العناصر المجنحة الموجودة على تيجان حكام فارس، وانتقل العنصر الزخرفي بعد ذلك إلى الفنون الإسلامية، فقد انتشر على أنواع الخزف وبخاصة الخزف ذي البريق المعدني

العباسي، كما وجدت هذه الزخرفة قبل ذلك في القصر الفاطمي والأموي وبعض المنتجات السلجوقية والمملوكية.
وترتبط بالمراوح النخيلية زخرفة أخرى هي أنصاف المراوح النخيلية، التي انتشرت أيضاً بكثرة ولعبت الزخرفات دوراً بارزاً كجزء من الزخارف الإسلامية.

الخط العربي

وإلى جوار الزخارف السابقة فقد لعب الخط العربي دوراً مهماً كعنصر زخرفي إلى جوار وظيفته الأساسية كوسيلة للتسجيل والكتابة، ويبدو أن الكتابة العربية كان لها من المميزات والخصائص الزخرفية من ذلك مرونة الحروف وسهولة الحركة والقابلية للتشكيل، وقد عرفت الكتابة العربية في صورتين:
الصورة الأولى هي ما عرف باسم الخط الكوفي وهو نوع من الكتابة العربية ذات الزوايا وقد وجد منذ بداية معرفة الناس في المناطق التي فتحها العرب المسلمون، وكانت ميادين موجودة في كتابة المصاحف، والعملات الإسلامية وكذلك مجموعات الكتابات التذكارية والتسجيلية على جدران المساجد والأخرسة، وقد تطور هذا النوع من الخطوط الكوفية التي كانت تنقل على القراطيس بفروع نباتية، ومنها الكوفي والهندسي وهو نوع من الخط أخذ شكلاً هندسياً مربعاً أو دوائر أو مستطيلات منها الخط الكوفي المصغر والذي تتداخل بعض حروفه مع بعضها الآخر أو تضاف إليه عناصر زخرفية مجدولة تضفي عليه مظهر الضفر والتداخل.
ويبدو أن فترة القرنين السادس والسابع الهجري قد شهدت أفول الخط الكوفي وزيادة الاهتمام بالخط النسخي وبدأ هذا النوع من الخطوط يستخدم في نفس المجالات التي كان يستخدم فيها الخط الكوفي ثم بدأ استخدام الخط كسجل رسمي. وظهر هذا النوع من الخط بأشكال متنوعة، منها الخط الثلث والذي أصبح له مدارس بالقاهرة لتعليمه وتحسينه، كما أن ليونة حروف الخط النسخي ساعدت كثيراً على وجوده وانتشاره على كل منتجات الفنون الإسلامية اعتباراً من نهاية العصر الفاطمي وطيلة العصرين الأيوبي والمملوكي، أما في العصر العثماني فقد اندمج النسخي مع مجموعة من الخطوط التي جاءت من الأتراك العثمانيين إلى مصر مثل الخط الديواني والرقعة.
ويمكن القول ان الزخارف المأخوذة من الكتابة العربية ليست كالمنتجات الفنية التي انتجت في العصور الإسلامية، وكذلك طُرز العمارة الإسلامية المختلفة، فكانت تتخذ شكل شرائط أفقية عريضة أو وظيفة تمتد على طول البناء ومن أبرز الأمثلة مجموعات الكتابة التي تزين سقف مسجد بن طولون وواجهة الجامع الأقمر، وكذلك واجهة مسجد الحاكم، وكذلك التي تزين ايوان القبلة في مدرسة السلطان حسن أما أمثلة الكتابة العربية الموجودة على التحف الصغرى فالأمثلة عليها كثيرة، فلدينا مجموعات التحف الزخرفية والفخارية التي تنسب إلى عصور إسلامية مختلفة، بالإضافة إلى الكتابة العربية الموجودة على التحف المعدنية من ثريات وطسوت وقواعد شمعدانية نفذت كلها بطريقة التكفيت، وإضافة معدن أغلى ثمنا من المعدن الأصلي، وفي أغلب الأحوال كان يستخدم هذا المعدن الأثمن لتنفيذ الزخرفة بوساطته وكان التكفيت يتم في معظم الأحيان بوساطة معدن الذهب والفضة.

> الخط العربي استفاد من الزخارف وأصبح أرابيسك الكتابة والتسجيل والتخطيط

الكتابة العربية

كما ظهرت الكتابة العربية أيضا على النسيج، ونفذت بالتطريز أو الإضافة، أما الزجاج فقد نفذ عليه الخط بوساطة التلوين، ولدينا أمثلة كثيرة من منتجات الزجاج الإسلامي، خصوصاً المشكاوات الزجاجية التي كانت تستخدم كوسيلة للإضاءة في المساجد والمباني المعمارية الإسلامية ويمكن القول بصفة عامة أن الزخارف الإسلامية كانت من أهم ميادين الفنون الإسلامية ■

لغة الإعلام الإسلامي وتحدياتها

إعــلام

الاعلام في حد ذاته هو أدوات لغوية مكتوبة أو منطوقة أو مصورة اذ لا يمكن ان تتحقق العملية الاعلامية إذا خانتنا اللغة في التعبير عن المعلومة، أو الفكرة أو المشهد.
وبما أن اللغة الإعلامية مطالبة بنقل الأفكار والأحساسيس والآراء وتجسيد الواقع الحسي في صيرورته وتفاعلاته وتصوير النزاعات الإنسانية ورصدها والاخبار عن الاختراعات العلمية والاحداث والكوارث الطبيعية وغيرها فإنه لابد لها (أي اللغة) ان تنهض بأمانة بهذه الوظائف كافة.

بقلم: نور الدين بليبل

تداول المعلومات

وإذا كانت عملية نقل المعلومة من حيز الاختراعات تختلف عن عملية رصد التجمعات الشعبية ثم تختلف كذلك عن تصوير مأساة انسانية، وتختلف ايضا عن وصف انسان في لحظة تعبده.. فقد تصادفنا في الممارسة ضروباً من مستويات اللغة الاعلامية او كما يسميها - عادة - الإعلاميون الاساليب التحريرية او الصيغ أو القوالب علاوة على ذلك، تكتسب اللغة الإعلامية خصوصاً المذهب الإعلامي الذي تنتمي اليه والذي يرتبط بدوره بملل ومذاهب فكرية قائمة، تغذيه بمصطلحات وألفاظ ومفاهيم وتعابير ويلزم نفسه بتبليغها وإشاعتها وخدمتها بقوة وحماس.

كل هذه المعطيات تدعونا الى طرح اسئلة ذات صلة وطيدة بدراستنا مثل خصائص لغة الإعلام الاسلامي؟ وماالصلات التي يمكن ان تنشأ بينها وبين لغة القرآن؟ وكذلك ما التحديات التي تواجه لغة الاعلام الاسلامي؟

تستمد لغة الاعلام الاسلامي خصائصها من شعار كبير ألا وهو الإسلام وبذلك فهي مطالبة ببلورة وذيوع المصطلح واللفظ الاسلامي الكامن بكتاب الله وأقوال نبيه الكريم والتراث الفكري والحضاري الاسلامي.

وان بعث ونشر الألفاظ التي هي من صميم لغة الدين الاسلامي يجب ان تحظى برعاية فائقة في سياق اسلوب الاعلام الاسلامي من اجل دفع الناس لتداولها واستخدامها وكذلك تيسير فهمها وتوظيفها (فلغة الرسالة الخالدة يجب ان تتبوأ مكانة رفيعة لدى اصحابها ولدى الناس اجمعين، فإن الله - باختياره هذه اللغة وعاء لوحيه الباقي على الزمان - قد أعلى قدرها وميزها على سواها.. والواقع ان اللغة العربية مهاد القرآن وسياجه، فإذا تضعضعت وأقصيت عن ان تكون لغة التخاطب والأداء ولغة العلم والحضارة، أو شك القرآن نفسه ان يوضع في المتاحف (١).

اللغة الاعلامية مطالبة بنقل الأفكار والأحاسيس والكوارث الطبيعية والآراء وتجسيد الواقع الحسي في تفاعلاته

لغة القرآن وعلاقتها بالإعلام

من حسن حظ لغة الاعلام الاسلامي انها تنتمي الى لغة الدين الخالد والى لغة كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

والذي هو في اللغة العربية تاج أدبها وقاموس لغتها ومظهر بلاغتها فلاعجب إذا ما أذعن البلغاء والفصحاء لإعجاز القرآن طوعاً أو كرهاً، حتى اصبحت لغته هي أصح وأدق الأصول اللغوية والبيانية، وصارت هي المقياس والميزان لكل مايراد الاستشهاد على صحة عربيته من نصوص الادب الجاهلي(٢).

ويتيح الاسلوب القرآني للإعلام الإسلامي أسباب استقامة لغته لانه يتسم بمزايا جمالية وبلاغية لاتتوافر في أية لغة كانت فالأسلوب القرآني يوافق مقتضى الحال ويناسب المقام ويعتمد الايجاز البليغ دون ان يخل بالمقصود ويستخدم الإطناب غير الممل، والتراكيب المتنوعة.

وقد حدد العالم (هبة الدين الحسيني) عدداً مهماً من ميزات الاسلوب القرآني نذكر منها على سبيل المثال:

- فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائطها
- بلاغته بالمعنى الاصطلاحي في المشهور، أي موافقة الكلام لمقتضى الحال، ومنسبات المقام، أو بلاغته الذوقية المعنوية.

– توافر المحاسن الطبيعية فوق المحاسن البديعية
–إيجاز بالغ حد الروعة دون ان يخل بالمقصود
– إطناب غير ممل في متكراراته
–طلاوة أساليبه الفطرية ومقاطعه المنهجية وأوزانه المتنوعة.
–طراوته في كل زمن أي كونه غضاً طرياً كلما تلي وأينما تُلي.
– خلوه من تنافر الحروف وتنافي المقاصد
–اشتماله على السهل الممتنع، الذي يعد في الشعر ملاك الاعجاز والتفوق النهائي..
– طواعية عبارته لتحمل الوجوه وتشابه المعاني في حدود الدقة الفقهية.
–خطاباته البديعية وطرق اقناعه الفذة.
–قوة الحجة وتفوق المنطق

ولهذا فمن واجب القائمين على الإعلام الإسلامي ان يضبطوا سياسات من شأنها التكفل بمهمة استخراج الميزات الآنفة الذكر وتحديد معالمها وسياقها، ووضعها في شكل صيغ تعبيرية وتدريب الاعلاميين على استخدامها في كتاباتهم الاعلامية، وذلك من اجل تحقيق شيئين اثنين ضروريين في العمل الصحافي هما: الدقة والاقناع.

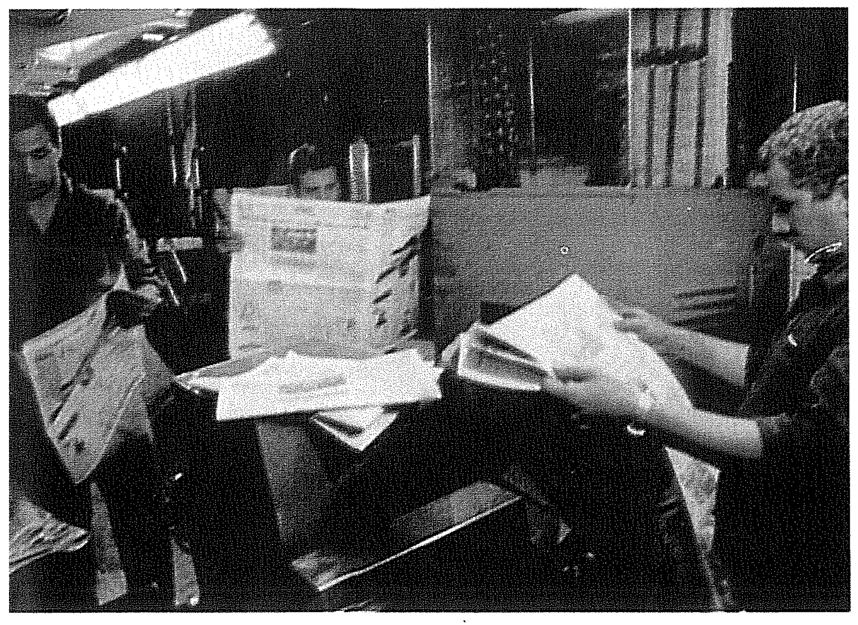
رأي الشيخ الغزالي

يقول الداعية الاسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في اسلوب القرآن (ومع رفعة المصدر الذي تحس أن القرآن جاء منه وإحساسك بأن هذا الشيء أتى من بعيد فإنك ماتلبث ان تشعر بأن الكلام نفسه قريب من طبيعتك، متجاوب مع فطرتك، صريح في مكاشفتك بما لك وماعليك، متلطف في إقناعك فما تجد بداً من انقيادك لأدلته، وانفساح صدرك لتقبله. الخ).

(وكذلك يتوافر الاسلوب القرآني على خاصية اليسر التي يسعى الصحافيون على الدوام لتحقيقها في كتاباتهم على أمل إدراك أكبر عدد من الناس واسلوب القرآن الكريم كما يؤكد الدكتور محمد عبد الله دراز(فهو قرآن واحد، يراه البلغاء أوفى كلاماً بلطائف التعبير ويراه العامة احسن كلاماً واقربه الى عقولهم لايلتوي على افهامهم ولايحتاجون فيه الى ترجمان وراء وضع اللغة).

قال تعالى:﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾[القمر:١٧].

وتتحدث طالبة من جامعة العلوم الاسلامية في قسنطينة (الجزائر) عن علاقة لغة القرآن بلغة الإعلام الاسلامي قائلة: ان الصلات التي يمكن ان تنشأ بين لغة القرآن ولغة الاعلام الاسلامي الذي يهدف الى تبليغ الدعوة الاسلامية والتعريف بالاسلام، هي صلة اقتباس ومماثلة وتأثير.. فالإعلام الاسلامي ينبغي ان يستمد لغته من لغة القرآن التي تشكل المنهج الأعلى لها فيقتبس منها ألفاظه وتراكيبه ودلالاته .



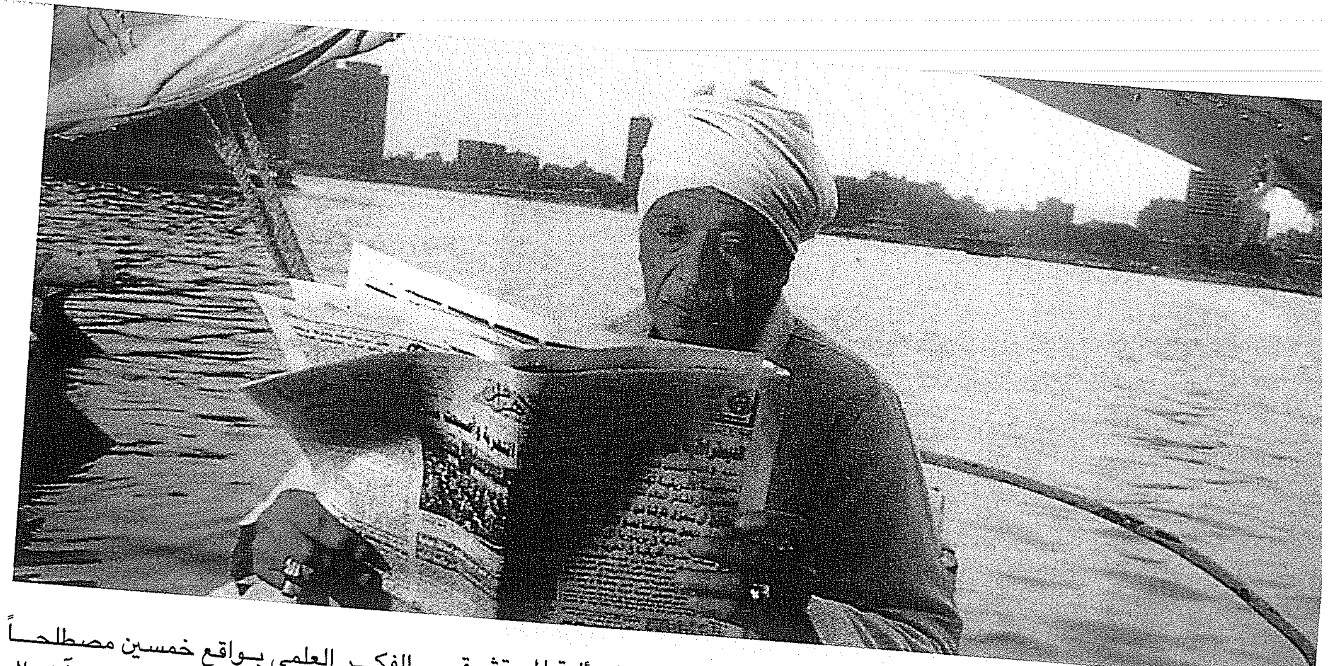
ويحاول بعض الاعلاميين منذ آماد بعيدة إغراق لغة الاعلام في التبسيط الشديد وذريعتهم في ذلك هي ضرورة مسايرة مقتضيات العصر والركض وراء اللفظ الجديد مهما كان مصدره وقوة دلالاته وضمن نفس الأهداف يعمل البعض الآخر على تغليب العامية على الفصحى في وسائل الاعلام الكبيرة بحجة ان وسائل الاعلام تخاطب الجماهير العريضة وان المستويات الثقافية والفكرية متباينة وانها في الوق ذاته تحاول ارضاء كل الاذواق.

لغة الاعلام الإسلامي تستمد خصائصها من الشعار الكبير (الإسلام) ولذلك فهي مطالبة ببلورة وذيوع المصطلح وألفاظ القرآن والسنة

إن كلتا المحاولتين تفضي بكل بساطة ا بتر التواصل الحضاري والثقافي من خلا التخلي عن القيام بوظيفة نقل المصطل واللفظ الاسلاميين من جيل الى جيل كما م شأنها تعزيز آراء الذين يدعون الى عد التعامل مع اللفظ القرآني، لانه لايناسب لـ العصر وبالتالي ينبغي وضعه في المتحف؟!

وفي مقابل ذلك نجد محاولات موغلة الذاتية والداعية– الى إغراق –او المستخدم كل نصوص الإعلام الإسلامي بفيض م الألفاظ الدينية دون مراعاة لمدى فهمه وبأن درجة فهم المادة الاعلامية قد تتذبذ بين مئة في المئة وصفر في المئة إذ من الحكم توظيف اللفظ الديني بقدر وعن بصير ووعي كاملين وفي السياق نفسه أرى أ استخدام احد المذيعين من اذاعة لند لعبارة (في يوم ذي مسغبة) للتعبير ع الفقر والمجاعة في الصومال إبان التناط القبلي، قد حقق بذكاء واضح هدفاً م أهدف لغة الاعلام الاسلامي وكذل استخدام إعلامي آخر لعبارة (وضعه الحرب أوزارها) كان لها وقعاً اكثر م استخدام عبارة (انتهت الحرب) لأن أوزا الحرب (وهو لفظ قرآني طبعاً) هي أثقال التي انتجتها تلك الحرب والتي تعا وويلاتها الناس وكلمة وزر يمكنها أن تيس فهم آية جاءت بها هذه الكلمة.

﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى



[الأنعام:١٦٤].

وعلى سبيل المثال لقد أحصيت عدداً جماً من الألفاظ القرآنية والتي -للأسف- لاتوظفها وسائل الاعلام العامة عندنا وخصوصاً على مستوى الاخبار التي تعد أكثر الاجناس الاعلامية تداولا.

تأصيل لغة الإعلام الإسلامي

تواجه الجهود الرامية الى تأصيل لغة الاعلام الاسلامي وبعثها تحديات لاحصرلها، ومن المؤكد ان هذه التحديات ستمتد في الزمان وربما ستزداد جموحاً وشراسة لاحقا.

ومن بين أهم هذه التحديات :

ذيوع الاساليب الخاطئة في لغة الاعلام المعاصر حيث يرجع الدكتور درديري جزءاً منها (إلى طابع السرعة الذي يتسم به العمل الصحافي والى تباين المستويات الثقافية للعاملين في الصحف والى الاعتماد على وكالات الانباء العالمية والاذاعات الاجنبية في كثير من موادها التحريرية).

وكذلك وجود آلاف الالفاظ والتراكيب التي لانعرف لها واضعاً ولاصانعاً والتي اقحمت في اللغة العربية كما بينها الدكتور محمد السيد محمد من خلال عمل رجال الصحافة وابتكارهم إما بالترجمة من اللغات الاجنبية وإما باستعمال المجاز والاستعارة توسعاً في دلالات الكلمات وإما بالوضع الموحي الذي يأتي عفو الخاطر ولايكون مطابقاً للقواعد واحكام اللغة من اشتقاق وتعريب وغيرهما.

وأخذ الصحافة العربية المصطلحات الجديدة عن لغات كثيرة (الانجليزية، الفرنسية، الالمانية، والروسية.. وغيرها) أدى الى اختلالات واضحة في الترجمات، ويثير الانتباه الى هذه المسألة المستشرق الفرنسي تروبو عندما قال (يتوجب على العرب وبأسرع وقت ان يوحدوا هذه الترجمات وانبه الى أنهم إن لم يفعلوا ذلك فإن زمام العلوم سيفلت من بين ايديهم) وأضيف الى ذلك شيئاً آخر، وهو انه نتيجة لاختلاف المؤثر اللغوي الاجنبي في البلاد الاسلامية فقد حدثت اختلافات في المفاهيم والنقل والترجمة والتعبير، ويشير الى هذا الأمر (مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي) بالقول(تدفق المقالات الصحافية العلمية والشبيهة بالعلمية، وفيها الكثير من المصطلحات المستمدة ارتجلها الصحفيون لعامل السرعة ارتجالا فوفق بعضهم وأخفق البعض الآخر.. وقد يظهر المصطلح الواحد اكثر من ترجمة في بلدين مختلفين بل في صحيفتين من البلد نفسه.

ويؤكد باحث عربي ضرورة توحيد مجامع اللغة العربية لمجهوداتها من اجل وضع صيغ موحدة لهذه المصطلحات على ان يلتزم بها المترجمون والمؤلفون والكتاب خصوصاً وان بعض الاحصاءات تشير الى ان المصطلحات العلمية تتوالى على ساحة الفكر العلمي بواقع خمسين مصطلحاً جديداً كل يوم تقريباً ويدعو باحث آخر الى وجوب (أن يتم ذلك بسرعة لسبب واضح هو ان المصطلحات تنصب يومياً بشكل متواصل ويجب انجاز نسبة كبرى منها ترجمة أو تعريباً، وإلا فإن الهوة ستصبح واسعة إلى درجة مخيفة).

تقليب العامية على الفصحى في وسائل الإعلام بحجة مخاطبة الجماهير يؤدي إلى بتر التواصل الحضاري والثقافي الإسلاميين

ونظرة الشيخ: محمد الغزالي رحمه الله إلى مسألة إهمال اللغة العربية نظرة إيمانية عندما قال(العجز عن جعل اللغة العربية لغة أولى بين المليار مسلم الذين يعتنقون الاسلام فشل ذريع نؤاخذ به يوم الحساب)

وانني أدعو اخيراً إلى انشاء هيئة علمية مختصة في الصيغ اللغوية للإعلام الإسلامي مكونة في الاساس من فقهاء ودعاة وصحافيين ولغويين وفنيين في الاتصال للاضطلاع بالمهام التالية:

ـ تيسير إدراج لغة القرآن- في وسائل الاعلام - النقل عن اللغات الأخرى

ـ اقتباس المصطلحات التي لها مصدر في اللغة العربية.

ـ وضع قواميس لتصويب وتدقيق لغة الصحافيين.

ـ وكذلك إعداد بحوث لغوية وإقامة ندوات في الأمر ذاته. ■

الهوامش

١- محمد اسماعيل ابراهيم- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية - دار الفكر العربي طبعة ثانية.

٢ ـ مجلة (اللسان العربي) دورية للابحاث اللغوية، ونشاة الترجمة والتعريب المجلد السابع عشر- الجزء الاول- عام ١٩٧٩.

طب

العلاج النفسي للاضطرابات السلوكية

العلاج النفسي اصطلاح عام يقصد به استخدام الطرق النفسية والمناهج والنظريات بمختلف انواعها لمساعدة من اضطربت شخصياتهم اضطرابا خفيفا أو عنيفا من قضم الأظافر والتبول اللإرادي الى علاج مرض الوسواس والاضطرابات السيكوسوماتية وذهان الفصام.

بقلم: د. محمد عيسوي الفيومي

للعلاج النفسي طرق شتى لكل طريقة ميدانها واسلوبها ومميزاتها ومايناسبها من الحالات، وقد تسهم عدة طرق في علاج حالة بعينها، ومن هذه الطرق:

العلاج بالايمان، والعلاج بالايحاء، والعلاج بالاقناع، والعلاج بالتحليل النفسي والعلاج السلوكي، ومن العلاج: السطحي والعميق، الفردي والجماعي، الموجه وغير الموجه، غير انه ومهما اختلفت طرق العلاج العلمي واساليبه فهناك خطوات يمر بها كل علاج:

> العلاج النفسي كان يقتصر على الصدمات الكهربائية بالمخ اما اليوم فحلت محل ذلك العقاقير المهدئة

التنفيس الانفعالي

ويهدف الى مساعدة المريض على الافصاح عن مشاكله ومتاعبه، والتعبير عما يعتلج في صدره من مشاعر وانفعالات وصراعات نفسية مقموعة أو مكبوتة كالخوف أو الكراهية أو الشعور بالذنب، والواقع ان كلام الفرد عن مشكلة يعانيها وسيلة يتخفف بها من قلقه كما انه قد يزيد المشكلة وضوحا فيسهل حلها، لكن الكلام قد يكون احيانا تكرارا لا معنى له بل انه قد يزيد من شدة التوتر، هنا يكون الكلام الى خبير نفسي أجدى وانفع، لانه قد يوجه انتباه المريض الى طرق جديدة لإدراك المشكلة أو يقترح عليه طرقا اخرى للتصرف.

الاستبصار الذاتي

كثيرا ما يعين التنفيس المريض على الاستبصار في نفسه، أي فهم دوافعه ومصدر متاعبه، ومايلجأ اليه من حيل دفاعية خاطئة لحل مشاكله.

فقد يتضح له انه قد رسم لنفسه

مستـــوى طمـوح أعلى بكثير من مستـــوى اقتداره أو أن فكرته عن نفسه فكرة خاطئة لا تتفق مع الواقع فهو ليس عاجزا أو فاشلا أو منبوذا أو مسلوب الارادة او لا يصلح لشيء، وقد يتضح له ان سبب مـا يعانيه من شعور خفي مـوصول بـالـذنب انما سببـه تربيـة قاسية كابحة.

تجديد التعلم

كلما زاد استبصار المريض في مشاكله وما يصطنعـه من طـرق خـاصـة لحلهـا زادت قـدرتـه على تغيير سلـوكـه وعلى التخلي عن عـاداته التـوافقيـة السيئة، وعلى استخـدام طرق أجـدى للكفاح في الحيـاة والتعامل مع النـاس، وكلما انكشفت لـه دوافعـه اصبح قـادرا على التحكم فيهـا، قـادرا على ضبط سلوكه وانفعـالاته وعلى ان يتعلم كيف يعبر عن مشـاعره العـدوانية بصـورة يرضـاها المجتمع بدلا من كبتها، في هـذه المرحلة ايضا يستطيع المريض ان يغير طـريقـة تفكيره ونظـرته الى النـاس وان يكون اكثـر اعتمادا على نفســه في حل مشـاكلــه، وان يستغل امكاناته على نحـو افضل وتعتبر هذه عملية تغيير في بنـاء الشخصية، كل هـذا والمعـالج يعينه على البحث عن طرق تـزيد من ارضاء حاجاته بإزالة العقبات المادية والنفسية التي تمنعه من ذلك.

وقد يقترح عليه تغيير مهنته أو أخذ اجازة، وقد يحدث هذا التنفيس والتصويب والتعليم خـلال مقـابـلات شخصيـة او تحت تأثير مخدر أو اثنـاء عمليـة التـداعي الحرفي أو التحليل النفس أو اثناء النـوم المغناطيسي او خـلال منـاقشـة غير مبـاشرة بين المعـالج والمريض، كما قد يقتضي العلاج ساعة في كل يـوم او خمس سـاعـات في الاسبـوع كما في التحليل النفسي او مـرة واحدة في الاسبـوع، وكل هـذه تفـاصيل فنيـة تحددهـا طبيعـة الحالـة الفـرديـة غير انه ممـا لا يـدعـو الى الاستغراب ان يستمـر العلاج احيانـا عامين او ثـلاثـة لتقـويم شخصيـة دب فيهـا الاضطراب طوال عشرين أو ثلاثين عاما.

وسنعـرض اهم طـرق العـلاج النفسي الشائعة:

التحليل النفسي:

يستهـــدف التحليل النفسي البحـث عن مصادر الاضطراب في الصدمات الانفعالية والخبرات والـدوافع المكبـوتـة في الطفـولـة المبكرة، ولكن بما ان المكبـوت يؤذي شعور المريض لـو اطلع عليـه، فلـو حـاولنـا استدراجه الى حيـز الشعور فمن المحقق ان يقـاوم المريض في هـذه العمليـة مقـاومـة شديـدة، فلابـد من ابتكار طـريقة خـاصة للتغلب على هذه المقاومة حتى يتسنى اماطة اللثـام عن المصادر الخفيـة الـلاشعوريـة للاضطراب.

وقد اهتدى «فرويد» الى طريقة تعينه على قهر هذه المقاومة، هي طريقة التداعي الحر وتحليل الاحـلام التي يراهـا المريض، واهم مـايجب مـراعـاتـه في التحليل ان يكشف المريض بنفسه كيف نشأ اضطرابه وتطور، وهنا تبدو مهـارة المحلل في ان يدع الاسباب تفصح عن نفسهـا حتـى يـدركهـا المريض بنفسه وبمجهوده الخاص ويعـرف صلتها بحـالتـه على ان مجرد معـرفـة المريض لذكريـاته المنسية ودوافعه الـلاشعورية لا يكفي للشفاء بل لابد له ان يشعر بما لصق بهذه الـذكـريـات مـن انفعـالات مكبـوتـة كالغضب او الخوف او الكـره او الاشمئزاز أو الشعور بالذنب أو الرثاء للذات، وبعبارة اخرى فاستعداء الـذكريات لا يكفي بل لابد من استرجاعها بمصاحبـاتها الوجدانية(ان مجرد المعرفة لايغني في الشفاء الا كما تغني معرفـة ما تحتويـه قائمـة للطعام في تهدئة الجوع لدى شخص جائع).

والتحليل النفسي عمليـة شـاقـة طـويلـة تحتـاج الى جهـد وصبر كبيرين من المحلل والمريض ولابـد لمن يقـوم به ان تكـون لـه خبرة نظـريـة واسعة بـالنفس الانسـانيـة وتدريب عملي طـويل وإلا اصبح التحليل في يده كالمشرط في يد الجراح الأخرق.

ويستخدم التحليل اليوم على نطاق واسع وبخـاصــة في حـالات المرض النفسي او السيكوسوماتي الشديد، كما يستخدم ايضا في عـلاج المرض بـالفصـام حين تستطيع العقـاقير المهدئة انتـزاعهم من عالم الخيـال وردهم الى عالم الواقع فترة من الوقت.

ونظرا لطول الوقت الذي يقتضيه التحليل فقد رأى بعضهـم اجراءه اثناء نـوم المريض نـومـا مغنـاطيسيا او بعـد حقنـه بمخـدر لإضعـاف مقـاومتـه وتيسير استـدعـاء الذكريات المنسية المكبوتة وما يصاحبها من تنفيس انفعالي.

وقد استخدم الاطبـاء الامريكيون التحليل بالتخـدير اثنـاء الحرب الاخيرة في علاج من اصيبوا بعصـاب الحرب، وللمعالج القطع في الصلاحية النسبية لهذه الطرق.

العلاج المعقود على المريض

بـدأ (روجـرز) الأمريكي هـذا النـوع من العلاج لأغراض الارشـاد النفسي ثم استخدم بعـد ذلك للعـلاج النفسي، انــه ضرب من ضروب المقابلة الشخصيـة يقف فيه المرشد او المعـالج من المستـرشـد او المريض موقفـا سلبيا قابلا اكثر منه ايجابيا فاعلا، اذ يمتنع المعـالج من تشخيص الحالـة أو تقـديم حل للمشكلة او الإدلاء بنصيحة او توجيه امر أو فـرض رأي، بل يصغي لما يقــولـه المريض ويوجه المناقشة الى هذه النقطة او تلك ابتغاء معـونتـه في الكشف عـن مشكلتـه وفهمهـا ووضـع خطة لتدبير امـوره بنفسه، وبعبارة اخرى يقع عبء العلاج على كاهل المريض لا المعالج، فكل ما يصنعه المعالج هو تهيئة جو طليق يتيح للمريض الافصاح عن انفعالاته، والتعبير عن متـاعبـه، وتجسيـد مشـاعـره وتـوتـراته في جـو سمح رضي يشجعـه على البحث والتنقيب بنفسـه، ويسـاعـده على الاستبصار في مشكلته، وتأويل ذلك ما يـراه «روجرز» من ان الشخـص الذي يجد عسرا في حل مشاكل الحياة غالبا ما يكون شخصـا نشأ على تربيـة اتكاليـة لم تكوّن فيـه عادة الاعتماد على نفسه– اذ كان أبواه يرسمان له كل خطة ويضعان له كل قرار ولا يتيحان له الفرص للاستقلال برأي أو عمل – فكان اذا ارتطم بمشكلـة او صعوبة استغـاث وطلب

> العلاج النفسي يتوقف على سن المريض وجنسه وطول مدته وتحمله لصدمات الحياة وشدائدها

النجدة ممن حوله.

لـذا اصبح من الضروري معونتـه على ان يعين نفسه - اي على اتخاذ قراراته بنفسه- وتنفيذ ما يراه صـالحا منها، فلا شيء يخلق الشعور بالمسؤوليـة مثل تحمل المسؤولية، ومن هنا يلقي عليه المعـالج المسؤولية لحل مشكلته حتى فيما يتصل بالعودة اليه.. فان قـال لـه المريض: هل تريد ان ازورك مـرة ثانية؟.. اجابه « هذا امر اتركه لك ان شعرت انك تريد العـودة عد» وحتى ان رأى المريض ان ما ظفر به اثنـاء العلاج من استبصارات وقـرارات مـن صنع نفسـه لا مـن صنع المعـالج، كـان اكثـر تقبـلا لها والعمل بمقتضاها ويـرى كثيرون ان هذا النوع من العـلاج يمكن ان يحل محل التحليل النفسي بل يمتاز عنه بأن مـا يستغرقه من وقت أقل بكثير مما يتطلبه التحليل النفسي.

العلاج السلوكي

نـوع مــن الـعلاج يقــوم علــى تعاليم «بـافلـوف» والمدرسـة السلـوكيـة هي تلك التعاليم التي ترى ان الاضطـرابات النفسية ماهي إلا عـادات سيئة اكتسبها الفـرد عفوا عن طريق مباديء التعلم، فيكون العلاج هو استئصال هذه العـادات واستبدالها بعادات اخرى صالحة.

فمثـلاً الاعراض العصـابيـة استجابـات شرطية انفعالية وحركية فالخوف الشاذ من الظلام او من قط او كلب ما هو الا استجابة خوف شرطية بسيطة والاعراض الوسواسية استجابات اكتسبها الفرد للتخفف من القلق حتى تكونت هذه الاستجابات فانها تميل الى ان تثبت وتتكـرر وفق مبدأ التـدعيم، لانها تخفض القلق.

كما تميل الى ان تعمم (اي ان اكثـرهـا مثيرات ومـواقف اخـرى شبيهـة بـالموقف الاول) فمن لـدغه الثعبان خـاف من الحبل، وقد دلت الدراسات التجريبية على ان ظاهرة تعميم المثيرات اكثر شيـوعاً بين العصابيين منها بين الاسوياء.

هذه هـي قصة نشأة العصاب مـن وجهة نظر العلاج السلوكي: فـالاعراض العصابية لا تنشأ عن عقـد نفسية طفليـة أو صراعات ودوافع لاشعورية، بل ان العرض هو المرض نفسـه وزوال العرض يعني زوال المرض عن طريق عملية «الانطفاء».

إذن فالعلاج السلوكي لا يفتش في الماضي للمريـض بحثا عن صـدمات انفعـالية ولا يلجأ الى تحليل الاحـلام او الهفـوات او اعراض المرض كما يفعل التحليل النفسي بل يرى ان هـذا كله لا داعي له ولا قيمـة له في العلاج، وللعلاج السلوكي طرق كثيرة منها: الاشراط التقليـدي، والاشراط الاجـرائي، والكف المتبادل، والممارسة السلبية، انه نوع حديث من العلاج دعـا اليه وروج له كل من ولب ١٩٥٨ وانــزنك ١٩٦٠ ونعــرض نمـوذجـاً لعـلاج التبـول الـلاإرادي عنـد الاطفال عـن طريق الاشراط التقليـدي الذي ينص على انــه إن اقترن مثير غير فعــال - كالجرس في تجارب«بافلوف»- بمثير فعال كتقـديم الطعـام للكلب استمـد الاول قـوة الثاني.

ان الطفل الذي يتبول لاإراديا في غير سنه انما يفعل ذلك لأن المثيرات التي تصـدر عن توتر مثانتـه ليست من القوة بحيث توقظه من النـوم قبـل التبـول اي انها مثيرات غير فعـالـة، فهل نستطيـع عن طـريق الاقتران الشرطي ان نجعلهـا مثيرات فعـالــة أي نستطيع ان نوقظ الطفل؟

لقد ابتكر (مـورر) طريقة تتلخص في ان ينـام الطفل على مـرتبـة بداخلهـا اسـلاك كهربـائية من شأنها ان تقرع جـرسا كلما ابتلت المرتبـة، والجرس هذا مثير فعـال اي يستطيع ان يوقظ الطفل ثم يطلب الى الطفل ان يهب من نـومه ويـذهب الى الحمام فـور سماعه الجرس سواء كانـت به حاجة او لم يكن به حاجة الى المزيد من التبول، وبتكرار هذه عدة ليال تستطيـع التوترات الضعيفة لمثـانتـه والتـي تسبق الجرس مبـاشرة ان تـوقظـــه قبل ان يـدق الجرس، ويصرح الكثيرون ممن استخدموا هـذه الطريقة انها أتت بنتـائج باهـرة بل يـؤكـد مبتكرهـا ان نجاحها كان ١٠٠٪.

العلاج النفسي له اساليب خاصة منها العلاج بالايحاء وباللعب وبالعمل

الكف المتبادل

كان (ولب) اول من طبق هـذه الطريقة في علاج الاضطرابات العصـابيـة الخطيرة عند الـراشدين ويتلخص الاستئصـال الشرطي هنا في اثـارة استجابـات تتعارض مع القلق وتكفه عن هذه الاستجابات المضادة للقلق- الأكل واسترخاء العضلات -وتـوكيد الذات وغيرها.

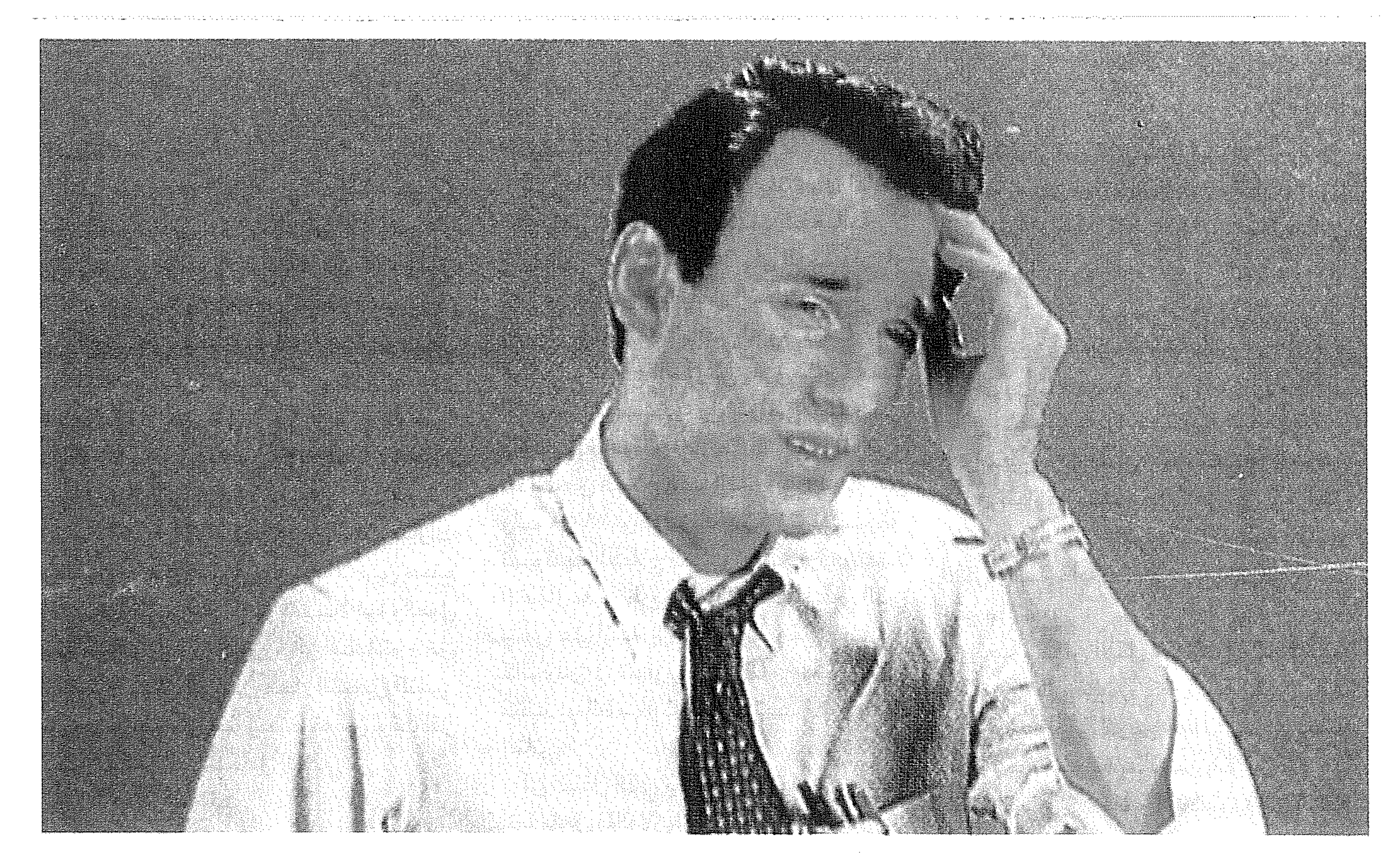
ومعـروف ان الأكل من الحيل الـدفاعيـة لخفض القلق، فالشره كثيرا مـا يكون دليلا على وجود قلق ولنفرض اننا نـريد ان نعالج طفلا يخاف خوفـا شاذا من قط او كلب هنا نضع الحيوان في قفص أو بعيـدا عن الطفل ثم نقدم للطفل وهـو جوعـان طعامـا يحبه كالشيكولاته.

هنا تثور لـديه استجابتان متعـارضتان، هما الخوف من الحيوان او التلذذ في الأكل.. غير ان الاستجابـة الثانيـة اقوى من الأولى لأن الحيوان مقيـد أو بعيد، لـذا فهي تكفها بـالتدريج . وتـوكيد الـذات كثيرا ما يكـون استجـابة تتعـارض مع القلق وتكفـه، فمن الناس من يعجز عجـزا بالغا عن التعبير عن غضبه واستيائه تعبيرا مناسبـا، فان انتقده احد شعر بأن كبرياءه قد جرحت واستجاب لـذلك بـالتجهم والعبـوس أو بصـورة من الغيظ وهـذه استجابـة تشير الى قلقه وقلـة حيلته، وقد يكون عجـزه هذا نتيجة لتربيته السـابقـة التي كانت تحرم عليـه الـرد على الكبار، اي تثير في نفسه القلق ان فكر في الرد عليهم وبعبـارة اخـرى فـالقلق هـذا يكف التعبير عن الغضب والاستياء.

ومن ثم فلنا ان نتوقع أننا لو شجعناه على التعبير عن استيائه فإن هذا التعبير يكف ما لديه من قلق الى حد ما.

وقد يصعب هذا على المريض في أول الامر لكنه يسهل تـدريجيا بالممارسة وهنـا يبدو الكف المتبـادل واضحا، فـالقلق كـان يكف المريض عن التعبير عن غضبـه، فـاذا بهذا التعبير قد اصبح يكف ما لديه من قلق.

ويـلاحظ ان هـذه الطريقـة تقترن عـادة



بتقليل حساسية المريض تـدريجيا للمواقف التي تثير قلقـه بتكرار تعريضـه لها وهي في صـور خفيفـة غير عنيفة، فـالقط يقـدم الى الطفل اولا وهـو بعيد او محبـوس ثم يقترب منـه رويـدا رويـدا والخائف من التعبير عن استيـائه يـدرب على هـذا التعبير في مـواقف مختلفـة تـزداد بـالتـدريج شـدة من حيث اثـارتها للقلق، ونوجـز مـا تقدم فنقـول ان العلاج السلوكي يقوم على دعامتين هما:

١- الاستئصال الشرطي

٢- تقليل حساسية المريض تدريجيا

ويقول الممارسون انـه نجح بالفعل في علاج كثير من الحالات غير ان اغلب المحـدثين من المعـالجين النفسيين لا يـرون ان عـلاج الامراض النفسيـة من السهولـة بهذا القدر. وذلك دون ان ينكـروا أثـر التعلم في نشأة الاعراض، فالمقـرر المعروف في كل من الطب البـدني والنفسي ان علاج الأعـراض وحدهـا دون علاج الاسباب لا يفيد.

من ذلك مثلا ان اعـراض الهستيريا يمكن ازالتها بـالتنويم المغنـاطيسي، وان كثيرا من المخاوف الشاذة يمكن ازالتهـا بالاستئصال الشرطي، غير أننـا إن لم نهاجـم اسبـابها الكامنة في بناء الشخصيـة ظهرت الاعراض مـرة اخـرى، او ظهرت اعـراض عصـابيـة اخرى لتقي المريض وتدفع عنه غائلة القلق من مشـاكل الحيـاة وازمـاتها، وهـذه هي وظيفة الاعراض وفـائدتها، وهناك اساليب خـاصـة للعـلاج النفسي:- منهـا العـلاج بالإيحاء، والعلاج باللعب، والعلاج بالعمل، والعـلاج الجماعي، نـذكـر منهـا اثنين على سبيل المثال:

العلاج بالايحاء

يستخدم العـلاج بالايحاء في حالـة يقظة المريض ومحاولة بث افكار سليمة في نفسه او بأن حالته ستتحسن بكـل تأكيد، ويرى كثير من المعالجين ان الايحاء طريقة عقيمة في العلاج لانه لايتيح للمريض الاستبصار في حـالته، ولانـه يهاجم اعـراض المرض لا اسبابـه ويرى آخـرون ان الايحاء يعين على تحرير المريض من بعض معتقداته الخاطئة.

فالهستيري المصاب بشلل في ساقه يعتقد انه لايستطيـع المشي، ومادام يعتقد هـذا فلن يستطيع المشي، فـالذي يقعـده عن المشي هـو اعتقـاده هـذا، وربما كـانـت رغبتـه كـذلك والواقع انه يستطيع المشي لولا هذا الاعتقاد.

والدليل على ذلك أنـه لو تحرر من اعتقاده الفـاسد هـذا، لتسنى لـه ان يمشي، والايحاء كفيل بتحريـره من اعتقاده هـذا، كما يرون انـــه كبير النفع في عـــلاج بعض الحالات الخفيفة التي لايكون فيهـا اصل الاضطراب بعيد الغور، وفي علاج متاعب الحياة اليومية التي تسبب القلق والانقبـاض والارق ، هـذا الى مـــا لـــه مـن قيمـــة كبيرة في تهدئة الاضطـرابات السيكـوسـومـاتية البسيطـة كـالصـداع العصبي الـذي ينشأ عن القلق والذي يمكن شفاؤه في وقت وجيز عن طريق الاسترخاء والايحاء.

التحليل النفسي يستهدف البحث عن مصادر الاضطرابات في الصدمات الانفعالية

العلاج الجماعي

هو عـلاج حالات سـوء التوافق في مـوقف جماعي، اي انـه علاج يستغـل ما يقـوم بين افـراد الجماعـة من تفـاعل وتأثير متبـادل يكون له اثـر في تغيير سلوكهم ونظرتهم الى الحياة والى اعـراضهم، وقد ذاع استخـدامه

على نطاق واسع ابان الحرب العالمية الاخيرة لازدياد حالات اضطراب الشخصية وقلة عدد المعالجين النفسيين. ويستخدم الآن لعلاج الاطفال المشكلين عن طريق اشتراكهم في جماعات اللعب والنشاط الحر، [ولعلاج المصابين ببعض حالات الفصام]، كما اتضح انه يفيد بوجه خاص في علاج الاضطرابات الانفعالية والسيكوسوماتية ومشكلات الحياة العائلية والمهنية والمشكلات الجنسية وادمان الخمر وتوثيق العلاقات الانسانية في ميدان الصناعة.

ومن صور هذا العلاج ان يشترك عدد من المرضى بين ١٠:١٥ ممن تتشابه اعراضهم وسماتهم الشاذة في مناقشات جماعية تعقد عدة مرات اسبوعيا وتدور حول مشكلاتهم ومشاعرهم في جو سمح وتحت قيادة مشرف يحرص على ألا يحتكر المناقشة بل يشجعها.

وقبل المناقشة يعقد هذا المشرف المعالج مقابلة شخصية مع كل واحد منهم لأخذ فكرة عن نوع متاعبه، ثم يحضر المناقشة على ألا يأخذ فيها دور الرئيس الرسمي مصدر السلطة والتوجيه بل يقوم ببحث كل واحد منهم على التعليق او تأويل متاعب الآخرين.

ولهذا العلاج أثر نفسي له قيمة اذ فيه مجال كبير للانطلاق والانفعالات واسقاطها على اعضاء الجماعة.

وحين يرى المرضى أن متاعبهم ومشاكلهم ليست وقفا عليهم، بل يشاركهم فيها غيرهم من الناس، فلن تعود هذه المشاكل مصدر ازعاج وتنغيص لهم، بل يصبح ذلك عاملا يقوي شعورهم بالانتماء الى الجماعة وثقتهم فيها وتوحدهم بها، وهذا الشعور يكون سندا عاطفيا للمريض يعينه على الاستبصار في نفسه وفهمها.

أثر العلاج النفسي

يتوقف أثر العلاج النفسي وشدته على طول مدة الاصابة به كما يتوقف على سن المريض وجنسه، وقد ثبت انه وسيلة نافذة في علاج كثير من حالات العصاب والاضطرابات السيكوسوماتية، فيه يتحرر المريض من القلق الجاثم على صدره ومن مشاعر النقص والذنب ومن شعوره بان الحياة لا طعم لها، وبه يتخفف مما يحمل من كراهية وعصيان وتعصب ومما يتسم به من اندفاع وتهور وبذا يصبح اقرب الى التسامح وسعة الصدر والتعاون والايثار، وبه يتخلص من ضروب الكف والتعطيل التي تشل نشاطه العقلي والاجتماعي والجنسي وتجعله عاجزا عن الانتاج والاستمتاع بالحياة، وعن الإفصاح عن عدوانه في المواقف التي كان يخاف من الفصاح فيها عنه، وعن طريق العلاج النفسي أبصر الأعمى ومشى المقعد الهستيري، وزالت قرحة المعدة الى غير رجعة.

والعلاج النفسي لايؤدي فقط الى راحة المريض من وطأة آلامه وأعراضه، بل يزيد من قدرته على تحمل صدمات الحياة وشدائدها اي انه يرفع رصيد الاحباط عنده فهو من هذه الناحية بمثابة عملية« تبليد» تقلل من حساسيته الشديدة لعيوبه الشخصية ونقائصه الاجتماعية، أو لِوخز ضميره الصارم هذا فضلا عن انه يعين الفرد على مواجهة مشاكله بطرق أجدى وانفع، واستغلال امكاناته على وجه افضل، وتعديل مستوى طموحه بما يتناسب مع مستوى اقتداره وتغيير نظرته الى الناس والى نفسه فيجعله اكثر اعتمادا على نفسه في اتخاذ قراراته وحل مشاكله واكثر ثقة بنفسه في التعامل مع الناس.

ولقد كان علاج الفصام يقتصر على الصدمات الكهربائية بالمخ، ويتلخص في تمرير تيار كهربائي ضعيف بالرأس يسبب للمريض تشنجا خفيفا تعقبه فترة اغماء وجيزة، اما اليوم فقد حلت العقاقير المهدئة مع العلاج النفسي محل الصدمات الى حد كبير، فان استطاعت هذه العقاقير انتزاع المريض من عالم الخيال ورده الى عالم الواقع أمكن استخدام عدة طرق للعلاج النفسي معها، لانه يصبح من الممكن مناقشة مشاكله معه ومعونته على مواجهتها بصورة واقعية ويستخدم اليوم العلاج الجماعي للفصاميين على نطاق واسع، بل يستخدم التحليل النفسي لعلاجهم ايضا.

اما حالات الهوس والاكتئاب العنيفة فلا توجد اليوم في المستشفيات، وذلك نتيجة لاستخدام العقاقير المهدئة والمضادة للاكتئاب، فان لم تفلح هذه العقاقير في ضبط حالات الاكتئاب فغالبا ما تستخدم الصدمات الكهربائية المتكررة التي تؤدي غالبا الى التحسن اما السبب في ذلك فغير معروف.

ومما يذكر بصدد هذه العقاقير ما ظهر من احصاء امريكي حديث ان ٧٠٪ او اكثر من العصابيين تخف الاعراض لديهم بدرجة ملحوظة باستخدام المهدئات او مضادات الاكتئاب، فهناك اكتئاب عصابي غير الاكتئاب الذهني او هما معا، وان اغلب هؤلاء استطاعوا أن يعملوا بكفاءة اكبر في حياتهم غير ان العلاج بالعقاقير لا يتوقع منه ان يحل محل العلاج النفسي حين يتحتم تغيير بناء الشخصية للمريض او تغيير ظروفه الاجتماعية التي تفجر المرض. ■

التحليل النفسي عملية شاقة طويلة تحتاج الى جهد وصبر كبيرين من المحلل والمريض

المراجع العربية

–احمد عزت راجح ١٩٧٣– أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث – الاسكندرية

– هشام عبد الرحمن الخولي ١٩٩١– تأثير اتجاه المعالج في تحسن حالات هستريا اثناء المقابلة الاكلينيكية– رسالة دكتوراه– كلية التربية– بنها

–حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي عالم الكتب– القاهرة ١٩٨٨.

–عبد العزيز القوصي: اسس الصحة النفسية دار النهضة– القاهرة ١٩٨٢.

–عبد الستار ابراهيم: العلاج النفسي الحديث، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٩.

–محمد عبد الظاهر الطيب: تيارات جديدة في العلاج النفسي دار المعارف القاهرة ١٩٨٢

–صلاح عراقي: العلاج المعرفي السلوكي ومدى فاعليته في علاج مرضى الاكتئاب رسالة دكتوراه – كلية التربية ببنها ١٩٩١.

الرؤية الإسلامية حول الماء والتنمية الصحية

علوم

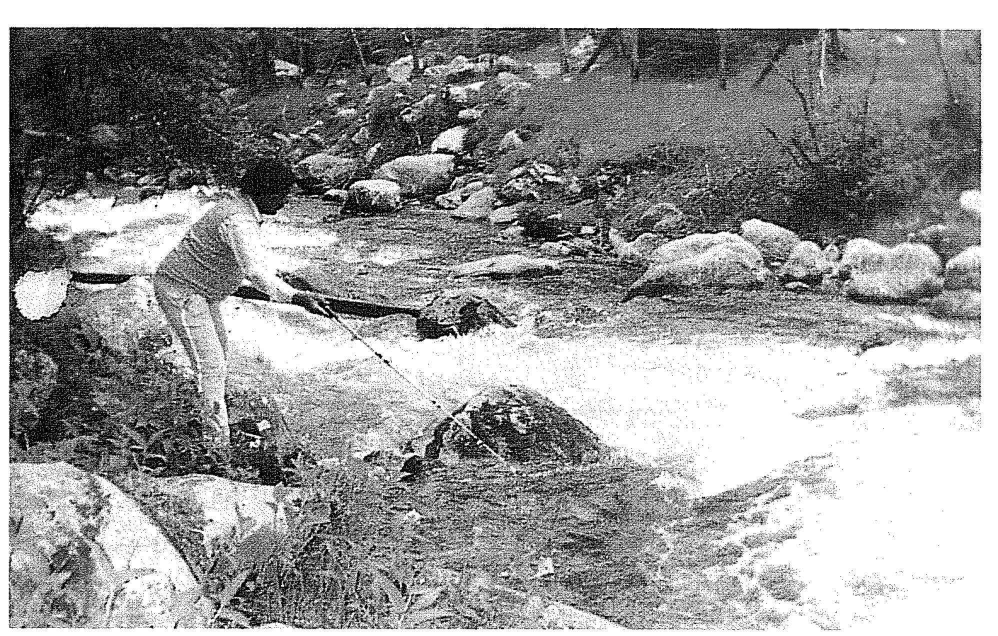
الماء أساس الحياة لكل كائن حي مهما كان حجته وقوته وهو سر الله في خلقه ونقاط الضعف والقوة في هذه المخلوقات تكمن فيه لذلك كان اهتمام الاسلام بالمياه، والمحافظة عليها لأنها في عصرنا هذا القضية الأولى المطروحة على الساحة نظرا للنقص في كميات المياه ونضوب الجوفية منها ولذلك كانت المشكلة الأساسية المنظورة ومن ثم لابد من الحفاظ على هذه الثروة وعدم الاسراف فيها حتى تستمر الحياة.

الماء مصدر الحياة والحيوية، في هذا الكون الذي نعيش فيه، فلا غنى عنه لأي إنسان أو حيوان أو نبات، فوجود الماء ضروري لاستمرار الحياة على ظهر المعمورة، التي نعيش عليها، وهو أحد العناصر الأساسية للجسم الانساني، وللتكوين النباتي والحيواني، وتتأكد هذه الحقيقة إذا علمنا أن الماء يشكل نسبة ٧٠٪ إلى ٩٠٪ في بعض الكائنات الحية (نبات - حيوان - إنسان) كما أنه وسيط ضروري مهم للتفاعلات الطبيعية والكيماوية، لكل النظم البيولوجية على اختلاف أنواعها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مياه الأنهار والبحار والمحيطات تشكل نحو ٨٠٪ من سطح الكرة الأرضية، بينما لا تزيد مساحة اليابسة التي نعيش عليها، على ٢٠٪ فقط.

أهمية المياه

إن هذه الأهمية القاطعة للماء، هي شأن حياتي، ومسؤولية من أجل البقاء، تتطلب المحافظة عليه، لأنه جزء من الحفاظ على الحياة ذاتها، إذ لا بقاء لكائن حي دون ماء، كما أنه لا وجود للبيئة من دون عنصر المياه، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [الأنبياء/٣٠] وفي بيان هذه الآية، يورد القرطبي ثلاثة تأويلات، أحدها: أنه (خلق كل شيء من الماء) الثاني: «حفظ حياة كل شيء بالماء» الثالث: جعل من الماء كل شيء حي (قال قطرب. وجعلنا بمعنى خلقنا. وروى أبوحاتم البستي في المسند الصحيح له من حديث أبى هريرة قال: قال: قلت يارسول الله: إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء، قال: (كل شيء خلق من الماء)(٢) هذا القول الجامع على إيجازه، يمثل حقيقة مطلقة اثبتها العلم الحديث، وتدل عليها الشواهد اليومية، ومظاهر الحياة الكونية.

وجملة الخطاب الإسلامي عن الماء، برهان ساطع، على العناية بأمره، والحفاظ على كل قطرة منه، وبيان للناس في كل زمان ومكان للعناية به، وتنمية موارده، ولا أدل



بقلم :
د.محمد الشحات الجندي

على ذلك، من أن القرآن الكريم، قد ذكر الماء بالمعنى الذي نعرفه تسع وخمسون مرة(٣) أبان فيه عظم الحاجة إليه، وأهميته للكائنات الحية.

مصادر الماء

أورد القرآن الكريم ثلاثة مصادر للمياه، هي المطر، والرياح، والمياه الجوفية.

١- المطر، هو المصدر الأول من مصادر المياه، وقد وردت في شأنه عدة نصوص، نذكر منها: قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ [المؤمنون/١٨] ودقة التعبير القرآني في قوله (ماء بقدر) يكشف عن مغزى مهم، فهو أي الماء لا يقل عن الكفاية والحاجة، فيتعرض الكائن الحي للموت والهلاك، وتختل الحياة بجملتها على الأرض، ولا يزيد عن المطلوب حتى لا يغرق الأرض، ويسبب الكوارث والفيضانات. ويقول سبحانه: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً. لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا. ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ [الفرقان/٤٨و٥٠] في النص الكريم دلالة على أن الماء أصل الحياة كلها، وأنه يحيي الأرض بعد موتها، من البلاد والعباد والأنعام، وأن من خصائص ماء المطر الذي ينزل من السماء، أنه يأتي للبيئة طاهرا نقيا، فيفسده الانسان بسلوكه، وتصرفه العابث الذي يحيل مصدر الحياة والخصب والنماء إلى مصدر للهلاك والجدب والذبول. وهو لون من التنكر والتناسي لنعمة الخالق منزل المطر، وهو ما يجعل صاحبه كافرا بالنعمة جاحداً لها.

إن الإنسان المقدر لجلال الخالق، المستشعر لأهمية الماء لبيئته، عليه أن يتذكر دوما ما قد يواجهه في يوم صيف قائظ، وقد اشتد به الظمأ، وعز عليه وجود الماء، فلم يجده لإرواء نفسه، ماذا تساوي قطرة الماء عندئذ، إن كيانه كله يذبل، ويصبح على مشارف العدم، بعد أن كان شعلة نشاط وحركة، ألا يتذكر الانسان قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ [النحل/١٠و١١] فالماء من أعظم النعم على الناس والكائن الحي، خلقه الله له عذبا زلالاً يسوغ شرابه، ولم يجعله ملحاً أجاجاً ولينبت به لهم الزروع والثمار على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها.

٢- الرياح: مصدر آخر سخره الله للكائنات الحية، لامدادها بالماء، يقرره قوله تعالى ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ [الحجر/٢٢] ومن ذلك نعلم أن مرسل الرياح هو الله، للقيام بالمهمة التي أرادها الله له منها بحمل الماء إلى السحاب، ثم يمر السحاب على أماكن متعددة ومناطق شتى وهي في مسيس الحاجة إلى الماء، فتكون مصدر حياة للإنسان والحيوان والنبات. وقوله جل وعلا ﴿فأسقيناكموه﴾ يعني أننا جعلناه مصدرا لإرواء عطشكم، وذهاب ظمئكم، وهذا يبين وظيفة الماء الأولى في أنه وسيلة الشرب والإرواء، وفي قوله: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ أي ما يجوز لكم منع الماء، أو الحيلولة دون حصول الآخرين على حقهم منه.

٣- المياه الجوفية: وهي المصدر الثالث من مصادر الحصول على الماء، بتفجير المياه من العيون والآبار، وبما تمد به الكائن الحي بالماء، وقد وردت آيات كثيرة في هذا الخصوص، نسوق منها قوله تعالى: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ [البقرة/٧٤] هذا النبع للماء من بين الصخور والحجارة وفي وسط الصحراء القاحلة، دلالة بليغة على قدرة الخالق على بعث الحياة من الموت والوجود من العدم، فحرى بالإنسان أن يعي هذه الحقيقة، ويدرك واجبه على الأرض، ويعمل على توافر الأسباب الكفيلة بالابقاء على استمرار الحياة عليها، وتدفق المياه الصحية النقية فيها، بدلا من إفسادها وتغيير أخص خصائصها وهو النقاء والصفاء الذي تقوم به الحياة، لأن هذا يتفق مع الغاية من إيجاد النعمة، كما أنه من لوازم الانتقاع بالماء، وقد روى عن بلال العبسي مرسلا: (لا تمنعوا عباد الله فضل الماء ولا كلأ ولا نار، فإن الله تعالى جعلها متاعا للمقوين وقوة للمستضعفين)(٤).

الماء أساس الحياة وهو أحد العناصر الرئيسية في تكوين الجسم الإنساني فيشكل ٧٠ إلى ٩٠٪ منه

ويقول سبحانه ﴿أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ [السجدة/٢٧] فإن الله بقدرته يسوق الماء إلى الأرض الجدبة القفراء، فتنبت به الزرع، ويحيا الخلق، أفلا يتدبر الانسان ويعي ويدرك قيمة النعمة، فمن وعى قدرها، وأيقن نفعها، وسلمت نفسه عن المطامع والهوى، وصحت فطرته، وحسن عمله في التعامل مع البيئة، لم يتناولها بإفساد ولم يصبها بأذى، ولم يسمح لنفسه بتلويث أجمل نعمة في الكون، وهي الماء الذي به بقاء نفسه وصحة بيئته.

طبيعة الحق في المياه بنوعيها

الحق في الانتفاع بالماء، واستغلال ما بها من ثروات، حق عام يشمل البشرية جمعاء وموجه للجميع، وهو ما تدل عليه النصوص في القرآن، في قوله سبحانه ﴿الله الذي خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ [ابراهيم/٣٢] وفي قوله سخر يعني هيأ ومكن لكم ـ لكل الناس ـ الانتفاع بالماء والأرض وفي البحار والأنهار على وجه العموم والإطلاق. وهو ما أكدته السنة في قوله ـ ﷺ ـ (الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار) رواه الصنعاني ـ فإن الخطاب إلى الناس شامل، ومن شأن ذلك أن يتمتع الجميع بالحق في استخدام المياه، والانتفاع بالثروات الكائنة فيها، وهو ما يجعل الاستئثار بها من جانب بعضهم محرم وغير مشروع، إذا كان يمنع بذلك غيره من الانتفاع به واستغلاله، لأنه يتنافى مع أحكام الشريعة المنصوص عليها في الحديث، ويقوض مبدأ

تكافؤ الفرص للجميع.

ولا فرق في ذلك بين نوعي المياه العذبة في البر أو المالحة في البحر، وفي هذا من التنوع والفائدة الكثيرة، فإن لكل منها استخداماته ومميزاته، ولكل منهما أهميته وضرورته للأحياء والبيئة الإنسانية، ولا غنى عنهما للحياة الانسانية والبحرية، وهو مفاد نص قوله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا﴾ [الفرقان/٥٣] وفي قوله جل وعلا ﴿وما يستوي البحران هذا عذاب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حليه تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [فاطر/١٢] وقد أفصحت الآية عن التمايز في طبيعة كل من الماء العذب والماء المالح - الأجاج - فإن من خصائص مياه البحار والمحيطات الملوحة، وهذا من نعم الله أيضا، لأن جوهر الماء فيه قوة حافظة للأشياء الرطبة من التغير.(٥) ويشترك كل منهما في استخراج الأسماك، والحلي ويصلح الملاحة.

أساليب المحافظة على المياه

أولى الاسلام عناية كبيرة للمحافظة على المياه وصيانتها من التلوث أو العبث بها أو إفسادها، أو الحيلولة بين الناس دون الانتفاع منها، ولهذا الاهتمام مغزى كبيرا فإن تلوث المياه أصبح آفة شائعة، وصار فنا يتطور باستمرار فيلحق الضرر بالحرث والنسل، وهو ضرب من الفساد حاصل وواقع، جاوز الحدود، وعمت به البلوى، فقد ورد في إحصائية حديثة، أن أكثر من نصف سكان العالم، يعانون من المرض بسبب عدم توافر المياه، أو بسبب شرب مياه ملوثة، مع العجز في توافر الصرف الصحي.(٦)

إن التثقيف الصحي في الاسلام، يبدأ بتنبيه المسلم نحو السلوكيات الصحيحة تجاه الماء، وكيفية وقايتها والمحافظة على نظافتها، وقد أتى بإجراءات فاعلة في هذا المجال، منها: أنه وجه سلوك المسلم اليومي في التعامل مع الماء بوجوب تغطية الإناء أو الخزان الذي يحفظ فيه الماء، حذرا من التلوث الذي تسببه الجراثيم والميكروبات السابحة في الجو، فقد روت السيدة عائشة أنها قالت: «كنت أصنع لرسول الله ﷺ ثلاثة آنية من الليل مخمرة: إناء لطهوره وإناء لسواكه، وإناء لشرابه) فهذا توجيه إلى تخمير ويعني تغطية الاناءات الثلاثة، حتى ولو كانت تستخدم في الطهارة. ناهيك عن الشرب. وفي رواية أخرى لابن ماجة عن جابر قال: «أمرنا النبي -ﷺ- أن نوكيء أسقيتنا ونغطي آنيتنا»(٧) ومعلوم أن الأمر في لغة الخطاب الشرعي للوجوب، وهو مايفترض في المسلم اتباعه والعمل بمقتضاه.

توجه سليم

ويمضي هذا التوجيه، في السير على المنهج ذاته الذي ينأى بالمسلم عن تلويث الماء وتعكير صفوه، حيث يمنع المسلم من غمس يده في الماء الذي قد يشك في عدم نظافتها، يقول الرسول - صلوات الله عليه - «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده، حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده»(٨) فهذا النهي علته، الإبقاء على المياه نقيه طاهرة، مع بساطة الحياة آنذاك، وعدم وجود صنابير للمياه أو غيرها من مبتكرات الحياة المعاصرة.

وأسلوب الاسلام في ذلك، هو الأسلوب الوقائي الذي يتأسس على حقيقة أن الوقاية خير من العلاج، لأن في الحيلولة دون تلويث المياه منع من حدوث الأمراض، وأجدى في صيانة الماء، وفي هذا السياق، نجد أن الإسلام، قد نهى عن الاغتسال من الجنابة في الماء الراكد أو الساكن، مع أن الاغتسال واجب على المسلم في حال الجنابة، لاعتبارات تتعلق بالحفاظ على الماء نظيفا وصحيا، وذلك مارواه أبو هريرة عن النبي -ﷺ- قال: «لا يغتسلن أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال يا أبا هريرة: كيف يفعل؟ قال: يتناوله تناولا» رواه مسلم وابن ماجة. وأحمد وأبوداود: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسلن فيه من جنابة)وهذا النهي يقتضي تحريم الشيء المنهى عنه، وعدم الوقوع فيه، وله مايبرره شرعا وطبعا وصحة.

للماء أهمية كبرى فلابد من المحافظة عليه من أجل البقاء اذ لابقاء لكائن حي من دونه

من ناحية الشرع، نجد أن الإسلام، يأمر المسلم بالنظافة والطهارة في كل حين، ومقرراته تتطلب الطهارة، في أحكام كثيرة، مثل أداء الصلوات، وقراءة القرآن وغيرهما. قال تعالى ﴿إن الله يجب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة/٢٢٢].

ومن ناحية الطبع البشري، وكذا الحيواني، فإن النفوس تتقزز من الخبائث والأقذار، وتتنفر من النجاسات والأدران، والماء بطبيعته يخالط أنسجة الجسم، ويتخلل اجزاءه عند استخدامه، وبهذا الشكل، يكون استعماله ملوثا جالبا عكس المقصود منه في النظافة. ومن جهة الصحة، فإن الماء القذر أو الملوث، يؤدي إلى المرض لا إلى الصحة، ويقود إلى التعب والاعياء، بديلا عن النشاط والحيوية، الذي يتغياه الانسان المسلم من الوضوء أو غسل الوجه أو الاستحمام، وبذلك يصير الماء داء وليس دواء، نقمة وليس نعمة.

خلق وعي وفعال

وفضلا عن ذلك التوجيه والتربية السلوكية الصحية، لخلق وعي فعال، لصيانة المياه نقية نظيفة، وبيئة صحية تسودها العافية والحيوية، وجه الاسلام خطابه العام، إلى كل إنسان بالنهي عن إفساد الماء، روى أبوسعيد الخدري، عن معاذ بن جبل، قال. قال رسول الله -ﷺ- «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» رواه أبوداوود وابن ماجة(١٠) ففي الحديث نهى عن التبرز في الموارد وهي المجاري والطرق إلى الماء، وفي الطريق العام، وأماكن الظل التي يستظل بها الناس. وقد جاء ذكر مجاري المياه في مقدمة هذه المواضع وعلى رأسها، ليتجنب كل فرد الوقوع في ذلك، بنفسه أو بوساطة شيء آخر، كما هو الشأن في التصريف الصحي في المجاري المائية في الأنهار أو البحار، فهي



تحدث دمارا كبيراً، وتتسبب في العديد من الأمراض. ويتأكد ذلك بما رواه جابر عن رسول الله -ﷺ- «أنه نهى عن أن يبال في الماء الراكد»(١١) والنهي عن التبول في الحديث ليس قاصرا على الماء الراكد فقط، بل إنه يشمل كل أنواع المياه الجارية أو الراكدة في البحار أو المحيطات أو الأنهار أو الترع أو القنوات. ويقاس على البول والبراز كل ما يلوث الماء، ويصيب الانسان في صحته كإلقاء فضلات المصانع والحيوانات النافقة، والقمامة في الأنهار والترع والمصارف، وكذلك غسل الملابس الملوثة بالميكروبات في مياهه.(١٢)

التوجيه الاسلامي

وفي سلسلة التعامل الرشيد مع الماء، جاء التوجيه الإسلامي بالاعتدل في استخدام المياه، والقصد في الحصول على الحاجة منها، فالمسلم منهي عن الاسراف في استعمال الماء، ولو كان على نهر جار، لأن حاجات الإنسان والكائن الحي متجددة غير متناهية، فينتفع به مع الآخرين.

بهذه السلوكات الرشيدة، وهذا المنحى في التربية، تصبح المحافظة على المياه نقية صحية، ديناً وتشريعا وطبعا وخلقا للتعامل البناء والواعي مع مكونات البيئة وعناصرها المختلفة، لأن كل عنصر منها يكمل الآخر، ويتفاعل معه، يؤثر فيه ويتأثر به.

مصادر المياه متعددة فهي إما الودق أو الرياح أو المياه الجوفية، جعلها الله متاعا للمتقوين وقوة للمستضعفين

هوامش البحث

١- البيئة علم وسلوك، جهاز شئون البيئة، ١٩٩٤، ص٦

٢- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، [سورة الأنبياء/آية ٣٠].

٣- د. عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الانساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٤، ص١١٥.

٤- الامام أحمد، كتاب المسند، مجلد٢، ص١٢٩.

٥- الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٣٠.

٦- البيئة علم وسلوك، مرجع سابق، ص٦.

٧- راجع ابن ماجة، السنن، جـ١، ص١٢٩.

٨- الشوكاني، نيل الأوطار، جـ١، ص١٢٠.

٩- الشوكاني، نيل الأوطار، جـ١، ص٢٠.

١٠- الشوكاني، نيل الأوطار، جـ١، ص٧٥.

١١- أبوداود، السنن، جـ١، ص٧٥.

١٢- د.عبدالفتاح الشيخ، اهتمام الاسلام بالماء والنظافة، مجلة كلية الشريعة والقانون، العدد الثاني، يونيه١٩٨٦، ص,٢٠

قضايا للمناقشة

حول مشاركة العمال في الارباح

اقتصاد

بقلم: د.أحمد محمد ابراهيم

وصلنا التعقيب التالي من د: أحمد محمد إبراهيم حول موضوع مشاركة العامل لصاحب العمل في الأرباح والذي نشر في العدد ٣٦٦- صفر ١٤١٧هـ/ يوليو ١٩٩٦م ونحن بدورنا لا يسعنا إلا أن نفسح الصدر لتلقي الردود والتعاقيب على المقالات التي تنشر في المجلة كما أن الأمانة الصحافية تحتم علينا نشر التعقيب أو الرد كاملين:

نشرت المجلة في عددها رقم ٣٦٦ الصادر في صفر ١٤١٧هـ يوليو ١٩٩٦ مقالاً عن مشاركة العمال في الارباح- بقلم الدكتور رفيق يونس المصري بدأه بقوله: نظراً لتوسع الانتاج والمشاريع الاستثمارية التي تحتاج إلى أيد عاملة مدربة تتطلع الى الحوافز والأجر مقابل الإنتاج، طفت على السطح هذه الايام مشاركة العامل لصاحب العمل في الارباح. مسألة مهمة من ناحتين:

١- من الناحية الادارية والاقتصادية وضحها بما جاء في المقال.

٢- من الناحية الشرعية: فالفقه القديم الموروث أجاز للعامل ان يكون له أجر على عمله ويكون العقد في هذه الحالة عقد إجارة(إجارة أشخاص). كما أجاز الفقه له ان يشارك بحصة من الربح(حصة شائعة أي نسبة مئوية) وهو عقد على شركة في الربح (الصافي) بين رب المال من طرف والعامل من طرف آخر. لكن هذا الفقه أجاز كلاً من الصيغتين على حدة، ولم يجز للعامل ان يجمع بينهما معاً أي بين الأجر والربح أو بين الإجارة والمضاربة. وأرجع هذا الحكم الى ان الفقهاء يرون الإجارة والشركة عقدان متنافيان وأورد الكاتب ما جاء في كتاب المغني لابن قدامة والمبسوط للسرخسي عن قواعد توزيع الربح بين رب المال والمضارب في شركة المضاربة، التي تقضي بأنه لا يجوز ان يختص أحد الشركاء بدراهم معلومة وأنه يجب ان يكون نصيب الشريك في الربح جزءاً شائعاً كالنصف أو الثلث أو العشر أو أقل من ذلك او اكثر. وعقب ذلك بقوله: (وعلى هذا فإن المسألة في الاقتصاد والإدارة وعامة البلوى في عصرنا الحاضر حتى لا يكاد يصدق أحد غير الفقهاء (المختصين) انها غير جائزة، ولكنها مع أهميتها فهي ممنوعة في الفقه الموروث. ترى هل نستطيع ان نقنع العامل فقها بأنها حرام؟ ترى هل هذه الحرمة مؤسسة شرعاً على أدلة قوية تجعلها حراماً فعلاً؟)

وأجاب الكاتب عن هذا التساؤل بقوله: (يستطيع العامل ان ينال عائده كله في صورة مبلغ مقطوع، فلماذا لا يستطيع ان ينال جزءاً من عائده في صورة مبلغ مقطوع والجزء الآخر في صورة حصة من الربح؟ وهذا أفضل للعامل ولرب العمل معا.. فالإجارة والشركة هنا لا تبدوان متنافيتين بل هما منسجمتان ومتعاونتان على تحقيق مصالح الشريكين دون أي مخالفة شرعية. وإذا كانت الإجارة جائزة بلا نزاع فإن الانتقال من الإجارة الى الشركة كلياً أو جزئياً لابد أن يكون أولى بالجواز، لأن مصالح الشريكين تصبح متفقة غير متعارضة.

وختم الكاتب مقاله بقوله: وأخيراً إنني أرى جواز جمع العامل بين الأجر والربح فلم أجد أدلة قوية واضحة لمنع هذا الجمع، ويترك الأمر لمصالح الطرفين إن شاءوا فعلوا ذلك وان شاءوا لم يفعلوا فكلاهما جائز والترجيح بينهما عائد للمصالح المرسلة. ولو تركنا - جانبا - المعالجات الفقهية الدقيقة والخوض في التفاصيل والتفاريع هل يمكن لفقيه- بالحس العام- ان يمنع عاملاً من ان ينال حصته من الربح في أجره سواء أكان ذلك بشرط أم بغير شرط؟

وإن أول وأبرز ما يلاحظ على الرأي الذي انتهى اليه الكاتب، أنه حين ترك -جانباً -المعالجات الفقهية الدقيقة والخوض في التفاصيل والتفاريع خلط بين موضوعين متباينين لكل احكامه الخاصة وهما:

١- حقوق الشريك بالعمل في شركة المضاربة

٢- حقوق الأجير الذي يعمل لدى شركة وليس شريكاً فيها.

ويرجع هذا الخلط بين أحكام هذين الموضوعين الى انه اعتقد أن الاجير اذا حصل بالاضافة الى اجره المتفق عليه على حصة من الربح يعتبر شريكاً تسري عليه احكام الشركاء الخاصة بتوزيع الربح.

ويستفاد ذلك بوضوح من قوله ان الجمع بين الاجارة والشركة لايتنافيان، بل هما منسجمتان ومتعاونتان، وأنه اذا كانت الاجارة جائزة فان الانتقال من الاجارة الى الشركة كلياً او جزئياً لابد ان يكون اولى بالجواز.

وان بيان وجه الحق في حكم مشاركة العمال في الارباح يقتضي ان نتكلم عن قطع الربح لأحد الشركاء وعن تحديد أجر الأجير.

اولاً: قطع الربح لأحد الشركاء

سبق ان كتبت في هذا الموضوع في بحث نشر في العدد الخامس عشر من مجلة البنوك الاسلامية الصادر في ربيع الاول ١٤٠١هـ- يناير فبراير ١٩٨١م وأعرض الآن لهذا الموضوع بالقدر المناسب للتعقيب على المقال.

ان المقصود بقطع الربح هو ان يضمن أي من الشركاء لنفسه مقداراً معيناً من الربح يحصل عليه، ثم يوزع الباقي على الشركاء او ان تكون له دراهم معدودة أياً كانت نتيجة الاستثمار، او ألا يتحمل شيئاً من الخسارة، وبذلك يكون قد ربح المبلغ الذي كان يجب ان يتحمله في الخسارة.

وقد اتفقت كلمة الفقهاء على انه لا يجوز قطع الربح لأي من الشركاء، وأنه لابد ان يكون نصيب الشريك جزءاً شائعاً في الربح كالنصف او الثلث او الربع او الثلثين او اقل من ذلك او اكثر، فإن شرط لأحد الشركاء مبلغ محدد والباقي لباقي الشركاء او لهم جميعاً او أُعفي احدهم من الخسارة فإن عقد الشركة يكون فاسداً لأن الشركة بطبيعتها تقتضي المشاركة في الربح.

وقد نقل الكاتب ما جاء في المغني لابن قدامة (في مذهب احمد) والمبسوط للسرخسي (في مذهب أبي حنيفة) عن عدم جواز قطع الربح وتضمن النقل بيان المراد بقطع الربح وعلة عدم جوازه شرعاً وعدم جواز قطع الربح قالت به المذاهب الأخرى، فجاء في إعانة الطالبين (في مذهب الشافعي) لو شرط لاحدهما عشرة والباقي للآخر او بينهما أو شرط لاحدهما ربح صنف واحد، فسد القراض لانه قد لا يربح غير العشرة او غير ذلك الصنف فيفوز احدهما بالربح (جـ٣ ص١٠١).

وجاء في الموطأ: قال مالك في رجل دفع الى رجل مالا قراضا واشترط عليه شيئاً من الربح خالصاً دون صاحبه، فان ذلك لا يصلح وان كان درهماً واحداً إلا ان يشترط نصف الربح له ونصفه لصاحبه او ثلثه او ربعه او اقل من ذلك او اكثر. وان كل شيء سمى من ذلك هو قراض المسلمين.

ولكن ان اشترط ان له من الربح درهماً خالصاً دون صاحبه وما بقي من الربح بينهما نصفان فإن ذلك لا يصلح وليس على ذلك قراض المسلمين (ص ٤٢٩).

ويقول ابن حزم :لايجوز القراض إلا ان يسميا السهم الذي يتقارضان عليه من الربح كسدس او ربع او ثلث او نصف او نحو ذلك، ويبّنا ما لكل واحد من الربح لانه ان لم يكن هكذا لم يكن قراضاً ولا عرفاً ما يعمل العامل عليه فهو باطل. المحلي جـ٨ ص ٢٤٧و٢٤٨.

الأصول التي تحظر قطع الربح

ان حظر قطع الربح لأحد الشركاء يستند الى السنة والاجماع والقياس ونعرض بإيجاز لكل اصل من هذه الاصول.

السنة

يقول ابن تيمية: لا يوجد قط مسألة مجمع عليها إلا وفيها بيان من الرسول، ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس، ويعلم الاجماع ويستدل به.. ولايوجد مسألة ينعقد الاجماع عليها إلا وفيها نص وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها إجماع بلا نص كالمضاربة، وليس كذلك. بل المضاربة كانت مشهورة في الجاهلية لاسيما قريش، فان الاغلب كان عليهم التجارة، وكان اصحاب الاموال يدفعونها الى العمال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سافر بمال غيره قبل الهجرة كما سافر بمال خديجة، والعير التي كان فيها أبو سفيان كان اكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيره، فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه يسافرون بمال غيرهم ولم ينه عن ذلك، والسنة قوله وفعله وإقراره فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة (الفتاوى جـ١٩ص ١٩٥).

ويقول ابن حزم: القراض كان في الجاهلية وكانت قريش أهل تجارة ولا معاش لهم من غيرها ومنهم الشيخ الكبير الذي لايطيق السفر، والمرأة والصغير واليتيم وذو الشغل والمرضى يعطون المال لمن يتجر به بجزء مسمى من الربح، فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في الاسلام، وعمل به المسلمون عملاً متيقناً لا خلاف فيه، ولو وجد فيه خلاف ما التفت اليه لأنه نقل كافة بعد كافة الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه بذلك، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراض بمال خديجة رضي الله عنها(المحلي٨/٢٤٧).

ولا محل للقول بأن الاقرار السكوتي من الرسول صلى الله عليه وسلم لايوجب الالتزام بما سكت عنه وعدم الخروج عليه فإنه لم يحدث في أثناء حياته عليه الصلاة والسلام خروج على أحكامها حتى ينهى عن ذلك، وقد صحح الرسول صلى الله عليه وسلم أحكام المزارعة عندما وجد أنها تتنافى مع العدل. عن رافع بن خديج قال: «كنا أكثر اهل المدينة حقلاً (أي زرعاً) وكان أحدنا يكري ارضه، فيقول هذه القطعة لي، وهذه لك، فربما اخرجت ذه ولم تخرج ذه، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم» (متفق عليه).

ثم إن في أحاديث الضمان مايؤيد ذلك فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخراج بالضمان».

وجاء في الجامع الصغير انه رواه احمد والاربعة والحاكم عن عائشة ورمز له بالصحة. وقال المناوي في فيض القدير أي الغلة بإزاء الضمان أي مستحقة بسببه فمن كان ضمان المبيع عليه كان خراجه له... قال في المنضد ويجوز كون المعني ضمان الخراج بضمان الاصل، أي أن ضمان الخراج مستحق بضمان الاصل- رواه احمد وابن عدي والحاكم عن عائشة. وقال الترمذي حسن صحيح غريب.

وحكى البيهقي عنه انه عرضه على البخاري فكأنه اعجبه. وقد حقق الصدر المناوي تبعاً للدارقطني وغيره ان هذه الطرق جيدة وانها غير الطريق التي قال البخاري في حديثها إنه منكر- وتلك قصة طويلة وهذا حديث مختصر(جـ٣ص ٥٠٣و٥٠٤).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا بيع ما ليس عندك» (رواه الخمسة وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم).

الإجماع

أجمع علماء الأمة على عدم جواز قطع الربح لأحد من الشركاء، ولم تبرز الى الوجود الآراء التي خرجت على الاجماع ونادت بجواز قطع الربح في المضاربة إلا بعد إنشاء المصارف في بلاد الإسلام في محاولة لاسباغ الشرعية على الفائدة التي تعطيها لمن يقدمون المال، وتلك التي تأخذها من الذين تقدم لهم المال، باعتبار ان هذه المعاملات هي مضاربة قطع فيها الربح.

قال ابن المنذر في كتابه الاجماع: ان ما تم الاجماع عليه في المضاربة اجماع اهل العلم على ابطال القراض الذي يشترط احدهما او كلاهما لنفسه دراهم معلومة وممن حفظنا عنه ذلك مالك والاوزعي والشافعي وابو ثور واصحاب الرأي (ص ٨٩).

وجاء في سبل السلام للصنعاني: ان للقراض احكاماً مجمعاً عليها منها انه لا ضمان على العامل فيما تلف من رأس المال إذا لم يتعد، واختلفوا اذا كان دينا...وأتفقوا على انه اذا اشترط احدهما من الربح لنفسه شيئاً زائداً معيناً فإنه لا يجوز ويلغو.
وقد وصف الإمام مالك المضاربة التي لا يقطع فيها الربح بأنها قراض المسلمين ووصف التي يقطع فيها الربح بأنها ليست قراض المسلمين.

القياس

المضاربة صنو المزارعة، فالمال (نقوداً في المضاربة - أرضاً في المزارعة) من أحد الشركاء والعمل في المال (في المضاربة والمزارعة) من الذي يدخل الشركة بعمله. وقد روى مسلم ان حنظلة بن قيس قال: «سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال لا بأس به انما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماذيانات (مسايل المياه) وأقبال الجداول (اوائل المساقي والانهار الصغيرة) واشياء من الزرع. فيهلك هذا ويسلم هذا، ويسلم هذا ويهلك هذا، لم يكن كراء الارض إلا هذا فلهذا زجر عنه، فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس به» (رواه مسلم).
وفي قياس المضاربة على المزارعة يقول ابن تيمية: العمل الذي يقصد به المال ثلاثة انواع:
أحدها: ان يكون مقصوداً معلوماً مقدوراً على تسليمه، فهذه هي الإجارة اللازمة.
الثاني: ان يكون العمل مقصوداً، لكنه مجهول او غرر، فهذه الجعالة، وهي عقد جائز ليس بلازم، فإذا قال من رد عليّ عبدي الآبق فله مائة، فقد يقدر على رده، وقد لا يقدر وقد يرده من مكان قريب وقد يرده من مكان بعيد، فلهذا لم تكن لازمة لكن جائزة.
وأما النوع الثالث: فهو ما لايقصد فيه العمل، بل المقصود المال وهو المضاربة، فإن رب المال ليس له قصد في عمل العامل كما للجاعل والمستأجر قصد في عمل العامل، ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح. لم يكن له شيء وان سمى هذا جعالة بجزء مما يحصل من العمل كان نزاعاً لفظياً، بل هذه مشاركة، وهذا بنفع بدنه، وهذا بنفع ماله، وما قسم الله من الربح كان بينهما على الإشاعة. ولهذا لا يجوز ان يخص احدهما بربح مقدر، لأن هذا يخرجها عن العدل الواجب في الشركة، وهذا هو الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المزارعة، فإنهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها، وهي ما ينبت على الماذيانات وأقبال الجداول ونحو ذلك. ولهذا قال الليث ابن سعد وغيره: إن الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم هو امر اذا نظر فيه ذو نظر ونظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم انه لا يجوز، فبين ان النهي عن ذلك موجب القياس، فان مثل هذا لو شرط في المضاربة لم يجز لأن مبنى المشاركات على العدل بين الشريكين، فإذا خص احدهما بربح دون الآخر لم يكن عدلاً، بخلاف ما إذا كان لكل منهما جزء شائع فإنهما يشتركان في المغنم والمغرم، فإن حصل ربح اشتركا في المغنم وان لم يحصل ربح اشتركا في الحرمان، وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا، ولهذا كانت الوضيعة (أي الخسارة) على المال لأن ذلك في مقابلة ذهاب نفع بدن العامل (الفتاوى جـ ٢٠ص ٥٠٧و٥٠٨، ويرجع ايضا إلى جـ ٣٠ص ٣٢٧و٣٢٨ وأعلام الموقعين لابن القيم جـ٢،ص٦).

قطع الربح في القوانين الوضعية

ان النفس السوية تدرك بان قطع الربح لاي من الشركاء يتنافى مع العدالة التي يجب ان تحكم العلاقة بين الشركاء،وقد عرف العرب ذلك في الجاهلية والتزموا ذلك في المضاربات التي كانت تتم بينهم وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يقتصر ذلك عليهم بل عرفه غيرهم فقد جاء في مدونة جستنيان في الفقه الروماني انه (لاتنعقد شركة يكون كل ربحها لشريك وكل الخسارة على الآخر، ومثل هذه الشركة التي يطلق عليها الشركة الأسدية تقع باطلة).
وهذه التسمية- الشركة الأسدية- مستمدة من الاسطورة التي تتحدث عن أن اسداً وذئباً وثعلباً اتفقوا على ان يصطادوا معاً ثم يقتسمون مااصطادوه، وقد اصطادوا ثوراً وغزالاً وأرنباً. ولما جلسوا للقسمة قال الاسد للذئب اقسم بيننا، فقال الذئب: يأخذ الأسد الثور ويأخذ هو الغزال ويأخذ الثعلب الأرنب، فضرب الاسد الذئب بيده ففصل رأسه عن جسده ثم طلب الأسد من الثعلب ان يقسم الصيد فقال واحدة يطعمها الاسد في الصباح والثانية ظهراً والثالثة في المساء فقال له الاسد: من علمك هذه القسمة العادلة؟ فقال رأس الذئب الطائر.
وقد أخذ القانون المدني في فرنسا بما كان مقرراً في القانون الروماني، إذ قضت المادة ١٨٥٥ منه ببطلان عقد الشركة التي يحصل فيها احد الشركاء على جميع الربح، والشرط الذي يعفي شريكاً او اكثر من تحمل الخسارة.
وعندما صدر اول قانون مدني في مصر بالامر العالي المؤرخ في ٦من ذي الحجة ١٣٠٠ هـ الموافق ٢٨ اكتوبر ١٨٨٣ميلادية نصت المادة ٤٣٤ منه على مايأتي:
لايجوز ان يشترط في الشركة ان واحداً من الشركاء او اكثر لايكون له نصيب في الربح او ان يسترجع رأس ماله سالماً من كل خسارة.
ولكن يجوز ان يشترط ان من دخل في الشركة بعمله لا يشترك في الخسارة بشرط ألا يترتب له اجرة على عمله.
وعندما ألغى هذا بالقانون رقم ١٣١لسنة ١٩٤٨ باصدار القانون المدني الذي عمل به ابتداءً من ١٥أكتوبر ١٩٤٩ نصت المادة ٥١٥ منه على مايأتي:
١- إذا اتفق على أن احد الشركاء لا يساهم في ارباح الشركة او في خسائرها، كان عقد الشركة باطلاً.
٢- ويجوز الاتفاق على إعفاء الشريك الذي لم يقدم غير عمله من المساهمة في الخسائر بشرط ألا يكون تقرر له أجر على عمله.
وهذه المادة تطابقها المادة (٤٨٣) من القانون المدني السوري والمادة (٥٠٦) من القانون المدني الليبي ويوافقها في الحكم المادة (٨٩٥) من تقنين الموجبات والعقود اللبناني. كما أن المادة (١٣) من قانون الشركات الكويتي تنص على عدم جواز قطع الربح وجعلت الجزاء هو فسخ الشركة وليس بطلانها- كما نصت المادة (٧) من قانون الشركات السعودي على بطلان شرط قطع الربح لأحد الشركاء.
وقد جاء في المذكرة التي نشرت مع مشروع القانون المدني المصري المعمول به الآن، أن من التشريعات التي لا تجيز قطع الربح لأحد الشركاء. المشروع الفرنسي الايطالي (مادة٥٤٧) وقوانين الدول الآتية

سويسرا(مادة ٥٣٣) بولونيا(مادة ٥٠٩) تونس (مادة ١٣٠٢) مراكش (مادة١٠٣٥) ايطاليا(مادة ١٧١٩) اسبانيا(مادة ١٦٩١) البرتغال(مادة ١٢٤٢) هولندا(مادة ١٦٧٢) الارجنتين(مادة١٦٨٦) النمسا(مادة ١١٩٦) البرازيل(مادة ١٣٧٢) كويبك(مادة ١٨٣١) ومازال وصف هذه الشركة -بأنها شركة الأسد او الشركة الأسدية- مستعملاً في الفقه القانوني في فرنسا والدول التي نقلت تشريعها عنها ومن بينها مصر.

ثانيا: أجر الأجير

يجوز شرعاً استئجار الآدمي بغير خلاف بين اهل العلم. ويفرق الفقهاء بين الأجير الخاص والأجير المشترك، فالأجير الخاص هو الذي يقع العقد معه على مدة معلومة يستحق من استأجره نفعه في جميعها- وسمي (خاص) لاختصاص المستأجر بنفعه في تلك المدة دون سائر الناس.

والأجير المشترك هو الذي يقع العقد معه على عمل معين كخياطة ثوب وبناء حائط أو عمل في مدة معينة لا يستحق نفعه فيها كلها كالطبيب.

والذي يعنينا هنا هو الأجير الخاص الذي يعمل لدى إحدى الشركات، وإني لم أجد - فيما قرأت من كتب الفقه- أحداً من الفقهاء تكلم عن العناصر التي يتحدد على أساسها أجر الأجير إلا في حالتين هما:

١- مقدار الطعام ونوعيته الذي يقدم للمرضع. وللأجير اذا كانت اجرته كلها او بعضها هي ما يقدم اليه من طعام.

٢- ذهب جمهور الفقهاء إلى ان العامل في المضاربة التي يقطع فيها الربح يعتبر- نظراً لبطلان العقد- اجيراً لدى رب المال، غير انهم اختلفوا في تحديد اجره، فذهب بعضهم الى انه يأخذ اجر مثله بالغاً ما بلغ. وقال آخرون انه لا يجوز ان يتجاوز اجره القدر المشروط في عقد الشركة إذا كان هناك ربح، فإن لم تربح فلا اجرله.

وإتماماً لهذا الموضوع اذكر أن ابن تيمية لم يعتبره أجيراً، وقال ان له ربح المثل.

وإذا كان الامر على ما تقدم وكان تحديد الاجر متروكاً للمتعاقدين، وليست هناك عناصر معينة يحدد على أساسها، فإن اعطاء الاجير اجراً ثابتاً يضاف اليه جزء من الربح ليس هناك مايمنع منه شرعاً، لأن الاجير يظل اجيراً، ولايغير من وضعه حصوله على جزء الربح، فإنه لا يعد شريكاً في الشركة لمجرد حصوله على جزء من ربحها، اذ لم تتوافر لدى الطرفين نية اعتباره شريكاً في الشركة. ولذلك فانه ليست له حقوق الشركاء ولايلتزم بالتزاماتهم. واعتقد انه ليس هناك مايمنع من الاستئناس في هذا الصدد بما يقوله القانونيون في دول تحظر قوانينها قطع الربح في الشركة.

وتقضي المادة ٨٩٥ من قانون الموجبات والعقود اللبناني على ان اشتراك المستخدمين او ممثلي الاشخاص المعنويين او الشركات في جزء من الارباح، كأجر كلي أو جزئي يعطى لما يقومون به من خدمات لا يكفي لمنحهم صفة الشريك.

وحكمت محكمة الاستئناف المختلطة في مصر بأنه لمعرفة ما اذا كان الشخص شريكاً او مجرد مستخدم في الشركة ينبغي التحقق من قصد المشاركة، وهو قصد التعاون والمزاملة في العمل المشترك الذي يجعل للشريك حق الرقابة وحرية النقد والذي يتناف مع التبعية وما توجبه من خضوع المستخدم للمخدوم خضوعاً يظهر على الاخص فيما يكون للمخدوم من حق اصدار التعليمات وما يكون على المستخدم من واجب العمل بها والإذعان لها. ولا تنافر بين التبعية وبين منح المستخدم جانباً- ولو كبيراً- من ارباح الشركة تكون بعض اجرته او كلها (١٩٣٤/١٢/٢٦ ملحق العدد ٢و٣ من السنة الثامنة لمجلة القانون والاقتصاد رقم ٣١ص٣٥).

ويقول الدكتور السنهوري في التفرقة بين عقد العمل وعقد الشركة يظل العقد عقد عمل اذا اتفق رب المال مع العامل على ان يحصل هذا الاخير على نسبة من الارباح حثاً له على الاخلاص وبذل الهمة في العمل، ولا مجال للقول بأن هناك شركة بين العامل ورب العمل لانه لا توجد مساهمة من العامل في الخسارة، فالمساهمة في الارباح والخسائر ركن اساسي من اركان الشركة، وهذه المساهمة هي التي تخرج العمال الذين يتقاضون فوق اجورهم نصيباً من ارباح الاستثمار عن ان يكونوا شركاء، فهم يشاركون في الربح ولايتحملون في الخسارة، والنصيب من الارباح الذي يمنح للعامل يعتبر جزءاً من أجره، فيجوز فصله ويستحق التعويض المقرر عن هذا الفصل، وهو لا يشارك في الادارة ولا يحق له ان يطلب حساباً عن هذه الادارة وليس مسؤولاً عن الديون(الوسيط في القانون المدني جـ٥ ص٢٢٤).

ويقول الدكتور مصطفى كمال طه: قد يتفق رب العمل مع العامل على ان يحصل هذا الاخير على نسبة من الارباح حثاً له على الاخلاص وبذل اليقظة في العمل، وقد يقال بأن هناك حصة بالعمل وان هناك اقتساماً للارباح بيد انه تتخلف هنا المساواة في المركز، إذ يظل العامل تابعاً لرب العمل ولهذا الأخير ان يفصله فتزول المساواة وهي قوام نية الاشتراك ولا يتغير الحكم اذا كان الاجر مختلطاً يتمثل في أجر ثابت وحصة في الارباح (القانون التجاري جـ١ ص٢٨٣و ٢٨٤).

ويخلص مما سبق ان عدم جواز قطع الربح لاي من الشركاء هو امر لم تنفرد به الشريعة الغراء فهو حكم يمليه الشعور بوجوب ان تسود العدالة الاحكام التي تبين حقوق الشركاء وواجباتهم وهو شعور قديم ومازالت تأخذ كثير من الدول حتى اليوم بالاحكام التي أملاها هذا الشعور بوجوب العدل بين الشركاء ولايقبل القول بأن عموم البلوى في العصر الحاضر تستوجب العدول عن هذه الاحكام.

واما عن حصول العامل على حصة من الربح بالاضافة الى اجر ثابت، فليس في احكام الشريعة الغراء مايمنع ذلك، لأن العامل لدى الشركة يظل عاملاً لديها ولاينقلب الى شريك، او شريك واجير لمجرد حصوله على حصة من الربح على ما سبق ايضاحه، ومن ثم فلا تسري عليه الاحكام التي تطبق على الشركاء ومنها عدم جواز قطع الربح.

وأؤكد مرة أخرى على انه لو لم نترك المعالجات الفقهية الدقيقة والغوص في التفاصيل والفروع، لتبين لنا وجه الحق في الموضوع ولما حاولنا التوفيق بين احكام الشركة وايجار الاشخاص ونفي التنافر بينهما، لانه لا يوجد جمع بين احكام هذين العقدين فالأجير يظل أجيراً، ومن ثم كانت تنتفي الحاجة الى اثارة مدى جواز جمع العامل بين الاجر الثابت وحصة من الربح لأن الفقه الموروث لا يحظر ذلك.

القرآن يخاطب العقول

دراسات قرآنية

الحرية فطرة الانسان التي فطره الله عليها، ولهذا كانت أول ما دعا الاسلام اليه، ومفهومها فيه أن يملك الانسان نفسه، ويمارس أعماله وأقواله بإرادته، فلا يكون عبداً لغير الله، أو يخشى أحدا إلا الله. وبتقرير هذه الحرية للانسان تحقق له حق الاختيار، وتقرير مبدأ الجزاء قال تعالى: ﴿فمن. يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة/٧و٨].

بقلم: مصطفى إسماعيل بغدادي

﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ [الطور/٢١].

كما أن تمتع الانسان بحريته يخلصه من تحكم أي سلطة بشرية، تفرض عليه تصرفات تخالف دينه، وتغضب ربه، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما أنها تؤكد — تبعا لذلك ـ كرامته التي شرفه الله بها، وتمكن الاسلام من بناء الانسان بناءً سليماً.

وحين اعلنت هذه الحرية فقدت الاعتبارات التي يتفاخر بها الناس قيمتها، فالناس سواء أمام الله ، وقد أكد النبي صلوات الله وسلامه عليه هذه المساواة بقوله في خطبة الوداع:

«يا أيها الناس إن ربكم واحد، لافضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى».

المجتمع الاسلامي والحرية

وفي نطاق هذا المفهوم للحرية انطلق الانسان المسلم في ظل هذا المجتمع الاسلامي يمارس حياته آمنا على نفسه وأهله، ولا يخشى بطش ظالم، ويعمل ما يشاء، ويقول ما يشاء دون عدوان على حق غيره، أو إساءة إلى مجتمعه، لأنه لو فعل شيئا من هذا عرض نفسه للحرمان من هذه الحرية، وعرضها للاعتداء عليها جزاء وفاقا، لأن رقابة الله التي يحسها المسلم في كل خطوة من خطواته تدعو إلى الالتزام بهذا السلوك قال تعالى:

من خلال الحرية مارس المسلم حياته الآمنة على نفسه وأهله وماله

﴿لقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق/١٦-١٨].

الاسلام وفضل السبق

والاسلام سبق مختلف الدساتير والنظم الحديثة في مناداته بحرية العقيدة، أو الحرية الدينية باعتبار أن الاسلام دين الفطرة، لذا كان الاكراه في الدين ممنوعا، وهذا من أبرز مظاهر حرية الانسان، ذلك لأن الدين أمر يتصل بالقلب والعقل، فلا مجال لأحد أن يفرض سلطاته بإلزام الناس بعقيدة دينية، بل وإن كل محاولة في هذا السبيل تعتبر فاشلة، لا أثر لها في الواقع.

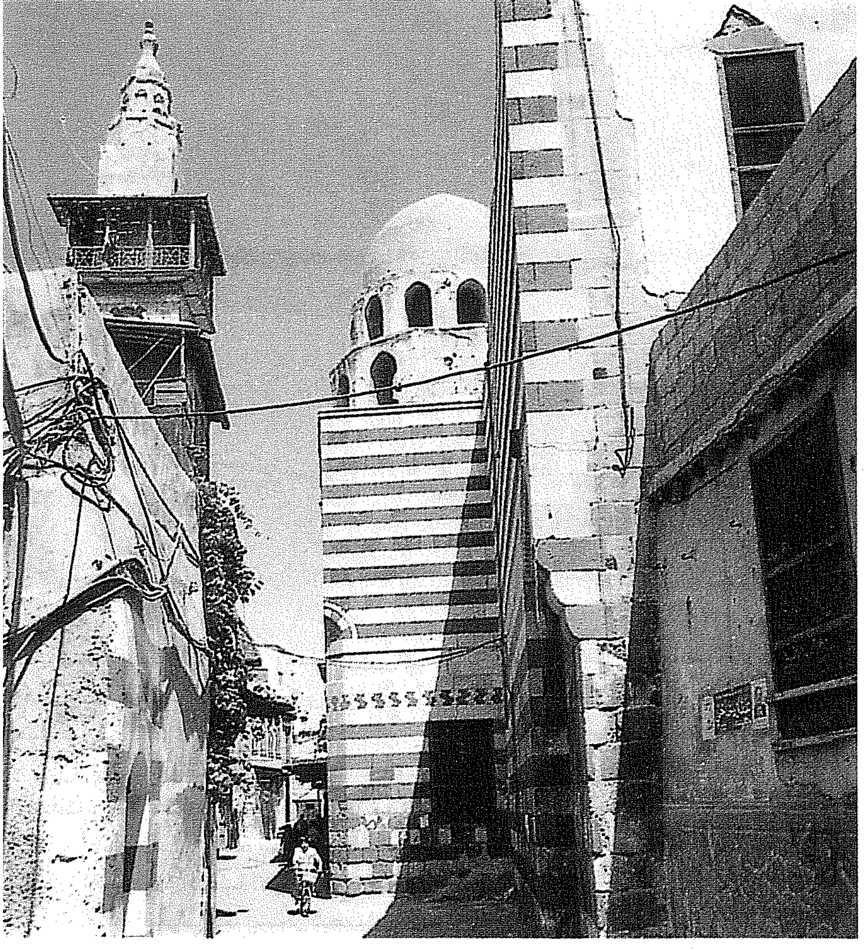
وقد وردت آيات كريمة في تقرير مبدأ الحرية الدينية ـ منها قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ [البقرة/٢٥٦].

وقد يدعو الانسان تجاوزه في التمتع بحريته إلى أن يعتدي على غيره، ويلحق الضرر به متناسيا قول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

ولمنع التجاوز وضع الاسلام مبدأ حرمة الدماء والأموال والأعراض، قال رسولنا ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه» رواه مسلم.

وقدر عقوبة رادعة لمن يقدم على جريمة من هذه الجرائم، فمن يعتدي على غيره، أو عضو من أعضائه، يقتص منه . قال تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ [المائدة/٤٥].

كما نهى الاسلام عن أخذ مال غيره بالباطل، وتقديم الرشوة إلى غيره للحصول على المال بغير حق قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا



أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ [البقرة/١٨٨].

الاسلام والعقل

ولم يقيد الإسلام عقل الانسان بأي قيد يحول بينه وبين الاشتراك في الشئون العامة، بل طالب الانسان المسلم بالاسهام في كل أمر يمس وجوده، فمن حقه أن يسهم بالرأي في الاختيار وذلك عن طريق الشورى، ومن حقه أن يتقدم بالنصح للحكام قال ﷺ «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم.

كما حث الإسلام على العمل قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة/١٠٥].

وجعله عبادة مادامت وسائله شريفة. قال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ [الجمعة/١٠].

ولم يحرم الانسان ـ فقد حثه على العمل ـ ليأكل من ثمرات عمله، فهو يملك مايكسب، ويملك التصرف فيه، ولم يكتف الاسلام بتأمين دخل الفرد عن طريق دعوته إلى العمل والكسب، وانما حرص على تأمين اقتصاد الدولة، لهذا حث على مضاعفة الجهد في العمل، ليضاعف المال بالطرق المشروعة، كالتجارة والصناعة والزراعة وغيرها من مجالات العمل، كما أباح المنافسة الحرة قال رسول الله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» رواه مسلم والترمذي.

وقرر الإسلام حرية الفكر والرأي، وحارب التعصب الأعمى، والتقليد المقوت، وأطلق العنان للعقل البشري، ليفجر المواهب الكامنة فيه، والطاقات المتوافرة لديه في سبيل العلم والأدب والصناعة والاختراع والتجديد في كل نواحي الحياة الحرة الكريمة.

وكان من علائم حرية الفكر والرأي أن الرسول عليه الصلاة والسلام، كان يجتهد في المصالح الدنيوية، وتدابير الحرب ونحوها.

كذلك أطلق الاسلام للناس حق مناقشة الرسول ليستوضحوا أمر دينهم، بل مجادلته فيه كما في قصة (خولة بنت ثعلبة) التي ظاهر منها زوجها، وافتاه الرسول بتحريمها عليه، ثم نزول أوائل [سورة المجادلة] بتشريع الظهار. فقال سبحانه وتعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾ [المجادلة/١].

وهناك مواقف كثيرة للصحابة مع الخلفاء الراشدين، كانت تمثل ظاهرة حرية الرأي، مثل موقف المرأة التي ناقشت عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في مسألة تحديد المهور قائلة له: (أيعطينا الله وتحرمنا أنت) فالله تعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ [النساء/٢٠].

فلا يجد الخليفة عمر مناصا من الإذعان لرأي المرأة، ضاربا المثل في الخضوع للحق وقال قولته المشهورة (أصابت امرأة وأخطأ عمر).

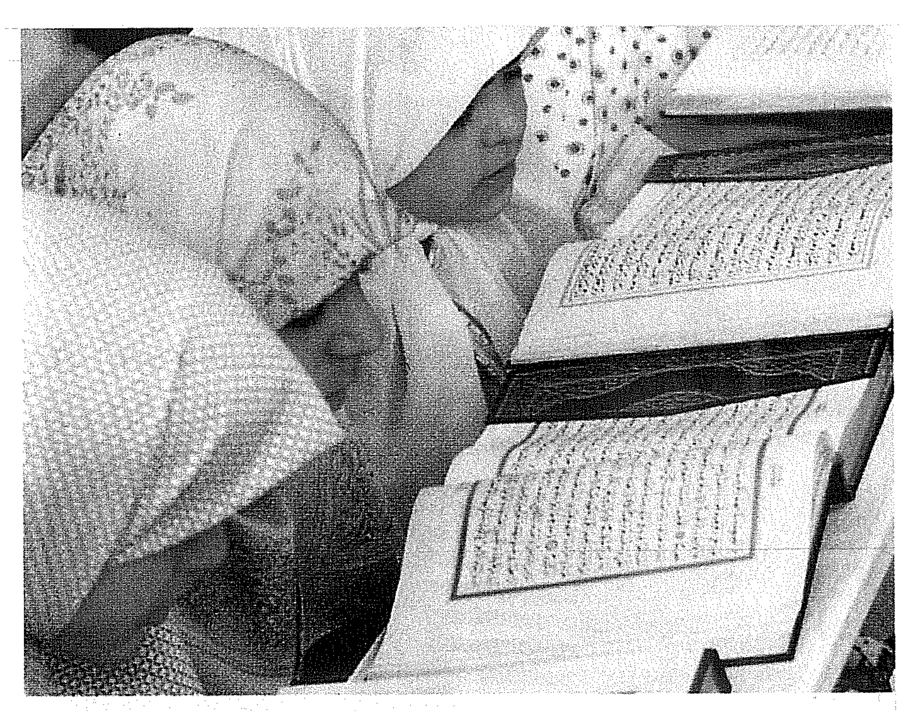
وهكذا منح الإسلام الناس الحريات التي يستمتعون بها في حياتهم، ولكنه أحاطها بما يمنع من المغالاة في استخدامها، والانحراف بها عن الصواب.

وبذلك حقق للمجتمع الإسلامي القوة، وحماه من نوازع الشر التي تمزق وحدته، وتصيبه بالضعف والانحلال.

تمتع الانسان بالحريات يخلصه من تحكم السلطات البشرية التي تفرض عليه تصرفات تخالف دينه

مفهوم الحرية

ومفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، مفهوم يستمد قدسيته من إيمانه بكرامة الانسان، ويعقد الصلة بين الحرية، وقيم الدين الكبرى، لأنه يربط بينهما وبين الجزاء



الروحي، ومصير الانسان، وغاية وجوده، وهو رباط يرتفع به إلى أن يكون فريضة إسلامية.

ومن بين ما ورثناه عن الغرب — بعد اتصالنا بهم - مقاييس مختلف ترتبط بحياة العالم الإسلامي : ولقد بهرتنا فنقلناها، وأخذنا نقيس بها واقعنا الاجتماعي ونقارن في ضوئها ماضينا بما يسحر أبصارنا في حاضرة هذه الأمم الغربية.

وقد نشأ عن ذلك هذا التعلق والحرج بين تاريخنا الماضي المتصل بأعماقنا الباطنية وحضارة الغرب التي لم نستطع أن نأخذ عنها إلا جانبها الظاهر، أي الجانب المادي.

ولقد أخذ العالم الاسلامي فكرة الحرية بهذا المعنى دون أن تكون لديه الحالة نفسها التي حدث من نتاجها التحرر هناك، فكان من آثار ذلك أن وقع المسلم في حرج بين نقيضين، وانقسمت فكرة الحرية على نفسها وتأرجح المجتمع الاسلامي بين الاستقرار التقليدي والتقدمية الفعلية، فحدث التمزق في بنائه الثقافي، ونشأ القلق الذي يكتنف حياته اليومية.

هكذا اقتبسنا مفهوم الحرية من الغرب، فنقلنا نتائجه دون أن نمر بالأدوار والظروف التي أدت إلى هذه النتائج، ومن هنا تصور بعض شباب اليوم بأن الحرية تتيح له أن يعمل ما يشاء، وأن يقول ما يريد دون رعاية لحقوق غيره من الناس ومشاعرهم. فانطلق يمضي في حياته متمسكا بكل ما يصدره لنا الغرب من مفاهيم وعادات لا تتفق وتعاليم ديننا الحنيف، حتى أصبحت الحرية عند الشباب ضربا من الفوضى والتحلل الأخلاقي الذي يفسد الحياة، ويمزق المجتمع ويقضي عليه وعلى أمته.

وإذا تبين لنا أن تلك المفاهيم المنقولة إليه من الغرب — على رغم تفاهتها وزيفها — قد أصبحت مثله الأعلى، وضح لنا مدى الخطر الشديد الذي يهدد شبابنا الآن.

فماذا فعلنا لمواجهة هذا الخطر؟! هل أدينا الرسالة؟ أم لم نؤدها؟!

وإذا استوقفتنا هنا بعض ملامح التحرك الفكري الإسلامي فهل هي كافية؟ وهل أعطت الثمرة المرجوة منها؟

أقولها بمرارة: إنها لم تعط إلا القليل. القليل من الثمرة، ذلك لأنها حركة النائم الذي يعيش في منزلة بين المنزلتين، المنزلة التي تتوسط بين النوم واليقظة.

وإني حين أقول ذلك أشعر بقسوة هذا الكلام عليّ، وعلى الذين يقرؤونه، وأحس أني أشدّ من يتأذى به لأني واحد من هذا الجيل الذي أفنى ثلاثة عقود من حياته متصلا بالجيل الناشىء، عاملا على تعليمه وتوجيهه.

فليس أصعب عليّ إذاً من أن أقول هذا الذي قلته لأنه نوع من إشهار الإفلاس والاعتراف بالجدب، وإظهار الأرض وكأنها أرض بور لم تنبت فيها شجرة ولم يظهر فيها زرع.

ومع ذلك ورغم كل هذا فما زالت أمامنا الفرص، فلنتجاوز هذه النتيجة لنتبصر الواقع الماثل أمامنا ونحاول من جديد، والأمل معقود على رجال الفكر والرأي وحملة الأقلام المخلصة.

الخطاب الإسلامي واضح وصريح في الأسلوب القرآني الفريد الناجح

الخطاب القرآني

ولقد كان الخطاب القرآني لنا واضحا وصريحا حينما أمدنا بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالخطأ، مما يدفع الانسان إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الخطأ قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر/٥٣].

وحين يسمع المسلم قوله تعالى: ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف/٨٧].

لا يمكن أن يكون مشدودا إلى التشاؤم، ولكن التفاؤل لا يعني أن يحجب عنا الحقائق الواضحة، ولا نريد أن نغطي الشمس بقطعة من زجاج شفاف. ولا أن نتقي حرها باصطناع أشجار من ورق ملون، وإنما نريد أن نواجه الحقيقة وأن نعمل بما يمليه الواقع علينا.

إننا - متشائمون كنا أو متفائلون - ملتقون على أنه لابد من مواجهة هذا الخطر والخروج من آثار الواقع، ولن نختلف على الوسائل إلا بمقدار ما يكون من آثارها كشف الطريق الذي نسلكه لنصحح المسيرة، ونبطل الزعم الخاطىء بأن العالم الانساني يدين للغرب بمبدأ الحرية، ونثبت للعالم أجمع أن الاسلام هو أول مؤسس لهذه الحرية وأن الأمة الاسلامية أعرف بمعنى الحرية الحقيقية من الغرب ■

الرسم القرآني لبناء الأسرة المسلمة

دراسات قرآنية

بقلم: محمد الأنصاري

عندما نتحدث عن الأسرة المسلمة يصطحبك الخيال لتحلق إلى المثل الاسلامية العليا الذي تبني على اساسها الأسرة الاسلامية فعندما نقول الاسرة المسلمة من البديهي أننا نعني الاسرة التي يلتقي ركناها على تحقيق الهدف الذي شرعة الله من اجل تكوينها.

ولو عدنا قليلاً إلى ذاكرتنا وأمعنّا النظر في كتاب الله وسنة رسوله الكريم لوجدنا الرسم الصحيح للبناء الأسروي الذي رسمه القرآن والسنة المطهرة معاً فيما يذكرانه من قواعد واسس ثابتة لابد من وجودها حتى يتحقق المنهج الرباني المطلوب من البناء الاجتماعي والذي يندرج تحت الاسس التالية:

١- تطبيق منهج الله الذي يتلاءم مع طبيعة الرجل والمرأة في كل شؤونهما وعلاقاتهما الزوجية وهذا يعني إقامة البيت المسلم الذي تبنى حياته على تحقيق عبادة الله ليحقق هدفاً كبيراً سامياً هو تحقيق التربية الإسلامية لكل من البراعم التي تنتج عن البناء الاسروي.

لذلك عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة/ ٢٢٩] أي أن الله تبارك وتعالى أباح الطلاق وسمح للمرأة ان تطلبه خوفاً على ضياع دينها وعدم إقامة حدود الله فيما بينها وبين زوجها.

ولذلك أباح سبحانه وتعالى الرجوع إلى الزوج بعد أن تتزوج المرأة زوجا غيره، وعلّل ذلك بتوقع إقامة حدود الله أي إقامة الحياة الزوجية على تقوى الله كالتعفف وحسن المعاشرة وغض البصر قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدود الله﴾ [البقرة/ ٢٣٠].

وهذا من باب التربية حتى يعرف المسلم والمسلمة أن سر نجاح زواجهما هو إقامة حدود الله فيما بينهما وهو ما ينسجم مع فطرتهما ومشاعرهما وهو الطريق إلى إزالة الكثير من العوائق والمشاكل بين كل من الزوجين إذا التفتا إلى هذا الأساس العظيم الذي رسمه الله ورسوله.

٢-تحقق السكون النفسي والطمأنينة:

النفس الانسانية جلبت بفطرتها على الحب والكره فهي تنسجم وتسعد إذا أحبت وتنقلب وتتغير إذا كرهت، هذه النفس هي ذاتها التي خلقها الله وهو العليم سبحانه بحالها، لذلك يلفت انتباهنا نحن المسلمين إلى ان وجود الطمأنينة لن يتأتى إلا بعد تحقيق وتطبيق الالتزام بمنهج الله.

لذلك يقول الله عز وجل:

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف/ ١٨٩].

ويتضح الأمر أكثر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم/ ٢١].

فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والتراحم والاطمئنان والتعاطف النفسي المتبادل يتربى الأولاد في جو سعيد مليء بالثقة والاطمئنان والعطف والمودة بعيدا عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيتهم وتحيلها نقمة على الأهل فيما بعد بدلاً من ان تكون نعمة.

٣- التمسك بوصية الرسول عليه الصلاة والسلام بإنجاب النسل المؤمن الصالح الذي يكثر سواد الأمة على غيرها من الأمم يوم القيامة، ليعتز بها رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهي بكم الأمم يوم القيامة».

إذاً هناك غاية اخرى من الزواج ومن تكوين الأسرة لابد ان نلتفت اليها وان نخطط لها لأن عواقبها كبيرة ومسؤولياتها جسيمة وكيف لا؟.. وهي المحضن الذي ينشىء ويربي ويعد جيلاً يحمل مشعل الهداية والنور الى العالمين فلابد من الاستعداد لذلك والاتفاق على ذلك بين كل من الزوج والزوجة ومن ثم العمل على رسم برنامج ومنهج لحياتهما وذلك باقتطاع جزء كبير من الوقت للتربية السليمة التي تجنبنا تهديد الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

فإن تمسكنا بما أمرنا الله به وبنينا علاقاتنا الزوجية وربينا أولادنا على المبادىء الاسلامية نكون قد حققنا الهدف الأسمى الذي اراده الله لنا ان نكون خير أمة اخرجت للناس في انفسنا واولادنا واحفادنا ونتمنى للجميع ان يضع هذه المثل نصب عينيه حتى يحفظ نفسه ويحافظ على زوجته واسرته. ■

من بديع بناء «المقابلة» في النظم القرآني

دراسات قرآنية

بقلم ـ خالد السيد علي بلاسي

يشيع في الدرس اللغوي على وجه العموم، والجمالي منه على وجه الخصوص إطلاق مصطلح المقابلة على ما وقع في الكلام مرتبا على جهة التقابل، لفظان كانا أو أكثر، ومن أجل شواهده المتعددة قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسِّره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسِّره للعسرى.﴾(١).

في قول الله تقابل خلاب بين أربعة معان ـ كما ترى:

ثم إن الشائع ـ كذلك ـ أن ترى نسق هذا الأسلوب وقد جمعته آية أو آيتان... أو بيت أو بيتان.. لكن أن تراه وقد جمعته سورة كاملة تربو على الخمسين آية فذلك مثار العجب.. فإذا ما كان طرفا المقابلة في هذه السورة مما لا يجمعهما تقارب ـ ولو نسبي ـ فإن ذلك هو العجب العجاب!.

تجلى لي ذلك وأنا أتأمل النظم القرآني الشريف في سورة القمر، فقد وجدت خاتمتها المتمثلة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾(٢) في مقابل ما تقدمها من نظم السورة كلها.. ووقفت طويلا أدقق وأراجع فإذا بي أمام ما يمكن أن أطلق عليه (تقابلاً بين قصتين): قصة أهل التكذيب، ومآلهم المحتوم ــ في إجمال خاطف ــ ثم قصة أهل النور في إيجاز مُشِع أشبه ما يكون بالقانون، بل هو قانون عام: ﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾(٣).

وتوضيح ذلك أن سورة القمر إنما تعني بشيء واحد هو هز وجدان معاندي الرسالة المحمدية، وذلك من خلال عرض ما يشبه (الشريط المتتابع الحلقات) يرون من خلاله مصارع الأمم، ويد القدرة تستأصلها، أمة أمة، أمة نوح.. ثم ثمود.. ثم لوط.. ثم موسى، وذلك في سياق يفيض هولاً ورعبا، ودماراً وفزعاً وانبهاراً، وكان كل مصرع حلقة عذاب رهيبة سريعة لاهثة مكروبة... يشهدها هؤلاء المعاندون، فكأنما يرون أنفسهم فيها.. ويحسون إيقاع سياط تتوعدهم.. فإذا انتهت الحلقة، وبدأوا يستردون أنفاسهم اللاهثة المكروبة عاجلتهم حلقة جديدة أشد هولاً ورعباً(٤)، حتى إذا ما انتهى عرض مصارع الأمم الخمس: أمة (نوح)، وأمة (هود)، وأمة (ثمود)، وأمة (لوط)، وأمة (موسى) ـ على هذا الوجه الذي فصلناه ــ التفت مباشرة إلى المعاندين من قوم سيدنا محمد -ﷺ- مخاطبا إياهم قائلا: ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾ في هذين السؤالين المتتابعين اللذين هما كالحصار لهم.. فلا تراهم ـ والحالة هذه ـ إلا وقد شغلهم ما يشبه اختلال الوزن ـ على أقل تقدير.

ولاشك أن في النص أعلى الحلقات التي تحمل مزيدا من العنت المرسل إليهم.. ثم تلك التي تحمل مزيدا من الشكوى من جانب المرسل ـ عليه السلام ــ ثم التعقيب بعد ذلك بالخاتمة التي كان مضمونها الوبال والنكال على المكذبين والمعاندين ـ أقول لاشك إن في ذلك كله استحضار للصورة فيما يشبه قرب نهايتها.. وهذا ماتهدف السورة إلى غرسه.. فهي تحفل بإخراج الصراع بين الحق والباطل في صورته حين يحتدُّ ثم يعقب بالنتيجة الحتمية.. وفي ذلك ــ لاشك ـ مزيد ترهيب للقوم، فلئن كانوا قد ظنوا أن يد الحق والعدل لم تمسك بهم.. فليفيقوا: ﴿أكفاركم خير من أولائكم. أم لكم براءة في الزبر. أم يقولون نحن جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون الدبر. بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر. إن المجرمين في ضلال وسعر. يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مَسَّ سقر. إنا كل شيء خلقناه بقدر. وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر. ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مُدَّكر. وكل شيء فعلوه في الزبر﴾(٥).

وإذا كان جو الترهيب قد سيطر على المعروض من جزئيات السورة فإن النظم الشريف لم يغفل جانب الترغيب، وذلك حتى تتوازى المعاني فيكتمل الغرض، ويؤتي ثمرته في نفوس المخاطبين.. وهذا ماوجدناه في خاتمتها، حيث قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.

والترغيب وإن كان قد استغرق آيتين اثنتين فقط فإنه قد وقع في مقابل ما تقدمه من النظم كله، بحيث أصبحت الآيتان في مقابل المعروض كله من بداية السورة.. فما سبق ترهيب، والآيتان ترغيب، وهذه مقابلة بديعة نعرض لوجوه محاسنها ودلائل إعجازها فنقول إن معاني السورة الشريفة يمكن تقسيمها إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: تصوير لحل النفس البشرية حين

رفقاء السوء وأقران الغفلة أصحاب التأثير على القلب والجوارح يساعدون على الانحراف

يستولي عليها دافع الغرور والعناد والمكابرة، فتراها وقد رفضت الآيات البينات الواضحات واستمرأت سلوك التكذيب وأفاعيل الخسة والدناءة، فكان عاقبتها في الدنيا إهلاكاً جماعياً يريح البشرية من آثامها وشرورها.. ناهيك عما ينتظر هؤلاء من عذاب الآخرة.

القسم الثاني: تصوير لنقيض هذه الصفات، حيث تسمو النفوس، فتتقبل منهج ربها الواضح البين، فيكافأ أصحابها على ذلك بحياة طيبة في الدنيا يتلوها نعيم مقيم ﴿في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.

فالقسمان إذن متقابلان تقابلاً بينا جليا، بل وفريد من نوعه، وإلا فكيف تقابل آيتان بثلاثة وخمسين آية.. بحيث تجمعان أطراف المعاني المبثوثة فيها جميعها لتكون في مقابلها؟! ذلك ما وجدته حين تأملت هذا التقابل البديع.

انظر إلى لفظة (المتقين) وما توحي به من بلوغ التصديق مبلغه، وكيف أن أصحابها قد أفادوا من رسالات رسلهم مما أهّلهم لبلوغ هذه الدرجة، ثم وضعها في مقابل المكذبين المعاندين، هنا تجد التقابل في أجلى معانيه.

ثم انظر إلى لفظتي ﴿جنات ونهر﴾ وتأمل جرسها المتدفق رقةً وحنوًّا ثم ظلالهما المشعة بكل ألوان الحفاوة والتكريم، ثم وضعها بجوار المفردات التالية: ﴿نكر﴾، ﴿عسر﴾، ﴿ضلال﴾، ﴿سعر﴾ فإنك واجد لا محالة أثرا نفسيا يجذبك نحو طريق الجنات والنهر.. وينفّرك بالطبع من سلوك الطريق الآخر. وتلك فائدة من فوائد المقابلة البديعة هذه.

يظهر ذلك في تخير لفظة ﴿نهر﴾ وهي متحركة العين دون (أنهار) مثلا، إذ في هذا التحرك من السلاسة ما يجعلها ملائمة لمقام الحديث عن المتقين، ومآلهم الرضي الهنيء، ثم ليكون في هذه الحركة أيضا انسجام مع البناء العام لفواصل السورة كلها، فقد بنيت جميعها على الراء المتحرك ما قبلها. وهذا من الإعجاز في تخير المفردات القرآنية لتؤدي أغراضا متعددة - كما رأينا - وذلك بالطبع على جعل اللفظة مرادا بها الجمع، فالنَهر كالنهر إلا أنه عبر به هنا عن الأنهار للأغراض السالفة، وذلك لأن اللفظة قد يراد منها السعة والضياء، فالجنة ليس فيها ليل.. إلا أن القول بجعلها اسم جنس استعمل في الدلالة على الجمع أنسب بمقام الإنعام، وذلك لمجاورتها للجنات.. فتجاور الجنات والأنهار استعمال مطرد في النظم القرآني - والله أعلم بمراده.

ويأتي قوله: ﴿في مقعد صدق﴾ ليكون في مقابل ما يعيش عليه المكذبون من أراجيف وأكاذيب وأضاليل.. ثم ليكون أيضا في مقابل ما توهمه هؤلاء الأقوام من نجاة زائفة باطلة لا واقع لها. أما المتقون فهم ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾، فهو القوي الذي بيده كل شيء، وهو الذي لا يريد لعباده سوى الخير، كما أنه الملك الذي أهلك السالفين وبيده إهلاك التالين لأنه المقتدر جل وعلا ... فأين هذا كله من تخيلات المكذبين الضالين وماينسبونه لآلهتهم المزعومة؟!.

هذا على مستوى المفردات، فإذا تأملت التركيب كله وجدت نبضه وقد اتسمت بسلاسة وهدوء يقابلان الشدة والهول اللذين سيطرا على ما تقدمه من نظم صوره القسم الأول من السورة - كما بينا.

وأيضا فإن في إيجاز التركيب ذاته مظهراً من مظاهر تلك المقابلة، ذلك أن الحديث عن المتقين عقيب تعداد نماذج بشرية استأهلت عقاب الله تعالى إنما يحسن ويؤتي أثره وثمرته حين يأخذ طابع السنة التي لا تتخلف، فما أشبهه بالقانون العام الموجز.. الذي لا مراء فيه ولا جدال: ﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ فشأنهم لا يحتاج إلى طول حديث فهم قد وُفّقوا إلى طريق الحق والنجاة، وبهذا يكون الحديث عنهم معلماً من معالم الطريق إلى الله تعالى، فإيجازه من وجوه بلاغته التي يتطلبها جو المقابلة.

وبذلك تكون هذه المقابلة البديعة قد حققت معاني ثلاثة هي:

١- التنفير من صفات المعاندين المكابرين.

٢- الترغيب في اتباع سبيل المؤمنين.

٣- تضمنها الخلاصة الواعية لما تهدف إليه السورة من عرض قصصها الخمس.

وهي مع تحقيقها لهذه الأغراض السالفة لم تخرج عن الإطار العام لتكوين النظم في السورة، فحجم الآيتين من جنس ما تقدمه.. وفاصلتاهما (رائية) سبقت بمتحرك، شأن فواصل السورة كلها أيضا، وبهذا تكون الآيتان - على إيجازهما - قد قابلتا ما تقدمهما من نظم استغرق ثلاثة وخمسين آية - كما ذكرت.

وعليه فإنه إذا كانت المقابلة في عرف البلاغيين تعني التقابل بين معنيين أو أكثر فإنها في نظم هذه السورة تأخذ نطاقا أوسع مما نصّوا عليه وإن دارت في فلكه، إذ المعنى الأول الذي قوبلت به الآيتان لم يكن محصورا في تركيب بعينه حتى يكون المعنى الثاني مما قابله، وإنما أخذت من مجموع ما تقدم المعنى الثاني، فمجموعه حديث عن مكذبين لم يعتبروا بما جاءهم به رسلهم فأصابهم ما أصابهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وذلك ليقابل حديثا عن مصدقين نعموا في الدنيا بتوفيق الله تعالى، ولمثوبة من الله لهم في الآخرة أحب وأشمل وأكرم..

فالنظم الشريف إذن فيه تقابل بين معنيين.. أو قل بين قصتين، قصة أهل الكفر وما سرد منها من نماذج - في اختصار شديد - يتطلبه المقام، وقصة أهل النعم - في اختصار أيضا - يتطلبه المقام كذلك، فهو صنيع يشبه عطف القصة على القصة - أي الحال والشأن - إلا أن ما ههنا ليس عطفا، وإنما هو تقابل تطلبه مقام السورة ليحقق غرضها على نحو ما بيَّنَّا. ■

الهوامش

١- [الليل/٥-١٠].

٢- [القمر/٥٤و٥٥].

٣- [القمر/٥٤و٥٥].

٤- في ظلال القرآن، للمرحوم سيد قطب ٦/٣٤٢٥ (بتصرف) ط دار الشروق سنة١٤٠٦هـ.

٥- [القمر/٤٣-٥٢].

٦- انظر: اللسان (ن.هـ.ر)، والوجير في تفسير القرآن العزيز، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي جـ٢ ص٤٣٠ ط عيسى الحلبي (د.ت) (مطبوع على هامش تفسير النووي). وروح المعاني للألوسي ٢٧/٩٥. مكتبة دار التراث (مصر).

من المؤمنين رجال..

هذا الصحابي المرح!!

شخصيات

بعض الشباب الدعاة في أيامنا هذه تكسو وجوههم مسحة من الجهامة والغلظة، وقد يغلب عليهم الجفاء في معاملاتهم مع الناس فيظن البسطاء من العامة أن ديننا الحنيف يتطلب التقطيب المستمر والاكتئاب المقيم، وليس هذا بصحيح.
قال الرسول ـ ﷺ ـ «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا». حديث صحيح ـ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عمر، والخطيب البغدادي عن أنس، وأحمد والترمذي عن أبي هريرة.

بقلم. أ.د/ مصطفى رجب

صورة الصحابة

وقد عرفنا من كتب السيرة والسنة أن عددا من صحابة رسول الله ﷺ كانوا معروفين بالمرح والدعابة، وكانوا مقربين من الرسول ﷺ ومحل حبه وعطفه، وربما شاركهم مزاحهم ليدخل السرور عليهم كما يدخلون السرور عليه وعلى جلسائه.
قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مرويا عن كبراء الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ كانوا يتمازحون ويتناشدون الاشعار.
فاذا خاضوا في الدين انقلبت حماليقهم (يعني أجفانهم) وصاروا في صورة أخرى، وقيل للنخعي: هل كان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يضحكون ويمزحون؟
قال: نعم.. والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

كتب السيرة والسنة عرفتنا بالصحابة المرحين المازحين ـ رضوان الله عليهم ـ المقربين من رسول الله ﷺ

أشهر المازحين

وممن اشتهر بين الصحابة بالفكاهة والمزاح الشديدين صحابي جليل من الذين شهدوا بدرا، وكان رسول الله ﷺ يحب البدريين ويقربهم وقال في حقهم ما جاء في الحديث الصحيح: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم».
هذا الصحابي المرح هو (نعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري) ويقال له: النعيمان ـ أحيانا ـ.
وقد أشار الامام النووي في (تهذيب الأسماء والصفات) إلى كثرة مزاح نعيمان وضحك النبي ـ ﷺ ـ من مزاحه حتى قيل إنه ـ ﷺ ـ قال عنه «يدخل الجنة وهو يضحك».
وكان نعيمان إذا رأى فاكهة جديدة أعجبته اشترى منها وأمهل البائع قليلا ثم يأتي إلى النبي ـ ﷺ ـ فيعطيه من هذه الفاكهة أو ذلك الطعام ويقول له: (هذا أهديته لك) وبعد قليل يأتي البائع إلى نعيمان يطالب بالثمن فيأخذه إلى النبي ـ ﷺ ـ ويقول للنبي (اعط هذا ثمن متاعه).
فيقول النبي ـ ﷺ ـ: «أو لم تهدها إليَّ يا نعيمان».
فيقول: انه ـ والله أعجبني ولم يكن عندي ثمنه وقد أحببت أن تأكله.
فيضحك النبي ـ ﷺ ـ ويدفع الثمن للبائع؟
وروى ابن عبدالبر في (الاستيعاب) عن أم سلمة رضي الله عنها أن

أبابكر الصديق - رضي الله عنه - خرج في تجارة له إلى بصرى (بلد في الشام) ومعه نعيمان الأنصاري هذا، وسليط ابن حرملة وكلاهما ممن شهدا بدرا وكان سليط هو المسؤول عن الزاد وتدبيره، فبينما هم في بعض الاستراحات أثناء الطريق جاء نعيمان فقال لسليط: أطعمني فرفض أن يطعمه الا بعد حضور أبي بكر من الخارج، وقال له: لا أطعمك حتى يأتي أبوبكر، فاغتاظ نعيمان وقال لصاحبه: لأغيظنك.

أشهر مزاحاته

فمروا بعد ذلك بقوم من العرب فاختلى بهم نعيمان وقال لهم: أتشترون مني عبدا؟

قالوا: نعم.

فقال لهم: إن هذا عبدي وله كلام، وسوف يقول لكم: لست بعبد، وأنا ابن عمه، فإذا كنتم ستسمعون منه مثل هذا الكلام فلا داعي للصفقة من الآن، ولا تفسدوا عليَّ عبدي.

قالوا: لا، بل نشتريه ولا ننظر إلى قوله. فدفعوا له فيه عشرة من الإبل ثم جاؤوا معه، ليأخذوه، فامتنع سليط منهم، وقال لهم: انه يستهزىء بعبده.

فقالوا: قد أخبرنا خبرك، وأخذوه بالقوة ثم وضعوا فوق عنقه عمامة - كعادة زي العبيد - ولما جاء أبو بكر رضي الله عنه وأخبروه بالخبر سار وراء القوم فأخبرهم أن صاحبه يمزح ورد عليهم إبلهم وأخذ سليطا منهم.

قال ابن عبدالبر في نهاية هذه القصة: فلما قدموا على رسول الله - ﷺ - أخبره أبوبكر الخبر فضحك من ذلك رسول الله - ﷺ - وأصحابه حولا كاملا.

والصحيح في اسم ذلك الصحابي الذي بيع هو سويبط بن حرملة وليس سليطا.

> أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا في الدنيا ولا في الآخرة

الرسول والنعيمان

وحدث ذات مرة أن أعرابيا جاء إلى النبي - ﷺ - فدخل المسجد، وأناخ ناقته بفنائه، فجاء بعض الصحابة إلى نعيمان وقالوا له: لو نحرتها فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللحم ويغرم رسول الله - ﷺ - ثمنها! فنحرها نعيمان ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته مذبوحة وفي طريقها إلى الانضاج فصاح: واعقراه يا محمد! فخرج النبي - ﷺ - فقال: من فعل هذا!

قالوا نعيمان!

فاتبعه الرسول - ﷺ - يسأل عنه حتى وجده في منزل ضباعة بن الزبير بن عبدالمطلب، وقد اختفى في حفرة وغطى نفسه بالجريد والسعف، فأشار رجل ممن يرافقون النبي - ﷺ - إلى موضع نعيمان باصبعه ورفع صوته قائلا: ما رأيته يا رسول الله!!

فأخرجه الرسول - ﷺ - وقد تغير وجهه بالسعف فقال له الرسول - ﷺ - ما الذي حملك على ما صنعت؟

قال نعيمان: الذين دلوك عليَّ يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك، فجعل الرسول - ﷺ - يمسح وجهه ويضحك ودفع ثمن الناقة لصاحبها.

> النعيمان بن عمرو اشتهر بين الصحابة بالفكاهة والمزاح الشديدين وهو جندي من جنود بدر الكبرى

وكان مخرمة بن نوفل الزهوي شيخا كبيرا أعمى بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام يوما في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس فانتبه، فقام إليه نعيمان فأخذه بيده وحوله إلى ناحية أخرى ولكن في داخل المسجد أيضا ثم قال له: اجلس هنا، وأجلسه يبول وتركه، فبال.. وصاح الناس، فلما فرغ، قال: من جاء بي إلى هذا الموضع؟

قالوا له: النعيمان بن عمرو فقال مخرمة: فعل الله به ما فعل بي.. اما ان لله عليَّ ان ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ ما بلغت. فمكث ما شاء الله. وبعد فترة جاء نعيمان وسيدنا عثمان بن عفان قائم يصلي فقال نعيمان لمخرمة: هل لك في نعيمان؟

قال: نعم.. أين هو؟

فأخذه بيده حتى أوقفه على عثمان فقال: دونك هو، فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشج رأسه فقيل له: انما ضربت أمير المؤمنين عثمان، فاجتمعت بنو زهرة - قوم عثمان - فقال لهم رضي الله عنه: (دعوا نعيمان، فقد شهد بدرا).

وكان للنعيمان ابن يشرب الخمرة فجلده الرسول - ﷺ - فقال أحد الجالسين: لعنه الله. فقال الرسول - ﷺ -: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.. رحم الله نعيمان ورضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله - ﷺ - أجمعين■

الألوان

قصة قصيرة

بنبرة متعالية متأففة قال بعد أن استمع إلى إحدى قصائده: أبعد كل هذه السنوات التي أمضيتها في أوربا يا دكتور حسين لم تزل متمسكاً بقيود علم العروض والقوافي، وأحجار اللغة وجمودها؟ الشعر يا دكتور فن وليس علماً.. عقلك.. عقلك يا صديقي أطح به وأنت تكتب الشعر.. أين غيبوبة الإبداع؟.. دعْ لا وعيك يمور.. يبدع.. فجر تلك الأحجار اللغوية.. دعك من اللغة الاعتيادية العتيقة.. لا تقيد نفسك بأغلال التفعيلات.. تحرر.. الشعر.. الشعر الحقيقي شيء آخر..

بقلم: أحمد محمود مبارك

... أجابه بأسى لا ينم عن تبدد الثقة..

ــ أنت لم تحدثني عن أفكار القصيدة، ولا صورها الشعرية، ولا موسيقاها.. ألم تصل إليك؟ ألم تتفاعل معها؟.. زفر بعنف وامتعاض وقال:

ــ بالعكس.. قصيدة واضحة جداً ومفهومة.. وهذا سر سقوطها، وعدم تفاعلي معها.. وتسألني عن الموسيقى وهل موسيقى التفعيلات الخليلية العتيقة موسيقى يا دكتور؟ موسيقى الشعر شيء آخر.. لا يدرك بالأذن... يبدو أنك كنت مشغولاً خلال السنوات التي أمضيتها في أوروبا بمهامك العلمية البحتة (ثم وعيناه تشعان ببريق مريب).. وبجمع المال.. أليس كذلك...؟

ـ أحمد الله.. لكني قرأت وتابعت.. تابعت كل الاتجاهات والمذاهب والمدارس الشعرية هناك وكنت أتابع ما يجري هنا أيضا.. (ثم بعد صمت ومن خلال ابتسامة واثقة).. لكنه اختيار مني والتزام... ازدادت زفرته عنفاً، ثم زم شفتيه وهو يقول:

ـ التزام.. هأ.. يبدو أنك كنت تعيد في فرنسا قراءة شعر حسان بن ثابت، وكعب، وابن أبي رواحة، والبارودي وشوقي.. أذكر أنك كنت معجباً بهم أيام بداياتنا الأدبية.. سنوات طويلة أمضيتها في فرنسا يا دكتور ولم تسمع عن قول «سارتر».. «انه لا التزام في الشعر..» مشكلتك يا صديقي أن لشعرك معنى وهدفاً. وأن هذا يطفىء فيك جذوة الإبداع.. والواقع أن الإبداع الشعري الحق يكمن في اللامعنى.. ألم تسمع أو تقرأ قول (مالارميه).. (وإن الشعر لا يصنع من الكلمات أفكاراً، وإنما يصنع أصواتاً وأحداثاً حسية..).

... قال بنفس نبرته الواثقة:

ـ لكن.. لغتنا يا أخي بيان والمولى عزّ وجل يقول: (الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان..) ولكل مجتمع ظروفه وقضاياه، وقناعاته، ومشاكله، وتكوينه التربوي والنفسي والثقافي والذوقي، وقيمه الدينية والأخلاقية. التي تؤثر بالضرورة على شكل الإبداع الأدبي وما هيته..، ثم كيف يكون موقفنا نحن الشعراء إزاء قضايا أمتنا ألا يجب علينا أن نكون معبرين عن آمالها، وآلامها؟أن نكون صوتها وضميرها؟ ألا يحتاج هذا إلى فكر ومعنى ووضوح رؤية.. لا أعني بذلك أن يكون شعرنا مسطحاً، جافاً.. صارخ التقرير.. أدرك ذلك تماماً وأحرص عليه.. لكن يجب أن يكون شعرنا معبراً وموحياً. وموصلاً لمعنى ومؤثراً..

... قال وهو يحرك يديه ضجراً..

ـ يبدو أنه لا جدوى.. أنت ذهبت إلى فرنسا بعقلية القرية وعدت بها، أما أنا فقد نزعت عقلي القروي القديم منذ خمسة وعشرين عاماً.. منذ نزلت إلى العاصمة.. دع عنك هذا.. لا يجب أن يفسد الخلاف للود قضية.. أليس كذلك؟

رجع الدكتور حسين عبدالفتاح إلى السنوات الأولى التي بدأت موهبته الشعرية تتفتح خلالها.. كان طالباً في بداية مرحلة الدراسة الثانوية، وكانت أشعاره تحظى بتشجيع وتقدير أساتذة اللغة العربية، وما أن انتقل إلى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية حتى برز نشاطه كشاعر ناضج الموهبة.

كان يشارك في كثير من الأمسيات الشعرية التي تقيمها الجامعة إلى جانب عددٍ من الشعراء المشهورين.. وبدأ في هذا الوقت بنشر قصائده في بعض الصحف والمجلات الأدبية الشهيرة في القاهرة والإسكندرية..ولم يكن قبل انتقاله للدراسة في جامعة الإسكندرية على معرفة وثيقة

الشعر فن وليس علماً وبالرغم من متابعة المدارس الشعرية في أوربا حافظ على تفعيلاته

بعاطف دياب.. رغم أنهما من قرية واحدة.. وحينما التحق معه بقسم اللغة العربية بآداب الاسكندرية بدأ يعرفه عن قرب.. عرف عنه ولعه الشديد «بموديلات» الأزياء الشبابية التي كان يتبارى عددٌ من طلاب الجامعة الأثرياء في الظهور بها.. كان عاطف دياب — وهو من أسرة متوسطة الحال — يعمل جاهداً على اقتناء مثل هذه الثياب ما أمكنه ذلك.. على حساب النفقات التي كان أهله يرسلونها إليه لتعليمه وإعاشته، لم يكن يشتري أغلب الكتب والمراجع الدراسية. كان يشتري بأثمانها تلك الملابس الصارخة الحديثة.. وكان يعتمد في دراسته على حضور المحاضرات وتسجيلها كتابة، ثم على استعارة الكتب والمراجع من بعض زملائه.. منذ الشهور الأولى لالتحاقهما بكلية الآداب.. بدأ عاطف يعرض عليه تجاربه الشعرية، وكان يلاحظ فيها قصوراً شديداً في اللغة والنحو والعروض.. لذا كان ينصحه... يا عاطف يا أخي.. أنت طالب في قسم اللغة العربية في كلية الآداب.. لذا لا يصح أن ترتكب تلك الأخطاء اللغوية والنحوية في قصائدك... ثم... الوزن.. أين الوزن الموسيقي يا أخي.. ألم تدرس علم العروض؟.. اقرأ.. اقرأ يا أخي حسان بن ثابت وكعب والمتنبي، والبارودي وشوقي.. اقرأ حتى تنضج موهبتك. وتكتمل أدواتك.. ولا تتعجل الكتابة.. أنا لا أثبط عزيمتك وإنما أنصحك بإخلاص.. وصديقك من صدقك..

جذبه من الاستغراق في صور الماضي قول زميله القديم..

— تفضل القهوة يا دكتور.. هل أغضبك قولي؟ لا تحسبني أثبط عزيمتك.. أنا أنصحك بإخلاص يا أخي وصديقك من صدقك.. أليس كذلك..؟ ثم انني لا أبدي رأيي من فراغ يا دكتور.. أنا أبدي رأيي من منطلق مكانتي كشاعر وناقد معروف.. يسعى الكثيرون إليَّ كي يعرفوا رأيي في قصائدهم ودواوينهم الشعرية المخطوطة قبل أن يطرحوها للنشر، في بعض الأحيان أحجم عن إبداء رأيي الصريح في إنتاج من أستشعر أن رأيي الموضوعي سيغضبهم.. لكني معك لابد وأن أكون صريحاً وإيجابياً.. فنحن أبناء قرية واحدة، وزملاء دراسة.. أليس كذلك؟

... أجابه ونظرات الثقة لم تفارق عينيه...

— أجل.. أجل.. ولكنه اختلاف في الرؤية والمنهج.. أنت تعرف أنني حاصل على درجة الدكتوراه في الشعر العربي، وتجربتي الشعرية عميقة الجذور، وأن لي أبحاثاً وكتابات نقدية.. لا أقصد الاستهانة برأيك، ولا مكانتك كشاعر وناقد معروف.. ولكنه.. كما قلت.. الخلاف الذي لا يفسد للود قضية... تحرك الآخر من جلسته الثابتة على مقعد مكتبه الوثير.. وعبث في بعض الأوراق .. ثم قال بصوت ملول.

— آه.. لك الحرية.. الحرية عندي شيء مقدس.. (ثم.. وهو يخرج علبة سجائره ويقدمها إليه، فيبدي الدكتورحسين ممانعته).. آه. أما زلت تحارب التدخين.. أذكر أن لك قصيدة قديمة عن أضرار التدخين... هأ.. هأ.. أنت تكرس شعرك يا أخي لأمور غريبة..

.. أشعل سيجارة طويلة وراح يدخنها بشراهة، وينفث الدخان لأعلى.. وسرت بينهمالحظات صمت.. تفرسه الدكتور حسين بإمعان.. «جاكيت جينز».. قميص صارخ الألوان ذو رسوم سريالية غريبة.. زي لا يتفق مع عمره..إنه تجاوز الخمسين مثله.. عيناه مرهقتان ووجهه شاحب..شعره الذي غلب عليه اللون الأبيض غزير غير منسق يغطي جزءاً كبيراً من أذنيه..

... قطع الصمت قوله:

— قل لي.. يا دكتور.. ماذا نويت أن تفعل؟ أنت عدت إلى الوطن منذ شهر كما تقول..

ـ ماذا تقصد؟

— أقصد.. آه.. أنت حصلت على الدكتوراه منذ سنين، وعملت بالتدريب الجامعي في فرنسا، ثم في الخليج وأخيراً عدت إلى مصر.. ألم تفكر في عمل ما هنا..؟

عدت من فرنسا كما ذهبت فقد عدت بعقلية القرية ولم تتغير

— آه.. في الحقيقة يا أخي.. فضلت زوجتي وأولادي أن نقيم في الاسكندرية — هي من الاسكندرية أصلاً — وأنت تعرف أن لي أشقاء يقيمون في الإسكندرية منذ بداية دراستنا الجامعية.. والوالد والوالدة رحمهما الله.. منذ سنوات عديدة.. ولولا ذلك لآثرت الإقامة في القرية.. وثمة فرصة متاحة لي للعمل بجامعة الإسكندرية.. لكني أؤثر التفرغ للتأليف إلى جانب العمل الحر.. أفكر في مشروع.. مشروع خاص.. مطبعة ودار نشر..

... لمعت عيناه وانتفض من مقعده صائحاً

ـ (برافو).. (ثم بهمس مريب)... لكن..ما تفكر فيه يحتاج لأموال طائلة.. يبدو أنك..

ـ الحمد لله... المال متوفر.. لكن يحتاج الأمر لدراسة واستطلاع آراء.. وحسن اختيار للموقع، ومعرفة أحوال السوق.. وبعض الإجراءات.

... نهض مبتهجاً.. وترك مقعده وجلس على مقعد مجاور له.. وصاح..

ـ لا دراسة..ولا شيء يا أخي..سوق الكتب رائجة وكسبها كبير ومضمون.. المهم أن تحسن اختيار من تتعاون معهم، ومن تنشر لهم.. أعرف ناشرين كثيرين بدأوا متواضعين، ثم أصبحوا من الأثرياء.. وأنا قيد أوامرك.. بخبرتي وعلاقاتي، وموقعي في الجريدة كصحفي وشاعر وناقد ومديراً للتحرير.. ألا تعرف أن أشعاري ودراساتي النقدية ترجمت للانجليزية والفرنسية، بل والروسية.. وأن لي علاقات وطيدة بكثير من الناشرين والموزعين. والإعلاميين والمترجمين والمستشرقين في كثير من دول العالم؟

—أعرف.. أعرف.. لكن يا أخي أريد أن أوضح أن مقصدي ليس مادياً في الأساس.. فعلاً لا أحد يكره الربح المادي.. لكنه ليس هدفي الأساسي.. إني أنظر إلى الموضوع كرسالة.. هدف أسمى من المادة.

التزام إزاء قضية أؤمن بها..

.. بدت على وجهه بعض الغيوم.. ارتبك.. ثم خاطب نفسه وقال:

— جميل.. جميل.. نعم ما تفكر فيه..ما أجمل الالتزام بقضية ثقافية.. أنت مثالي طوال عمرك يا دكتور، والحركةالأدبية في حاجة ماسة إلى المثاليين أمثالك.. لكن.. وضح لي. ما القضية يا دكتور؟

ـ هدفي إحياء كتب التراث ونشرها.. وتحقيق المخطوطات المهمة المفيدة وتشجيع الباحثين على ذلك..

نحن بحاجة إلى إحياء التراث الفكري والأدبي الذي يعيد لأمتنا هويتها.. ألاترى معي.. أن..

ــ معك الحق..أجل يا دكتور أجل.. (ثم صمت وبدا مشغولاً بفكرة طارئة ونهض فجأة وتحرك بجوار مكتبه. وقال وهو يبتسم ابتسامة غريبة..).. آه.. هل أصدرت دواوين شعرية بعد مجموعتيك الشعريتين القديمتين يا دكتور..؟

ـ لديَّ مجموعتان شعريتان مخطوطتان تجمعان بين الشعر العمودي والشعر التفعيلي.. سوف أنشرهما قريباً إن شاء الله بعد أن أبدأ في مشروع دار النشر.

ــ جميل.. جميل، وأرجو أن تمنحني شرف كتابة مقدمتين لهما.. ثم.. آه.. تذكرت..أكيد سوف أجد مجموعة من مجموعتيك القديمتين في مكتبتي بالمنزل.. على الأقل.. المهم.. فكر أنت في مشروع دار النشر والمطبعة. وليكن مشروعاً كبيراً يليق بطموحاتك.. وأنا تحت أمرك.. وليكن هنا.. في القاهرة.. السوق هنا رائجة، وعلاقاتي واسعة، وسأستطيع الوقوف معك والعمل على إنجاح المشروع.. لقد عملت كمستشار ثقافي لأكثر من دار نشر في مصر وغيرها، لكني منذ أكثر من خمس سنوات آثرت التفرغ لعملي الصحفي وإبداعي الأدبي، وكتاباتي النقدية، مضحياً بالعائد المادي الكبير الذي كنت أحصل عليه كمستشار ثقافي.. لكن بالنسبة لك فالأمر يختلف.. لابد أن أقف معك.. نحن أبناء قرية واحدة وزملاء دراسة وأنت لا تعرف خبايا الحياة الثقافية يا دكتور يا أكاديمي.. واجب عليَّ ألا أتركك وحدك..

...وقبل أن يتركه يغادر المكتب في مقر الجريدة التي يدير تحريرها، انهال عليه بالقبلات.. قائلاً:

ـ كنت أرجو أن تبقى معي عدة أيام.. هنا في القاهرة. أعرفك على الأدباء والمثقفين والنقاد والإعلاميين، وأن تقيم معي في مسكني.. ألا تعرف أنني لم أتزوج بعد.. هأ.. هأ.. آثرت أن أتزوج الأدب والشعر والصحافة.. لكن.. يبدو أنك مرتبط بأسرتك.. مع ألف سلامة.. اتصل.. اتصل بي فور وصولك. وسأتصل بك... لا تغب عني.. ولا تقلق.. ثق في أخيك.. سيتحقق هدفك الثقافي وينجح..من الآن سأبذل جهودي في إجراءات عملية... خير البر عاجله..

جلس الدكتور حسين عبدالفتاح في شرفة منزله الرحبة المطلة على الشاطىء يطالع بحثاً أدبياً منشوراً في عدد لمجلة أدبية صدر منذ شهر.. كان قد اقتناه دون أن تسمح ظروفه بأن يطلع عليه فور صدوره..كتب البحث زميله القديم عاطف دياب. كان البحث يدور حول الحداثة في الأدب.. توقف بإمعان أمام عبارات معينة. وجد أنها بمثابة ترديد أو ترجمة لبعض الأفكار التي سبق أن قرأها في فرنسا منذ سنوات عديدة، ووجد ــ حتى ـ في فرنسا من يرفضونها وينتقدونها من الكتاب والنقاد الفرنسيين.. يدور مفهوم هذه العبارات حول الدعوة إلى (عدم المرجعية مع الماضي، ونبذ التراث الأدبي والفكري. وعدم تقيد الأديب وهو بصدد عملية الإبداع بأي قيد يفرضه الدين أو الأخلاق أو العادات والتقاليد..) وقرأ أيضا.. (أن الانتاج الأدبي الذي لا يتسم بالحداثة الهادمة للماضي. هو انتاج متحفي، كهفي متخلف عن روح العصر.. وأن التراث الأدبي والثقافي إذا ما تبدى أثره في أي عمل أدبي معاصر فإن هذا الأثر لا يعدو إلا أن يكون ورما سرطانياً يتعين استئصاله حتى تكتب الحياة للعمل الأدبي...).

شعر بامتعاض.. لكنه لم يندهش... فرغ من قراءة البحث ووضع المجلة بجواره وتمدد على كرسيه الخيزراني العريض.. وصوب نظراته نحو الأفق البعيد الذي تراءى له متألقاً صافياً. إلى أن سمع جرس الهاتف يشير إلى مكالمة خارجية..أمسك بالسماعة فسمع صوتاً يصيح بانتشاء.

ــ أهلاً يا دكتور حسين.. عاطف دياب معك.. لم تتصل منذ تركتنا يا أخي، انشغلت عليك.. أنا لم أتصل لأني كنت مشغولاً ومنهمكاً ـ منذ تركتني ــ بقراءة ديوانك الأول الممتع.. ما هذا؟ ما هذا يا عمنا.. ما هذا الإبداع! يبدو أنك أردت أن تختبرني فقرأت علي منذ أيام قصيدة متواضعة لتقف على مستواي النقدي، أو لتعرف ما إذا كنت سأجاملك أم لا.. أنا لا أجامل يا صديقي.. أنا موضوعي.. موضوعي جداً.. وهذا هو سر شهرتي وتألقي في الوسط الأدبي.. أكيد القصيدة التي قرأتها عليَّ ليست لك.. إنها قصيدة لأحد تلاميذك..

أليس كذلك؟.. أكيد..

... أراد الدكتور حسين أن يتكلم.. هم بالكلام.. لكنه لم يمهله.. واسترسل..

ـ قرأت ديوانك يا أخي العزيز.. ديوانك الذي صدر منذ ربع قرن.. وكأنني أقرأ ديوانا معاصراً رفيع المستوى.. لاشك أنك تجاوزت به زمن صدوره.. لقد دهشت واستمعت.. وكأنني لم أقرأه من قبل.. قرأته على مدى الأيام الثلاثة الماضية من خلال مكتسباتي الثقافية والنقدية على مدى ربع قرن من الزمان.. ما هذا يا أخي أنت شاعر عظيم.. أين مجموعتاك الشعريتان الجديدتان... أسرع.. في نشرهما يا أخي أسرع.. المهم.. اسمع.. اسمع يا دكتور لقد كتبت مقالة عن ديوانك ستعجبك كثيراً لن أحدثك عنها الآن بالتفصيل.. ستقرأها غداً. في الملحق الأدبي للجريدة وسأنتظر رأيك.. وعلى مدى عدة أسابيع قادمة.. سوف تقرأ دراسات ومقالات أخرى في بعض الصحف والمجلات جميعها يشيد بالديوان.. لقد أعطيت الديوان لبعض معارفي وتلاميذتي من الكتاب والصحفيين.. وطلبت منهم الاطلاع على ما سيكتبونه قبل نشره.. صدقني لم أوجههم توجيهاً معيناً.. وسرني أن وجدتهم يشاركونني الرأي في جودة الديوان وسموق مستواه الفني..

... ثم توقفت كلماته المتدفقة مما مكّن الدكتور حسين من أن يقول:

ـ شكراً.. لك.. ألف شكر

وتوقف.. فقال الآخر بنبرة متقطعة.

ـ هه.. ماذا فعلت؟.. ماذا فعلت في المشروع؟ آه.. اسمع.. لقد منحت نفسي تفويضا منك. اتفقت مع أحد أصدقائي المحامين الموثوق بهم.. ومع خبير عقاري مؤتمن على البحث لك عن موقع في القاهرة يصلح للمشروع. هنا.. هنا.. في القاهرة بالطبع.. حيث المجال أرحب والسوق رائجة والإعلام مسلط، لا يهم أن الأسرة في الإسكندرية.. يكفي

نشر كتب التراث وتحقيق المخطوطات وتشجيع الباحثين على ذلك يعيد للأمة هويتها الثقافية



تواجدك في القاهرة يومين أو ثلاثة كل أسبوع.. سأدبر لك أمر العمال والإداريين.. وسيكون المشروع أمام عيني دائماً هه.. ما رأيك؟

طال صمت الدكتور حسين.. فكرر كلامه..

ــ هه.. ما رأيك، أأستمر..؟ أم انتظر حضورك.. أسرعْ.. خيرُ البر عاجله يا أخي..

همس الدكتور حسين بعد تردد..

ـ دعها على جانب الله.

ـ لم أفهم!..

ـ أعني.. ربنا يفعل ما فيه الخير..

ـ أيضا لم أفهم

ـ في الحقيقة إني أفضل التروي وعدم العجلة في هذا الأمر.. وسنتحدث في ذلك فيما بعد.. سأتصل بك إن شاء الله..

تغيرت نبرته وقال..

ـ ماذا يا دكتور؟ هل تراجعت..

ــ لا.. لم أتراجع عن المشروع.. لكن دع الحديث هذا عنا الآن.. سأوضح لك فيما بعد..

..قال بقلق وضجر..

ـ وهو كذلك... لكن.. و... وهو كذلك.

***

.. وفي الصباح قرأ الدكتور حسين عبدالفتاح المقالة الطويلة التي كتبها زميله القديم.. الشاعر والناقد والصحفي الشهير.. وجد أنها تنطوي على مبالغة في مدح الديوان.. وصفه عاطف دياب.. بأنه يجمع بين الأصالة والمعاصرة باقتدار نادر، وأنه سبق عصره في ديوانه الذي صدر منذ ربع قرن.. ونعت قصائد الديوان بأنها خرجت من أسر التقليد وانطلقت إلى آفاق الإبداع رغم التزامها بقواعد العروض والقوافي. ووصف بناءها اللغوي والتصويري بأنه تشكيل فني يتفق مع مقتضيات الحداثة والرؤية الفنية المعاصرة، على الرغم من الشكل العمودي الغالب على معظم القصائد.. وأن هذه ميزة يفتقدها أكثر الشعراء العموديين..ولاحظ الدكتور حسين.. أن زميله القديم يستشهد بأبيات من قصائد الديوان لا تتفق مع تأويله وتخريجه وما انتهى إليه....

... ابتسم كثيراً وهو يقرأ المقالة.. غير أن بسماته اصطبغت بالسخرية.. تذكر في الحال موقف زميله السابق من هذا الديوان بعد صدوره بربع قرن..كان عاطف دياب في بداية عمله الصحفي في القاهرة. يعمل في صحيفة محدودة الانتشار.. أرسل إليه نسخة بالبريد... فكتب في الجريدة التي يعمل بها.. مقالاً آمله وقتذاك.. وصف قصائد الديوان بالتقليد الساذج.. والسطحية..والجمود التقريري.. ونفى عنها أي سمة إبداعية...

... انفجرت ضحكاته رغماً عنه، وألقى بالصحيفة التي يمتدح فيها زميله السابق ديوانه بعد خمسة وعشرين عاماً من صدوره.. وهمس.. (لا حول ولا قوة إلا بالله).

في المساء.. اصطحب الدكتور حسين عبدالفتاح صديقاً له. يعمل استاذا للنقد الأدبي في جامعة الإسكندرية، وسبق له العمل كمستشار ثقافي لدى أكثر من دار نشر في مصر والخليج العربي.. وذهبا إلى أحد المحامين.. لتوقيع عقد إيجار عقار في ميدان رئيسي في مدينة الإسكندرية.. ليكون مطبعة وداراً للنشر.

تم الإعلان عن دار النشر في عدد من الصحف والمجلات التي تصدر في القاهرة والإسكندرية.. وبعد عدة أيام من هذا الإعلان.. قرأ الدكتور حسين عبدالفتاح مقالتين في صحيفتين أدبيتين تهاجمان ديوانه الذي صدر منذ ربع قرن، والمقالة التي سبق أن كتبت عنه.. واتفق كاتبا المقالتين على اتهام صاحب الديوان (بالتقليد الساذج والسطحية والجمود التقريري وتنفيان عن قصائد الديوان أي سمة إبداعية..) تمعن في اسم كاتب كل مقالة.. ووجد أنه لا يعرفه..

ثم قرأ مقالة أخرى في الصحيفة التي يديرتحريرها عاطف دياب.. المقالة لا تتناول ديوانه، وإنما تتحدث عن التراث الفكري والأدبي.. وتصفه بأنه (ورمٌ خبيث.. يتعين استئصاله كلما تبدى أثره في جسد أي إنتاج أدبي أو فكري معاصر.. حتى تكتب الحياة لهذا الإنتاج..) قرأ اسم الكاتبة صاحبة المقالة.. فعرف أنها كاتبة شابة تعمل في القسم الأدبي للجريدة.. قذف بالجرائد الثلاث، وضحك ضحكة واثقة.. وتنفس براحة وقال: (لا حول ولا قوة إلا بالله..)■

عبر الشاعر عن الحرية بعد أن مارسها في فرنسا بقوله: إنها شيء مقدس وصياغة الأدب تحتاج إلى حرية

ظاهرة تدق ناقوس الخطر:

الطلاق وارتفاع نسبته بين الدراسة والتحليل

قضايا اجتماعية

كتب : حسين الديب

الطلاق ظاهرة سيئة وعادة غير سوية ضررها اكثر من نفعها فإذا كان الشرع سمح بها ففي أضيق الحدود ولأسباب واضحة فإن أبغض الحلال عند الله الطلاق.

وما تفشى الطلاق وانتشر في قوم الا عمَّت فيهم الفوضى ودبَّت فيهم الاخلاق غير السوية وانتشرت فيهم الحرية الممجوجة وضاعت الاسرة وضاع معها المجتمع وانعدمت المروءة والقيم والمثل العليا التي يتحلى بها الاسلام دون غيره، ولدراسة قضية الطلاق واسبابه اتضح مايلي:

استشرت هذه الايام ظاهرة خطيرة في المجتمع ألا وهي ظاهرة الطلاق التي باتت تفككه وتهوي به الى ضياع نسبة كبيرة منه، هذه الظاهرة التي تفاقمت ووصلت نسبتها ٣:١ لكل حالة زواج أي انها حولت ثلث المجتمع الكويتي من فتيات ونساء في ريعان شبابهن الى مطلقات وربما إلى الزيادة بسبب عدم الاهتمام أو اللامبالاة بها، علما بانها قضية من القضايا المهمة للمجتمع الذي يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها قال تعالى: ﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم – ٢١].

فالاسلام وضع هذه القضية موضع التنفيذ في حالة معينة وهي استحالة العشرة ومواصلة مسيرة المشاركة الحياتية «إن أبغض الحلال عند الله الطلاق» لكن هذه القضية استعملت هذه الايام الاستعمال الخاطىء ومن هنا زادت نسبة الطلاق ولن تتوقف ما لم يتصدّ لها المتخصصون في هذا المجال من علماء الدين والشريعة والقانون.

أسباب تفشي هذه الظاهرة

وبدراستنا لهذه الظاهرة والنظر لهذه الاسباب التي ادت وتؤدي اليها لوجدنا انها كثيرة ومتعددة وتختلف باختلاف الظروف البيئية والمعيشية بين البلدان الاسلامية، واغلب هذه الاسباب تنحصر في انعدام التفاهم وعدم الاهتمام بالأسرة وسوء تقدير الزوجة لدور زوجها في الحقوق الشرعية وعدم تحمل المسؤولية، والمرض المزمن وعدم الانجاب، والشك والغيرة وسوء الاختيار، وزواج صغار السن الذين لم يكتمل نضوجهم الفكري ولا يدركون للحياة الزوجية قدرها والانهيار من اول عقبة تصادفهم، وما الى ذلك من الاسباب الكثيرة والمتنوعة فمثلا اختلاف الطباع بين الزوجين كارتباط رجل متدين مع امرأة غير متدينة او العكس، وكذلك امرأة مسرفة مع رجل مدبر ومنتظم ومحافظ، وايضا الزواج المهدوف« زواج المصلحة» الذي ينتهي بنهاية المصلحة هذه الانواع يستحيل معها العيش.

تشكيل محكمة خاصة

هذه الظاهرة الخطيرة جعلت القضاء يشكل لها محكمة خاصة لتفشيها وكثرتها اطلق عليها « محكمة الاحوال الشخصية» اشتهرت بكثرة روادها واضحت عامرة بالمترددين عليها اكثر من غيرها حتى ولو كان السبب بسيطاً وتافهاً.

كما ان الماديات والانانية لهما دور كبير في ارتفاع نسبة هذه الظاهرة وايضا عدم الثقة بين الزوجين في علاقتهما الزوجية وعدم التفاهم المسبق ودراسة كل منهما للآخر، ودخول تقاليد وعادات جديدة غير مناسبة لمجتمعنا الاسلامي واللهث وراء الفرنجة كالتبرج وعدم الاحتشام وضياع المثل والقيم والثوابت العربية الاصيلة، والاهتمام بالتقليد الاعمى للغرب في كل كبيرة وصغيرة دون الحذر والحيطة وأخذ ما يصلح وترك ما لا يصلح ومرفوض عربياً واسلامياً.

كما اظهرت الدراسة ايضاً ان ما يساعد على ارتفاع نسبة الطلاق هو عدم وضوح الهوية للزوجين بالقدر الكافي، فنجد الزوج يصبغ نفسه بصبغة جديدة قبل الزواج يظهر فيها الود والوفاء في الالتزامات المتبوعة بكلمات الترطيب واللين، وتقمصه شخصية رومانسية غير الشخصية الاصلية ولبسه لقناع مزيف غير قناعه الحقيقي، ثم فجأة يتبدل الحال بعد الزواج فينقلب من رباط مقدس مليء بالحياة الرومانسية والاحلام الوردية الى الضد، او الشيء ونقيضه من التنافر والتناحر وهو لم يزل في المهد وليداً الى ان ينتهي به المطاف في دائرة الاحوال الشخصية فيتبخر ويطير مع الدخان.

كذلك عدم المشاركة في الرأي فالزوج يستبد برأيه ولو كان على خطأ ولا يهتم بمشورة الزوجة ورأيها ولو كان صواباً، ومن الاسباب ايضا عدم تقدير الزوج لظروف زوجته المهنية والصحية، وكذلك محاولة المرأة المساواة مع الرجل معتمدة على وظيفتها وراتبها ومساندتها له من عوامل المساواة، فتترك واجبها المنزلي ان لم تكن هناك مشاركة منه لها وتعتبره اهداراً لكرامتها وتقليلاً من شأنها لو انيطت بها لوحدها.

كما ان لسوء الاختيار دوراً في تفشي هذه الظاهرة بسبب العادات القبلية المتوارثة وعدم التنسيق في الاختيار والتناسب في الطباع والميول.

واذا كانت هذه هي الاسباب المساعدة في ارتفاع نسبة الطلاق في المجتمع الكويتي فهي ايضا تدخل ضمن الاسباب المنتشرة في المجتمع الاسلامي كله، وان كان لكل مجتمع اسباب خاصة يتفرد بها دون غيره بحسب الظروف، ومهما تعددت الاسباب فالطلاق واحد والظاهرة واحدة ولابد من معالجتها.

إحصائية النسبة

وحسب احصائية نسبة الطلاق الصادرة عن وزارة العدل الكويتية فقد ارتفعت النسبة من العام ١٩٩١ حتى العام١٩٩٤ بنسبة ٣:١ أي لكل ثلاث حالات زواج حالة طلاق واحدة، فقد كان اجمالي حالات الطلاق في

العام ١٩٩١ يقدر بنحو ١٩٧٦ حالة مقابل ٢٧٤٢ في العام ١٩٩٥، وهذا يدل على زيادة معدل حالات الطلاق بشكل يثير التساؤل وان كان ذلك يعود الى الانانية وحب الذات، والماديات والهجر وتعرض البلد لاجتياح عراقي ساعد في تفشي هذه الظاهرة بالشكل الملاحظ، كما ان محاكم الاحوال الشخصية مليئة بدعاوى التفريق حالياً وان كان هناك بعض المساعي للحؤول دون ارتفاعها والحد منها.

ما يترتب على ذلك

الذي يترتب على ذلك من اخطار عائد بالضرورة على الاطفال ومستقبلهم الذين سيتأثرون بشكل أو بآخر من عواقب هذه السلبية والآثار السيئة لها، ومن الاضرار ايضا الناجمة عن ذلك والتي تخص الزوجة تحملها لقب «مطلقة» هذا اللقب الذي له وقع الصدى وله نظرة مختلفة من قبل المجتمع للمرأة المطلقة، فتعيش صاحبته حياة كلها بؤس وشقاء وتعاسة من جراء هذا اللقب الذي سيلازمها كظلها في كل الاوقات والمجتمع لا يرحم في مثل هذه الامور، فنظرة الناس لها فيها دونية وكأنها ارتكبت جرماً مشهوداً تستحق عليه العقاب الذي يتمثل في نفور المجتمع منها وإلقاء ملابسات الطلاق بالدرجة الاولى عليها وحدها.

من المسؤول؟!

بحسب الدراسة تقع المسؤولية اولاً وأخيراً على شريحة كبيرة من شرائح المجتمع سواء الاسرية ام التربوية ام الاجتماعية والدينية والاعلامية، ومن خلال هذه الشرائح يكون لوزارة الشؤون العبء الاكبر في المسؤولية الى جانب وزارة الاعلام والاوقاف والعدل على اعتبار انهم يختصون بالجانب التوعوي، وبتعاونهم واهتمامهم بدورهم في ذلك سيقلل من الظاهرة ويضع لها حداً مع اتخاذ التدابير العملية والعلمية الكفيلة بوضع نهاية منطقية مقبولة لهذه الظاهرة.

واذا كانت المسؤولية تقع على جانب كبير من شرائح المجتمع فأول هذه الشرائح هما الزوجان اللذان يتحملان المسؤولية مناصفة، لأن كلمة الطلاق باتت لديهما سهلة الاستعمال ومألوفة وغير مستهجنة كما كان في الماضي عندما كانت تتصدع لها الرؤوس هلعاً وخوفاً من توابعها.

ولدور الاسرة واجب ايضا في المسؤولية بوجوب ان ينصح الاب الابن او الابنة بالتريث وتحمل بعض تبعات الحياة، وكذلك الأم بالارشاد والتوعية لابنها او ابنتها كما حدث في الوصايا التي اوصت بها الأم ابنتها ليلة زفافها المعروفة للجميع، بدلاً من قيامها بدور «الحماة» بزيادة التوتر والنفور لأتفه الاسباب والتذرع بها كما ان الرجل بتكوينه السيكولوجي اقدر على تحمل المشاكل.

الاعلام بدوره سواء المقروء منه ام المسموع ام المرئي له دور كبير بنقله بعض العادات الدخيلة بصورة تساعد على تفشي هذه الظاهرة، وتمرد الزوجة على زوجها وعدم التعامل بالطريقة التي يريدها الاسلام ووضع لها قواعد وقوانين إلهية ثابتة بالكتاب والسنة.

الاجراءات المتخذة لمعالجة هذه الظاهرة

قامت الدولة مشكورة بإجراءات كثيرة لمعالجة هذه الظاهرة ممثلة في إدارة التوثيقات الشرعية منها:

إنشاء ادارة المحكمين لإصلاح ذات البين للتخفيف من هذه الظاهرة والحل بالطرق الودية قبل الوصول الى مرحلة اللاعودة.

كلفت بعض الوزارات بالاهتمام بهذه الظاهرة وايجاد الحلول لها فقامت وزارة الاوقاف بعمل الندوات، وإلقاء المحاضرات الخطابية سواء في المساجد كخطبة الجمعة او في المناسبات وهي كثيرة ومتعددة وكذلك توزيع المطبوعات الخاصة بهذه الامور.

وكان لوزارة الاعلام الدور المناط بها حيث تابعت الندوات والمؤتمرات الخاصة لمعالجة هذه الامور وبثها إعلامياً مع معالجتها، وكذلك مشاركة الجمعيات التي تهتم بمثل هذه الامور وابراز دورها ومساندتها اعلامياً ايضا.

كما اهتمت وزارة الشؤون ايضاً بمتابعة وانشاء الجمعيات ومراكز التأهيل الخاصة بها ودعمها مادياً ومهنياً، وان كانت تتحمل الجزء الأكبر من معالجة هذه الظاهرة باعتبارها احدى جهات الاختصاص.

اما وزارة العدل فعملت جاهدة على معالجة هذه الظاهرة بإصدار الوزير قراراً بإنشاء قسم للاستشارات الاسرية بإدارة التوثيقات، لتقديم المشورة بشأن ما يعرض من منازعات ودراستها من قبل القائمين عليها بتوجيه النصح لأطرافها، كما منحت الصلاحية لإدارة التوثيق الشرعية بحضور الزوجة وإعلامها وإبلاغها من قبل الزوج برغبته في الطلاق لضمان علمها به في موعد تصل مدته الى شهر، كي يحدث بعض التروي والتفكير وبالنسبة للزوجة الاجنبية يتم إعلانها عن طريق سفارة الدولة التابعة لها.

وأن تقتصر إتمام الاجراءات على الحالات التي تتم في حضور الزوجين وبعد التأكد من اعلان الزوجة شخصياً، وكذلك عدم توثيق أي معاملة طلاق إلا بحضور الزوجين معاً حتى تكون هناك فرصة أمام القاضي للتوفيق بينهما، ومحاولة القاضي التأجيل مدة لا تقل عن أسبوعين كي تنجح محاولات التوفيق ويعدل الزوجان عن فكرة الطلاق، وايضاً الامتناع عن توثيق معاملات الطلاق قبل الدخول والخلوة الشرعية إلا بحضور الزوجية شخصياً أو من ينوب عنها. كما دعمت الوزارة القسم وستدعمه ايضا بالعدد الكافي من الباحثين والباحثات الاجتماعيين للقيام بوضع البحوث والدراسات، وتسجيل المواعيد ودراسة الحالات التي ستعرض عليها، وإعداد التقارير اللازمة لكل حالة تجنباً للأضرار الأسرية وحفظاً لكيانها، ومحاولة التنسيق مع الجهات الاخرى التي تتعلق طبيعة عملها بمراجعة هذه الحالات، كما لابد ايضا لمعالجة هذه الظاهرة من:

التضييق على القوانين التي تجيز الطلاق حرصاً على الأبناء، وبيان المؤسسات التربوية والإعلامية لأضرار الطلاق الناجمة بالتوعية، وبيان نظرة المجتمع للمطلقة كي تتّعظ وتحافظ على حياتها الزوجية لأنها الطرف الأكثر ضررا منه، ومحاولة تغريم الزوج والتسهيل في الرجوع والتأني في إصدار قرار الطلاق حتى يفسح المجال للعودة، مع بيان دور الأولاد ونجاحهم بنجاح أسرتهم، وإظهار الفرق بين تربية الأطفال الذين يتربّون في حضن أسرهم والذين لايتربون في حضنهم وما يؤول إليهم من ضياعٍ وتشرُّدٍ وانتشارٍ للجريمة وتفشي المباديء غير السوية في المجتمع.

مع بيان الدور الديني والإيماني للزوج والزوجة في التربية، قال صلى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه. ■

الحياة الخاصة..

مفهومها وضمان حرمتها في الإسلام

قضايا اجتماعية

أقر الإسلام حقوق الإنسان، وصانها، ورعاها حق رعايتها كما تتميز حقوق الإنسان في الإسلام بأنها حقوق وحريات أملتها ضرورة فعلية في المجتمع الإسلامي، أساسها ما يقرره الإسلام لهذا الانسان من تكريم وتفضيل، وأن ضمان حقوق الإنسان وصيانتها واجب على الإنسان وإلزام عليه، وليس مجرد رخصة يتمتع بها أو لايتمتع، كما أنه يأثم على تركها.

بقلم: راغب محمد السعيد

إن تلك الحقوق ليست منحا يتصدق بها الحكام، وإنما هي قيمة أساسية خلقت مع الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى وستظل لصيقة به، وأن حقوق الإنسان وحرماته لم تأت لنا من الغرب أو من كتابات مفكريه، أو مما سجلته العهود والمواثيق الدولية، وإنما هي مبادىء أصيلة سبقت بها الشريعة الإسلامية تلك العهود والمواثيق.(١)

مفهوم الحياة الخاصة في الإسلام

ليس ثمة تعريف جامع مانع للحياة الخاصة وكيفية حمايتها، على الرغم من أن بعض الدساتير قد نصت على أن للحياة الخاصة حرمة يحميها القانون.(٢) بيد أنه توجد محاولة جادة ومهمة لتعريف الحياة الخاصة في الإسلام بأنها (صيانة الحياة الشخصية

حقوق الإنسان في الإسلام هي حقوق وحريات أملتها ضرورة فعلية في المجتمع الإسلامي

والعائلية للإنسان بعيدا عن الانكشاف أو المفاجأة من الآخرين بغير رضاه.. أو هي : أمن الشخص على عوراته وحرماته هو وأسرته، التي يحرص على أن تكون بعيدة عن جميع أشكال وصور تدخل الغير، يستوي أن يكون من الأقارب المقربين أو من غير الذين ليست لهم صلة إطلاقا به، داخل بيته أو خارجه،وضمان قدر من الزمن يخلو فيه إلى نفسه، ويتصرف أثناءه بحرية مع أهل بيته، للدرجة التي يستطيع معها رد الاعتداء الواقع على هذه الحرمة دون أدنى مسؤولية، وتكليف الغير بمراعاة ذلك، وإلا تعرض للجزاء الشرعي .(٣)

والواقع، ان هذا التعريف يتميز بأنه لا يجعل الشخص يعيش حياة منعزلة ومجهولة، لأن هذه نظرة سلبية للحياة لا تتفق مع وظيفة الإنسان في الإسلام، الذي يشجع على المشاركة الاجتماعية في الجماعة وقيام كل فرد بدوره فيه. كما أنه لا يستبعد الآخرين عن أية مشاركة مع الإنسان وتكييف حياته وتقييمها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا التعريف لا يغفل عنصر السرية في حياة الإنسان الخاصة، إذ إن هذه السرية هي جوهر حرمة الحياة الخاصة في الإسلام، الأمر الذي يتضح من تقرير الاستئذان قبل دخول منازل الغير، لكي يستطيع ستر خصوصياته عن الآخرين من ناحية، ولكي لا يقتحم عليه أحد بيته اقتحاما، فيهتك أسراره، ويطلع على عوراته من

نـاحية أخـرى. كما أن هذا هـو السبب في تقرير حق الشخص في دفع الاعتداء الذي يقع على منزله، سواء عن طريق استعمال حـاستي النظـر والسمـع أو عن طـريق محاولة الدخول فيه دون إذن صاحبه، أو النهي عـن التجسس وسـوء الظن. كما ألقى الإسـلام على عـاتق المسلم واجبـا يلزمه بالستر على أخيه المسلم.(٤)

والواقع، ان تعريف حرمة الحياة الخاصة ـ على النحو المشار إليه ـ يضمن للإنسان صيانة حياته الشخصيـة والعائلية بعيدا عن تدخل الآخرين، داخل بيتـه وخارجه، وحتى بينـه وبين أفراد أسرتـه، والمقيمين معه داخل نفس المنزل. كما أنه يضمن له فترة زمنيـة يستطيع خـلالها أن يخلـو بنفسـه ويتصرف بحريـة، دون أن يقطع عليه أحـد ـ سواء كـان قريبـا أو بعيدا ـ خلوته أو حريته.

ويزيد تعريف الحياة الخاصة في الإسلام على المعايير القانونية في أمرين:

أولهما: حق الشخص في استعمال القـوة ضد أي اعتـداء يقع من الغير على حيـاته الخاصة، أو يـؤدي إلى المساس بها، وأيـاً كان قدر هذا الاعتداء.

وثـانيهما: إلـزام الغير بـاحترام الحيـاة الخاصة للآخرين، ورتب على مخالفة هذا الالتـزام تـوقيـع الجزاء الـذي تقـرره الشريعة الإسـلامية لهذه المخـالفة، وهي العقوبات التعزيرية.(٥)

ضمانات حرمة الحياة الخاصة

وضـع الإسـلام الحياة الخاصـة في سياج شـامخ من الضمانـات التي تصـون حرمتها، وفي مقدمتهـا: الاستئذان (العام والخاص)، وإقـرار حق الـدفـاع الشرعي عن المنزل، والنهي عن التجسس.

١ـ الاستئذان (العام والخاص)

لقـد حـدثنـا القرآن الكـريم عن آداب الاستئذان، إذ يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الـذين آمنوا لا تدخلوا بيـوتاً غير بيـوتكم حتى تستـأنسـوا وتسلمـوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تـذكرون. فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تـدخلوهـا حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعـوا فارجعوا هـو أزكى لكم واللــه بما تعملـون عليم﴾.[النور/ ٢٧ و٢٨]

وروي عن رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم أنـه قـال: «إذا استأذن أحـدكم ثـلاث مـرات، فلـم يـؤذن لــه، فلينصرف».(٦)

ومن ثم، يتبين لنا اهتمام الإسلام بحرمة المسكن، بـاعتبـارها دليـلا على الحمايـة الكـاملة التي يـوفرهـا للحياة الخاصـة لـلإنسـان، وعنوانـا دائما لها، ومـوطن الستر والاطمئنان.(٧)

وتقتضي حـرمـة المسكـن بأنـه لا يجوز لأي شخص أجنبـي عن هــذا المسكن الـدخـول أو البقـاء فيـه قبل استئـذان صاحبه، والشعور منه بالترحاب به.

ويكون اشتراط الإذن قبل دخـول المنزل مفروضـا ـ في الآيات القرآنيـة ـ على كل شخص غـريب عن المسكن وأهلـه، دون تفرقـة بين أن يكون فردا من العـامة، أو أحد رجال السلطة العامة.

وتتقرر حرمة المسكـن،طالما أن صاحبه ذاته لم ينتهك حرمته، بارتكاب المعصية أو المنكر فيه بطريقـة ظاهرة،أو اقتضت الضرورة دخــول المنــزل من دون استئذان صاحبـه. كما أن بعض الأماكن غير المسكـونة لا تستلـزم ـ بطبيعتهـا ـ الاستئذان قبل الدخول فيها.

ومن نافلـة القول أن الاستئـذان فضيلة أخلاقيـة إسلاميـة، أدب الله بـه عباده، وحثهم على وجوب مـراعاتـه، لما فيه من احترام لحرمة الحياة الخاصـة للإنسان الصـادر عنـه الإذن، ومـا فيـه من خير للشخص المطلوب منه الاستئذان.

> الإسلام وضع الحياة الخاصة في سياج شامخ من الضمانات التي تصون حرمتها وإقرارها

وقد قرر الإسلام وجـوب الاستئذان عند دخـول المنازل، حتى لا تقع عين الـزائر ـ بغير إذن ـ على مـا لا يحب صاحب البيت أن يـراه غيره، أو أن تسبق عينه إلى مـا لا يحل النظر إليه من ناحية، وحتى لا يكون سلـوك الإنسان داخل منـزلـه مكشوفـا للناس وتحت رحمة أنظـارهم وأسماعهم من ناحية أخـرى، وحتى يعلم القاطنون في المسكن بقـدوم هـــذا الـزائر الآتي، ويستشعر هـذا الأخير الترحاب منهم من ناحية ثالثة.(٨)

٢ـ حق الدفاع الشرعي عن المنزل

لقد وصلت حمايـة الإسلام لحرمـة حياة الإنسان الخاصة إلى مـدى بعيد. وتتمثل مظاهر هذه الحماية في جانبين:

أولهما، دفع الصـائل، أو الدفـاع الشرعي، بإعطاء صـاحب المسكن الدفـاع عنه وعن حـرمته ضـد أي اعتـداء يقع عليهما، أو محاولة دخول البيت بغير استئذان.

وثـانيهما، إسقـاط عقوبـة القصـاص أو الـديـة عنـد قتل الـداخل، أو فقء عين المتلصص.

ومن ثم، فإنه إذا كـانت مظاهـر الاعتداء تتـدرج، من محـاولـة النظـر أو التلصص على مـا بداخل المنـزل إلى دخول المنـزل نفسـه دون استئذان، فإن الأمـر يستتبع تـدرج صـور الحماية الشرعيـة المقـررة لصـاحب المنـزل، حيث تبـدأ من إعطـاء صــاحب المنــزل الحق في فقء عين من يحاول الاطلاع على ما بداخله،ودليل ذلك ما رواه أبو هـريرة ـ رضي الله عنـه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لو اطلع رجل في بيتك، فحـذفتـه بحصـاة ففقأت عينه، ما كان عليك جناح»(٩)

وتتصل الحمايــة إلى منـع كل من يحاول دخـول المنزل بغير إذن صـاحبـه بكافـة الوسـائل المشروعة، وحسب مـا تقتضيه الأحوال.(١٠)

ولم يكتف الإسلام بـذلك، بل حرص على ضمان احترام حـرمـة الحيـاة الخاصـة لـلإنسـان حتى داخل بيتـه، وبين أهلـه وذويه وأولاده فيما دون البلوغ، وخـدمة الـذين يعيشـون معـه تحت سقف بيت

واحد، فأوجب على المسلمين أن يأمروا تابعيهم بالاستئذان قبل الدخول عليهم وهم في مضاجعهم، في أوقات معينة تشترك جميعها في أنها أوقات تقتضي على الناس التكشف فيها أو الانفراد بأهليهم،ومن ثم كانت عورات يتعين على من يدخل إليهم مراعاتها بالاستئذان قبل الدخول.وفي ذلك، يقول الله تعالى:
﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾. [النور/٥٨]

٣ النهي عن التجسس

يعد النهي عن التجسس، أو تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والكشف عن أستارهم، من بين أهم الضمانات التي كفلها الإسلام لحماية حقوق الإنسان، ذلك أن الإسلام قد اعتبر أن من شر أنواع الأذى: التطلع إلى معايب المسلمين، واقتفاء عوراتهم، وإفشاء أسرارهم، وظن السوء بهم.
وكما نعلم، فإن الإسلام قد حرم التجسس،لما ينطوي عليه من كشف لما أراد الله تعالى ستره على المسلم، ولما فيه من انتهاك حرمات وحريات العباد، وتدخل من الغير فيما لا يعنيه. وفي إطار البلاغة القرآنية، نجد أن الله جل شأنه قد أوجز كل ذلك حيث قال في محكم آياته: ﴿ولا تجسسوا﴾، إذ إن هذه الكلمة تنطوي على سياج آخر للمجتمع الفاضل الذي تحترم فيه حريات وحرمات المسلمين، لكي يعيش العباد في المجتمع الإسلامي آمنين على أنفسهم، وعلى بيوتهم، وعلى حرماتهم وأسرارهم.
والواقع، ان آية ﴿ولا تجسسوا...﴾ لاتقتصر على التجسس على البيوت فقط، بل هي عامة التطبيق في البيوت وغيرها.(١١).
ويدخل في نطاق التجسس المنهي عنه أيضا: التجسس عن طريق آلات التسجيل وأجهزة التقاط الصور ونقلها، فلا يجوز أن تلجأ السلطة أو الأفراد إلى هذه الوسائل من التجسس، لأنها تجعل الحياة الخاصة للمواطنين عارية ككتاب مفتوح، تنتهك معه حرماته، فينتفي الأمن والطمأنينة. ولايصلح تتبع الجريمة أن يكون ذريعة للتجسس على الأشخاص أو على المنازل، لأن الناس على ظواهرهم. ولذلك. لا يباح التجسس ولو كان لتحقيق هدف مشروع، فالوسيلة تأخذ حكم الغاية، فإذا كانت الغاية مشروعة يجب أن تكون الوسيلة إليها مشروعة كذلك، ما لم يكن الجرم ظاهرا أو معلوما بعد التحقق منه، فلا بأس من البحث عن الجرائم ليؤاخذ مرتكبوها، تطهيرا للمجتمع من شرورهم.(١٢)

الإسلام حرص على حرمة الحياة الخاصة للإنسان حتى داخل بيته وبين أهله وذويه

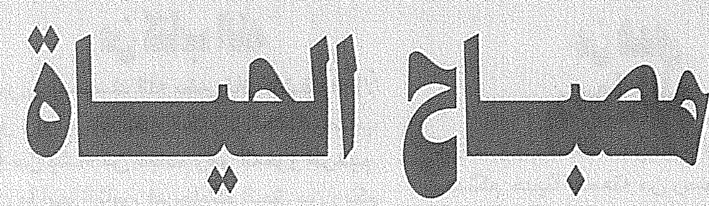
دخول المنازل بغير إذن

إذا كان دخول المنازل مرتبطا بصدور الإذن من صاحبها بنفس راضية، حفاظا على حصانة المسكن وحرمته، فإن هذه الحصانة وتلك الحرمة ترتبط باستمرار خصوصية المسكن، وحرص صاحبه على صيانة حرمته،كما أن حرمة المسكن في الشريعة الإسلامية ليست مطلقة، بل هي مقيدة بما يحقق مصلحة المجتمع.
ولذلك، أجازت أحكام الشريعة الإسلامية دخول المسكن الخاص دون إذن، إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك. كذلك قد تستدعي الضرورة دخول المنزل من دون استئذان. ومن ناحية أخرى، فإن البيوت غير المسكونة لا تحتاج ـ بحسب طبيعتها ـ إلى الاستئذان قبل دخولها.
وبصفة عامة، فإنه يمكن القول إن دخول المنازل بغير إذن يقتصر على حالات أربع ـ على سبيل الحصر — هي: حالة الضرورة. وحالة ظهور المعصية، وحالة القبض على المتهم، ودخول البيوت غير المسكونة. ■

على الشخص الأجنبي عن المسكن الاستئذان قبل الدخول أو البقاء فيه مع الشعور بالترحاب والرضى

المراجع والهوامش:

(١) انظر وقارن:
د. حسني الجندي، ضمانات حرمة الحياة الخاصة في الإسلام، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م، ص١٤ ـ ١٧ (بتصرف)
(٢) يأتي في مقدمة هذه الدساتير: الدستور الفرنسي،والدستور المصري، والدستور الأمريكي، والدستور الكويتي، والدستور اللبناني، والدستور السوري.
(٣) د. حسني الجندي، المرجع السابق، ص ٤٦
(٤) المرجع السابق، ص ٤٦ و٤٧ (بتصرف)
(٥) المرجع السابق، ص ٤٨
(٦) رواه مسلم
(٧) انظر وقارن:
د. محمد كمال الدين إمام، الاحتساب وحرمة الحياة الخاصة، دراسة غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٧م
(٨) د حسني الجندي، المرجع السابق، ص ٥٨
(٩) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، ص ٣١٣
(١٠) د. حسني الجندي، المرجع السابق، ص ١٣٦ و١٣٧
(١١) المرجع السابق، ص١٦٤ ـ ١٦٧
(١٢) المرجع السابق، ص٢١٣ و٢١٤

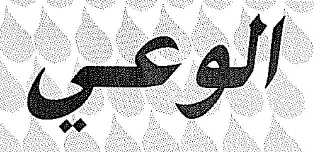


نحن قومٌ متعبونْ
فأرحنا يا «بلالْ»
قد سرينا في طريقِ للضياعْ
هدَّنا الإعياءُ والليلُ الطويلْ
ضلّ مسعانا.. وغابَتْ
في ظلامِ اليأسِ أنوارُ الرجاءْ
قد خسِرنا...
واعتقدنا.. يامنادي «الحي» أنّا
قد ملكنا من بحارِ الكونِ كنزا
وملأنا الحبيبَ ياقوتاً ودرّا
ما حصدنا غيرَ ريحَ وحُطامْ
ما شربنا غيرَ أوهامِ الحياةْ
هاتِ ظلاً في الهجيرْ
هاتِ مصباحاً ينيرْ
هاتِ فيضاً من حنانْ
يمسحُ الحزْنَ الدفينْ
نحن قومٌ متعبونْ
قد تعبنا من لباناتِ الحياةْ
وهوى النفسِ وزيفِ الأمنياتْ
مزقتنا كلُ ألوانِ الظنونْ
خدعتنا كلُّ أشكالِ الفتونْ
قد ظمئنا.... قد ظمئنا
أعطنا بَلَّةَ ماءْ
وأرحنا «يابلال»

عبدالهادي عبدالعليم صافي

حديقة

إعـداد/ احمد عبدالجبار



الوعي

من كتاب الله

﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم. قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل. واتبع مايوحى إليك و اصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾[سورة يونس-١٠٧-١٠٩]

من هدي رسول الله

عن أنس بن مالك رض الله عنه قال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحدثكم احد بعدي سمعه منه:« ان من أشراط الساعة أن يرفع العلْم ويظهر الجهل ويفشو الزنا، ويُشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امراة قيم واحد».

شر النساء

قيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء: صف لنا شر النساء فقال:
شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم، المصفرة، الميشومة، العسرة المبشومة السلطة البطرة السريعة الوثبة، كأن لسانها حربه تضحك من غير عجب، وتبكي من غير سبب، وتدعو على زوجها بالحرب، أنف في السماء، عرقوبها حديد، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة، ولاعليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، كثيرة الدعاء قليلة الارعاء، تأكل لماً وتوسع ذماً. ضيقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول وبيتها مزبول، إذا حدثت تشير بالاصابع، وتبكي في المجامع بادية من حجابها، نباحة عند بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة، فدلّى لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور.

ستة تهوِّن المصيبة

ستة أشياء إذا ذكرتها هانت عليك مصيبتك: أن تتذكر أن كل شيء بقضاء وقدر، وأن الجزع لايرد عنك القضاء، وأن ما أنت فيه أخفّ مما هو أكبر منه، وأن مابقى لك اكثر مما أُخذ منك، وأن لكل قدر حكمة لو علمتها لرأيت المصيبة عين النعمة، وأن كل مصيبة للمؤمن لاتخلو من ثواب ومغفرة وتمحيص، ورفعة شأن، أو دفع بلاء أشد وما عند الله خير وأبقى.

أثقل من السماء

سأل رجل حكيماً: أخبرني عن السماء وماأثقل منها،وعن الأرض وماأوسع منها، وعن الصخر وماأقسى منه ،وعن النار وماأحرّ منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وماأغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه فقال: البهتان على البرىء أثقل من السماوات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام إذا بان أمره آذل من اليتيم.

حرب الكلام

أي عيد اظلّنا وحمانا
في حمى الغاضبين يلقي الهوانا
وبنات اليهود تحكم قومي
وتذل الرجال والعنفوانا
تعست أمة تدير رحى
الحرب كلاماً ومنطقا ولسانا

حسن السياسة

قيل من حسنت سياسته دامت رياسته.
وقال بعض الحكماء : الأدب عصمة الملوك،لانه يمنعهم من الظلم، ويردهم على العلم، ويصدهم عن الأذية، ويعطفهم على الرعية، فمن حقه ان يعرفوا فضله، ويعظموا أهله

أوثق ثم افتخر

العلم صيد والكتابة قيده
قيد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة ان تصيد غزالة
وتتركها بين الخلائق طالقة

وقال الشاعر:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمو
على الهدى لمن استهدى أدِلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء

أشبه الأشياء بالدنيا

قال الإمام بن القيم رحمه الله اشبه الأشياء بالدنيـا الظل تحسب له حقيقة ثابتة وهو في تقلص وانقباض ا، تتبعته لتدركه فلاتلحقه، واشبه الاشياء بها السراب، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووج الله عنده فـوفاه حسابه والله سريع الحساب. واشبه الاشياء بها المنام يرى فيه العبد مـايحب ويكره فإذ استيقظ علم ان ذلك لاحقيقة له واشبه الاشياء بها عجوز شـوهاء قبيحة المنظر والمخبر يطلب الانسان منه النكاح فقالت لا مهـر الا نقد الآخرة فإننا ضرتـان واجتماعنا غير مأذون ولا مستباح فآثر الخطـاب العاجل وقالـوا ماعلى من وصل حبيبتـه من جناح، فلما كشف قناعهـا وحل إزارها اذا كل آفـة وبلية فمنهم من طلق واستراح ومنهم من اختار المقام فما استتمت ليلة عرسه إلا بالعويل والصياح.

إفشاء السر

قال عمرو بن العاص بن وائل:

– مـا استودعت رجـلاً سراً فأفشاه فلمتـه لأني كنت أضيق صـدراً حين استـودعتـه منـه حين أفشاه.

وقال الشاعر:

فـلا تـودعن الـدهـر سرك أحمقـا
فإنـك إن أودعتــه منـــه أحمق
إذا ضـاق صـدر المرء عن كتم سره
فصـدر الذي يستـودع السر أضيق

لله درك

قـال الأصعمي وغيره أصــل ذلك انـه إذا حمد فعل الـرجل ومـايجيء بـه قيل لـه للـه درك أي مايجيء منك بمنزلة در النــاقة والشـــاة ثم كثر في كلامهم حتى جعلوه لكل مايتعجب مـنه. وقيل بل معنــاه للـه لبــان أمك الـذي غـذاك وارضعك.

وقال الفراء: وقـد تتـكلم بهـا العـرب بغير الله فيقــال درٌ درك عنـد الشــيء يـمتدح بـه.

المؤمن والمنافق

قال حـاتم الأصـم: الفـرق بين المؤمـن والمنـــافـق كبير وشاسع:

فالمؤمن مشغـول بالفكر والعبر، والمنـافق مشغـول بـالحرص والأمل، والمؤمن أيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل احد إلا الله، والمؤمن يقـدم ماله دون دينه، والمنـافق يقدم دينه دون مـالـه، والمؤمن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك، والمؤمن يحب الـوحدة والخلا، والمنـافق يحب الخلطة الملا، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنـافق يقلع ويرجو الحصـاد، والمؤمن يأمر وينهى للسيـاســة فيصلح، والمنافق يأمـر وينهى للريـاسة فيفسد.

قالوا في الطعام...

قالوا: البطنة تذهب الفطنة

وقـال مسلمة بن عبد الملك لأليـون، ملك الـروم ما تعـدون الأحمق فيكم؟

قال: الذي يملء بطنه من كل ماوجد.

وحضر أبو بكر سفرة معاوية ومعه ولـده عبد الرحمن أبو بكر، فقال لـه معـاوية: مـافعل ابنك التلقـامـة؟ قـال اعتل .قال: مثلـه لايعـدم العلة(التلقامة: العظيم اللقم).

ورأى أبو الأسـود الدؤلي رجلا يلقم لقما منكـرا، فقال: كيف اسمك؟ قال: لقمان، قال: صدق الذي سماك.

وقيل لأبقـراط الحكيم: مـالَكَ تُقلّ الأكل جـداً؟ فقـال إني آكل لأحيـا وغيري يحيا ليأكل ودعـا عبد الملك بن مـروان رجلاً إلى الغـداء فقال مافيّ فضل ياأمير المؤمنين.

قال: لاخير في الرجل يأكل حتى لايكون فيه فضل!

المكر السيء

قـال أبو العينـاء لأبي داود مرة : «إن القوم تضـافروا عليّ»فقال لـه : «لا يضيرك تضـافرهم فيد الله فـوق أيديهم» فقال أبـو العيناء : «ولكنهم جماعـة ذو مكـر ودهـاء وأنـا فـرد أعـزل» فقـال أبـو داود : «كم من فئـة قليلة غلبت فئـة كثيرة بإذن اللــــه»، «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله».

عندما علاه التكبّر

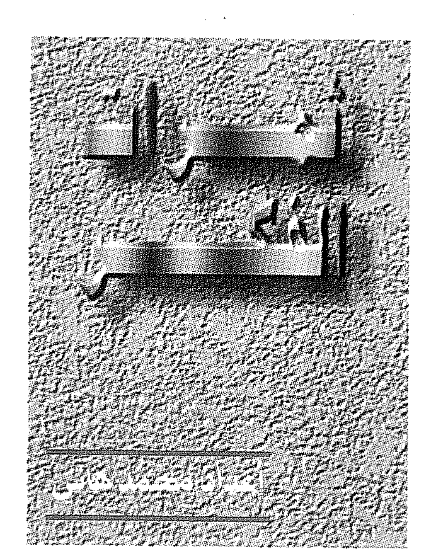
حكي ان ملكـا أراد الركـوب يـوما فـدعا بثياب الزينـة فجيء بها فردها وقال أريد ثيابـاً كذا فجيء بها فـردّها حتى جيء بأصنـاف كثيرة ثم اختار ما اراد وفعل كذلك بـالـدواب فلما ركب نفخ إبليس في أنفـه فعـلاه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب احـدا فبينما هـو في مـوكبـه فإذا بـرجل رث الهيئـة قـد قبض على لجام دابتـه وهـو يقـول: لي اليك حاجة قال حتى أرجع قال لا بل مكـانك. قـال اذكـرهـا. فقـال: أدن مني ،فطـأطأ. فقال له: أنا ملك الموت فتغير واضطـرب وسأله ان يعـود فيودع أهله فأبى فقبضه في مكانه.

الشجاعة والجبن

قـال عمـر: إن الشجـاعـة والجبن غـرائز في الـرجـال، تجد الـرجل يقـاتل عمن لايبـالي الا يـؤوب إلى أهلـه وتجد الـرجل يفـر عن ابيـه وأمـه، وتجد الرجل يقـاتل ابتغـاء وجه الله فذلك هـو الشهيد.

إنصاف

قـال ميمـون بن مهـران : التـودد الى النـاس نصف العقل، وحسـن المسألـــة نصف العلم، واقتصادك في معيشتك يلقي عنك نصف المؤونـة. ويقول أيضـا: إن العبد إذا أذنب ذنبـاً نكت في قلبـه بـذلك الـذنـب نُكتـة سوداء، فإن تاب محيت من قلبه، فترى قلب المؤمن مجلي مثل المرآة مايأتيه الشيطان من نـاحية إلا أبصره، وأمـا الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب ذنباً نُكت في قلبه نكتة سوداء، فلايزال يَنكت في قلبه حتى يَسوّد قلبه ولا يبصر الشيطـان مـن حيث يأتيه.



عمرو بن العاص / ٢

كتاب الأمة

العدد: ٥٢ ربيع الأول ١٤١٧هـ السنة السادسة عشرة

عمرو بن العاص (رضي الله عنه)

القائد المسلم - والسفير الأمين

الجزء الثاني

اللواء الركن محمود شيت خطاب

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في دولة قطر صدر كتاب الامة الثاني والخمسين تحت عنوان« عمرو بن العاص» القائد المسلم والسفير الامين وذلك في ١٢٨ صفحة من القطع الصغيرة من تأليف اللواء الركن محمود شيث خطاب.

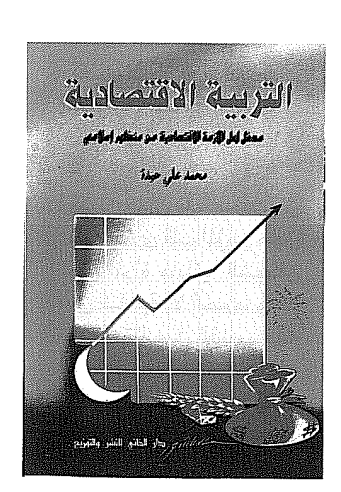
وهذا الكتاب.. هو الجزء الثاني من « عمرو بن العاص رضي الله عنه القائد المسلم والسفير الأمين» ومكملا له.. فبعد ان حاول المؤلف في الجزء الاول التحقيق والتوثيق لهذا الأنموذج المتميز من الصحابة الكرام، الذي كان جاهلياً تعامل مع الجاهلية ثم تحول الى الاسلام على بصيرة واختيار- وخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام إذا فقهوا- فأصبح قائداً فاتحاً ينشر الاسلام ويبشر به، ويحسن سياسة اهل البلاد المفتوحة وكيفيات التعامل معهم وفق قيم الاسلام، قدم المؤلف في هذا الجزء خلاصة طيبة لسيرة هذا الصحابي الجليل.

لقد برز عمر وبن العاص رضي الله عنه كوالٍ فذّ، وسفير أمين، وراويةٍ للحديث، وخطيب شاعر، وفقيهٍ عالم، وسياسيٍّ حكيم مِن الطراز الرّفيع، وتميز بأنه يحسن التعاملَ مع المآزق الكبرى والمواقف الحرجة.

وحسب عمرو رضى الله عنه – على الرغم من كل المحاولات التغريبية والمذهبية التي حاولت تشويه شخصيته- أنه أصل للحضارة والثقافة الاسلامية في مصر الفرعونية وافريقية الوثنية، وقدم أنموذجا للمؤمن المتوازن بين مطالب الدنيا ومقاصد الآخرة، وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم « نعما بالمال الصالح للمرء الصالح» رواه احمد.

التربية الاقتصادية
مدخل لحل الازمة الاقتصادية من منظور اسلامي

الكتاب من منشورات دار الخاني للنشر والتوزيع في الرياض وهو محاولة متواضعة في موضوع مهم يلقي الضوء على واحدة من اهم القضايا التي باتت تشغل المجتمعات المعاصرة ألا وهي المشكلة الاقتصادية، ومن خلال دراسة سريعة لثلاثة حالات في عالمنا الاسلامي هي بنجلاديش ومصر وأندونيسيا ندرك أبعاد وحجم الأزمة التي تعيشها بلادنا ومكمن الخلل فيها، فإذا كانت الاشتراكية تسأل: كيف تقوم التنمية؟ والرأسمالية تسأل: بم تقوم التنمية؟ فإن الاسلام يسأل: بمن تقوم التنمية؟ في إشارة واضحة الى اهمية الانسان او العنصر البشري بصفاته الأخلاقية والعلمية. وهو ما دفع سيدنا يوسف عليه السلام ان يطلب من الملك ان يمنحه حق الاشراف الكامل على البرنامج الذي اقترحه لحل الازمة المصرية ﴿اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم﴾ إذ الإنسان هو أولاً واخيراً هدف وغاية الاسلام في بنائه الحضاري، وإذا كان الاسلام قد عالج يوم جاء مشكلتي الجوع والخوف من غير ان يكسر رقاب الناس او يلوي اعناقهم، فأطعمهم من بعد جوع وآمنهم من بعد خوف، فإنه اليوم أيضا قادر على ان يعالج أحد أهم الأمراض الاقتصادية التي تعانيها المجتمعات – غنيّها وفقيرها على حد سواء- ألا وهي مشكلة التضخم من غير ان يُحدث الصدمات التي تحدثها المناهج الأخرى.



في أول رسالة علمية من نوعها: الصحافة الاسلامية في الكويت.. مجلة المجتمع أنموذجاً

اوضحت رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاسلامية من كلية الامام الاوزاعي في بيروت ان مجلة الوعي الاسلامي تهدف الى تنمية الوعي الاسلامي بشكله الشمولي ومعالجة قضايا المسلمين الفكرية والاجتماعية على الصعيدين المحلي والدولي اضافة الى رعاية الأقلام الناشئة وأطفال المسلمين من خلال ملحق المجلة الذي يهتم بالطفل المسلم ويرعى شؤون الأسرة والأبناء والزوجة والأب.

وقال الباحث طارق البكري، المحرر في جريدة الانباء الكويتية ان مجلة الوعي الاسلامي ادت رسالتها خلال السنوات الماضية وان القارىء يجد بين اسطرها مواضيع شيقة وبحوثاً مختلفة متجردة.

● الباحث أثناء مناقشة الرسالة

حملت الرسالة عنوان « الصحافة الاسلامية في الكويت مجلة المجتمع أنموذجاً» وهي أول رسالة عليها من نوعها استطاع الباحث ان يضع الفواصل التاريخية للصحافة الاسلامية في الكويت بحيث تبدأ مع بداية الصحافة الكويتية على يد الصحافي الكويتي الاول عبد العزيز الرشيد ومجلته الكويت التي صدرت في العام ١٩٢٨م وتنتهي في أواخر العام ١٩٩٥.

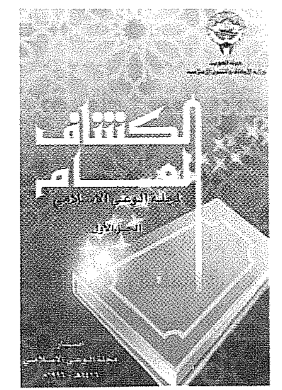
البحث ينقسم الى اربعة فصول وملحق لبعض مواد دستور دولة الكويت، وخاتمة ضمنتها خلاصة النتائج وبعض المقترحات.

حمل الفصل الاول عنوان: الكويت وصحافتها، وتضمن خمسة موضوعات وهي: الجغرافيا والتاريخ، المجتمع الكويتي، السياسة الاعلامية لدولة الكويت، تاريخ الصحافة الكويتية وصحافة تحت الاحتلال.

الفصل الثاني حمل عنوان: العالم الإسلامي، وتضمن التمهيد ستة موضوعات، وهي: الإعلام اصطلاحاً، الإعلام الإسلامي، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، خصائص الإعلام الإسلامي ووظائف الإعلام الإسلامي.

أما الفصل الثالث فقد تناول فيه الموضوع الرئيسي لهذا البحث وهو الصحافة الإسلامية في الكويت، حيث قدم عرضا موجزاً لتاريخ الصحافة الإسلامية الكويتية وظروفها، وتناول الفصل الرابع والأخير الأنموذج التطبيقي للبحث وهو مجلة المجتمع، حيث تحدث عن الجمعية التي تصدرها وهي جمعية الإصلاح الإجتماعي، وموقف الجمعية من الإعلام، وتحدث عن جذور مجلة «المجتمع» وقسّم موضوعاتها الى فئات وحلل مضمونها، وفسر نتائج التحليل، ولاحظ ان المجلة تركز على القضايا السياسية المختلفة وقال انها ذات طابع سياسي إسلامي، ووصفها بالمجلة الإسلامية التي تعيش هموم وقضايا المسلمين في العالم.

الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي



عن إدارة مجلة الوعي الاسلامي صدر الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي الجزء الاول وقد اشتمل هذا الكشاف على كل مانشر في أعداد مجلة الوعي من موضوعات بجمع فنونها خلال السنوات العشر الاولى أي من العدد ١ الى العدد ١٢١ على ان يتبعه في القريب إن شاء الله تعالى الجزء الثاني ويضم الموضوعات من العدد ١٢١ الى العدد ٢٤٠ وقد اتبع في تصنيف هذا الكشاف الترتيب الألفبائي في جميع اجزائه وأقسامه وأبوابه تيسيراً لمحبي الاطلاع والمعرفة والباحثين للوصول الى اهدافهم بأسهل الطرق وأبسطها.

إصدارات جديدة

اعلام التاريخ الاسلامي في مصر

على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان أسهمت الأقطار الإسلامية على اختلافها في كتابة التاريخ الإسلامي.

حول مصر ودور أعلامها في صياغة تاريخ الدولة الاسلامية. قدم الكاتب الصحافي سامح كريم كتابه« أعلام من التاريخ الاسلامي في مصر» يتضمن الكتاب الحديث عن شخصيات أسهمت في مجال علوم الفلك، وفي التصوف وفي التقريب بين الآراء وفي الطب.

الكتاب صدر عن الدار المصرية اللبنانية مؤلف من ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير.

مذاهب الاسلاميين

الاختلاف والتعدد إثراء للفكر وتوكيد للهدف الذي يسعى اليه المسلمون جميعا، فقد وقف الاسلام ضد الأحادية والرأي الفردي.

تحت عنوان« مذاهب الاسلاميين» للدكتور عبدالرحمن بدوي، صدر كتاب جديد وذلك عن دار سينا في القاهرة.

الكتاب يقع في ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط.

معجم المصطلحات المالية والمصرفية

ليس هناك اكثر تجدداً واسرع تطوراً وتغيراً من المصطلحات المالية والمصرفية والتجارية، فهي دائما تتكاثر وتتوالد تبعاً لتشابك العلاقات ومتطلبات السوق.

«معجم المصطلحات التجارية والمالية والمصرفية» صدر أخيراً عن دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني يضم المعجم أحدث ما أفرزه سوق المال من مفاهيم ومصطلحات.

المعجم من إعداد «د. أحمد زكي بدوي» وهو يتألف من ٥٢٠ صفحة من القطع الكبير.

الأهرام يعقد ندوة حول: ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

نظم الأهرام ندوة علمية حول ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة شارك فيها أساتذة متخصصون في العلوم الدينية والطبية والصيدلية، ناقشت الندوة محاولات بعض اصحاب المصالح لتحميل بعض النصوص الدينية ما لا تحمله من اجل الترويج لسلعهم او كسب الشهرة او غيره من أوجه الاستغلال التي لا تليق بجلال القرآن مستغلين العاطفة الدينية عند المسلمين مما يسيء للدين العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويلصقون به ما ليس فيه من جهل ودجل وشعوذة.

وأكد الاهرام والاساتذة الحاضرون على ان الجميع ليسوا ضد الاجتهاد وحرية التفكير ولا يجب قصرهم على فئة معينة يشترط فيها شروطاً مجحفة كما يفعل البعض، فالعلم والحكمة هبة وعطاء من الله تعالى ولكن طالب الحضور بألا تصنف هذه الافكار او هذه الاجتهادات من ابواب الاعجاز، وتنشر على الناس كحجة ويقين قبل ان تمر بجميع مراحل البحث والتحليل العلمي من أهل الذكر المتخصصين وعلماء الدين ويقررون حقيقة ما توصل اليه صاحب الاجتهاد.

وقد رفض الاساتذة المتخصصون الذين حضروا الندوة وجود أي علاقة بين شفاء سيدنا يعقوب عليه السلام وبين العرق العالق بقميص سيدنا يوسف عليه السلام.. وأوضحوا ان هذا الامر لا يعدو ان يكون معجزة من المعجزات التي اختص الله بها انبياءه ورسله عن سائر المخلوقات وان المعجزات لا تجوز محاولة تفسيرها.

ويلخص الدكتور/ محمد أحمد الغمراوي عميد كلية الصيدلة الاسبق وصاحب الاكتشافات العلمية العالمية في الكيمياء الحيوية وصاحب الابحاث الفريدة في العلم والدين في كتابه الاسلام في عصر العلم يلخص المنهج العلمي السليم لمطابقة آيات الاعجاز في وجوب مراعاة ثلاثة أمور لفهم نصوص القرآن الكريم أولها: فهم معاني المفردات كما كان يفهمها العرب وقت نزول القرآن وثانيها القواعد النحوية وثالثها: القواعد البلاغية.. كذلك يحدد الدكتور الغمراوي أيضاً أربعة أسس لمطابقة آيات القرآن الكريم مع آيات الكون فيقول:

(أ) استحالة التعارض بين القرآن والكون.

(ب) استحالة التعارض بين آيات القرآن ان بدا لنا ذلك فهو بالتأكيد راجع لسوء الفهم وتقصي البحث أو نقص العلم.

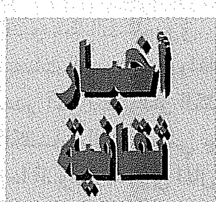
(ج) الالتزام بالمنطق الصارم في المطابقة بين آيات القرآن وما يتصل بموضوعه من الحقائق الكونية.

(د) تطابق آيات القرآن الكريم فقط مع الحقائق العلمية اليقينية الثابتة ولا يجوز ذلك نهائياً مع النظريات والفروض العلمية التي لاتزال محل بحث وتجريب وقد تعدل في أي وقت بل وقد يثبت خطؤها.

وقد أوصى الحاضرون في ختام الندوة بأهمية انشاء مركز علمي تابع لجامعة الازهر لتلقي الافكار والخواطر وتبنيها وتمريرها عبر قنوات البحث المختلفة حتى يثبت صحتها او خطؤها قبل نشرها على الناس- وجامعة الازهر- تشتمل على جميع التخصصات العلمية والطبية والصيدلية والدينية.

كما ناشد الحاضرون ايضا مجمع البحوث الاسلامية ان يجتمع فوراً لابتكار المحاولات الفاسدة لاستغلال الدين ووضع ضوابط عامة صارمة تقف سداً منيعاً امام كل من تسول له نفسه التلاعب بمقدساتنا لتحقيق مصالح شخصية.

كذلك ناشدوا نقابة الاطباء ونقابة الصيادلة وهيئة الأدوية والمركز القومي للبحوث اتخاذ الاجراءات العلمية والوقائية والقانونية لمنع هذا التدليس حماية لصحة المواطنين.. وتوجهت الندوة بنداء الى الجمهور ألا ينساق وراء هذه الدعاوى الكاذبة وألا يتناول اي دواء ليس له اسم ومنشور يدل على جميع محتوياته ومصرح به من هيئة الأدوية.



● تعقد في مدينة طنجة المغربية ندوة علمية حول الترجمة في العالم العربي وذلك خلال الفترة من ٢٧-٣٠ نوفمبر المقبل ويأتي انعقاد هذه الندوة امتداداً للندوة التي نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة والاتحاد الدولي للمترجمين في يونيو العام ١٩٨٩م.

● قامت إدارة الازهر بطبع كتاب «أركان الاسلام» باللغة الانكليزية لمؤلفه الشيخ محمد جميعة رئيس مكتب إشهار الاسلام بالأزهر وذلك لتوزيعة مجاناً على الجاليات والمراكز الاسلامية في الخارج وعلى الاجانب الراغبين في اقتناء المطبوعات الاسلامية.

● يجري الإعداد لدائرة معارف عن القرآن الكريم باللغة الانكليزية من مجلدين ويشرف عليها اساتذة من جامعة تورنتو في كندا وناشر هولندي ويشارك في وضع مادتها علماء وخبراء من العالم الاسلامي وسيكون الكتاب الاول من نوعه باللغة الانكليزية وسيصدر العام ٢٠٠٠م.

● تعد مجموعة من الخبراء والعلماء في لاهور في باكستان دائرة معارف للأحكام الشرعية الإسلامية في ٢٠٠ مجلد بهدف تعريف المحاكم الشرعية الإسلامية بالأحكام السابقة للاسترشاد بها في إصدار الأحكام وسيصدر الكتاب باللغة العربية أولاً ثم بعد ذلك بالإنجليزية والفرنسية.



١٠ آلاف مدمن على الهيروين والكوكائين في فيينا

قالت دراسة متخصصة نشرت في فيينا ان هناك حوالي ١٠ آلاف شخص معظمهم من الشباب ادمنوا على الهيروين والكوكائين في فيينا في حين جرب حوالي ٦٢ الف هذه المخدرات المركزة والخطيرة اكثر من مرة خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة.

وقالت الدراسة التي اعدها معهد «ايفيس» بتكليف من مجلس بلدية فيينا ان ٣٧,٤ في المئة من سكان فيينا البالغ عددهم نحو المليونين مدمنون على الكحول و٣٠ في المئة على التدخين.

وجاء في الدراسة ان ١٢ في المائة من سكان فيينا يتناولون الحبوب المهدئة والعقاقير والمنشطات المؤثرة التي لها مفعول المخدرات. وقالت ان الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات العقلية منتشر بشكل خاص بين اوساط الشباب حيث يتناول ٢٦ في المئة منهم الكحول بشكل منتظم في حين يتعاطى اكثر من ٥٠ في المئة التدخين و١٤ بالمئة الحبوب المهدئة والعقاقير المؤثرة.

٨٠٠ مليار دولار رؤوس أموال عربية مهاجرة

طالبت المؤسسة العربية لضمان الاستثمار اصحاب رؤوس الأموال العربية المهاجرة والبالغة حوالي«٨٠٠» مليار دولار تحسين الأداء الاقتصادي في العالم العربي والنهوض به.

وقالت المؤسسة في احصائية نشرت في دمشق ان الاستثمارات الاجنبية في العالم العربي شهدت فورة غير عادية في السنوات الاخيرة من خلال التدفقات المالية الاجنبية والتابعة في معظمها للاشخاص او للمؤسسات وشركات متعددة الجنسية.

واضافت ان تدفقات الاستثمار الاجنبي المباشر للدول العربية في العام ١٩٩٤ بلغت نحو«١,٧» مليار دولار وهي تشكل ما نسبته«٨» في المئة من اجمالي الاستثمارات الدولية ونحو «٢,٥» في المئة من التدفقات الاستثمارية المباشرة النامية.

وقالت الاحصائية ان التدفقات الاستثمارية الاجنبية الى الدول العربية بلغت نحو«٣» مليارات دولار سنوياً في المتوسط من الفترة ١٩٨٣ الى ١٩٨٨ وشكلت نحو«٣,٣» في المئة من اجمالي التدفقات الدولية.

وعرضت النشرة ترتيب اهم خمس دول عربية من حيث استقبالها التدفقات الاستثمارية وجاءت المغرب في المرتبة الأولى بتدفقات قدرت بنحو «٤٤٢» مليون دولار ما يعادل«٢٥,٧» في المئة من اجمالي التدفقات الاستثمارية نحو الدول العربية وجاءت مصر في المرتبة الثانية بتدفقات بلغت«٢٥,٣» في المئة ثم ليبيا بتدفقات بلغت «١٣٥» مليون دولار ما يعادل«٧,٨» في المئة وتونس«١٢٦» مليون دولار ودولة الامارات بتدفقات «١١٣» مليون دولار ما يعادل«٦,٦» في المئة.

واشارت المؤسسة العربية لضمان الاستثمار الى ان الدول العربية حافظت على نصيبها في التجارة الدولية الذي سجلته العام ١٩٩٤ وبلغت نسبته«٢,٩» في المئة اذ قدرت قيمة التجارة السلعية الدولية نحو«٤,٢» مليار دولار وبلغت صادرات الدول العربية العام ١٩٩٤ نحو« مليار دولار وسجلت الواردات القيمة نفسها تقريبا».

جريمة كل ٤٨ دقيقة بالشارقة

ذكر التقرير السنوي الذي اصدرته شرطة الشارقة ان حجم الجرائم المرتكبة في الإمارة العام ١٩٩٥ بلغ ١٧٩,٣٤٤ جريمة، موزعة بين الجنح والمخالفات والجنايات، ومن الامور التي لاحظها التقرير ان هناك جريمة ترتكب كل ٤٨ دقيقة باستثناء جرائم قانون السير، وبلغ عدد الجرائم الواقعة على الاموال ٣١٥٥ جريمة شكلت نسبة ٧٤,٨من جملة الجرائم المرتكبة تحت طائلة قانون العقوبات، وبلغ عدد الجرائم الواقعة على الاشخاص ٨٦٥ جريمة تثمل ٢٠,٥ في المئة من جملة الجرائم تحت قانون العقوبات. وبلغ عدد الجرائم الماسة بأمن الدولة ٨٩ جريمة، والجرائم ذات الخطر العام ٨٣جريمة.

اما الجرائم الواقعة تحت طائلة القوانين الاخرى المكملة لقانون العقوبات والمقصود بها جرائم المخدرات والعمل والجنسية والهجرة والمشروبات الكحولية والاسلحة والاحداث، فقد بلغ عددها باستثناء قانون السير ٦٧٢١ جريمة منها ٥٨٤٢ جريمة في مجال الجنسية والهجرة و٥٨٤ جريمة في مجال المخدرات و٢١٣ جريمة في مجال قانون العمل. وافاد التقرير ان نسبة المواطنين من ابناء امارة الشارقة من مرتكبي هذه الجرائم شكلت ١٤,٣ في المئة من الاجمالي العام، وتحت قانون المخدرات بلغت نسبة المواطنين ٣٩,٤ في المئة وتحت قانون العقوبات بلغت ٣٣,١ في المئة، وتحت قانون السير بلغت نسبتهم ١٤,٣ في المئة وتحت القوانين المكملة بلغت ٢,٢ في المئة.



٩٠٪ من إصابات الأيدز في البلدان النامية

اكد تقرير التنمية البشرية الصادر عن مكتب الامم المتحدة في القاهرة ان فيروس نقص المناعة« الايدز» يعد السبب الاول لحالات وفاة كبار السن في اميركا الشمالية واوروبا. وان هناك تسعة آلاف اصابة كل يوم بمعدل اصابة كل ١٥ ثانية يقع ٩٠٪ منها الآن في البلاد النامية.

وقال التقرير ان بحوثا جديدة اجريت للبرنامج الانمائي في جامعة كولومبيا ومعهد هارفارد للتنمية وتظهر لاول مرة عن تقرير التنمية البشرية لهذا العام، ان وباء الايدز يؤثر على دليل التنمية البشرية. وان العالم خسر بسبب هذا الوباء ما متوسطه ١,٣ سنة في تقدم التنمية البشرية ففي الوقت الذي خسرت فيه زامبيا على سبيل المثال ١٠ سنوات، خسرت تنزانيا ثماني سنوات في حين خسرت رواندا سبع سنوات وافريقيا الوسطى ست سنوات اما بورندي وكينيا وملاوي واوغندا وزيمبابوي فقد خسرت مابين ثلاث الى خمس سنوات حيث يرجع الهبوط في دليل التنمية البشرية الى الهبوط في متوسط العمر المتوقع، وهو احد مكونات الدليل الثلاثة ويحدث مايزيد عن ٨٥٪ من الوفيات الناتجة عن وباء فيروس الايدز في جميع انحاء العالم لدى الاشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و٤٥ سنة.

وحذر التقرير من انتقال هذا الوباء الى دول اسيا بصورة مماثلة للتي تشهدها افريقيا، وقال انه سوف يؤثر على دليل التنمية البشرية بصورة كبيرة وان كانت الخسائر ستستمر في الارتفاع وبخاصة في بلدان كالهند، وميانمار، وتايلند، حيث تتجلى ازمة الايدز بصورة متزايدة، وان الحكومات التي لا تأخذ خطر الايدز في الاعتبار بسبب حساسيات دينية او ثقافية لابد ان تدفع الثمن في وقت لاحق وان هذا الثمن سيكون فادحا.

افتتاح صالة لاستقبال المتبرعين في بيت الزكاة

قال مدير إدارة تنمية الموارد في بيت الزكاة صلاح الرويح ان البيت استكمل إنشاء وافتتاح صالة خاصة باستقبال المتبرعين في بيت الزكاة تعمل على الرد على استفسارات المتبرعين الشخصية والهاتفية وتوضيح خدمات انشطة بيت الزكاة لهم، كما تمكنهم من المشاركة بهذه المشاريع والأنشطة بكل سهولة ويسر.

واضاف ان الصالة تقدم للمتبرعين خدمات متكاملة بدءاً من الاستفسار وحتى تنفيذ المشروع والنشاط والتزويد بتقارير متابعة التنفيذ مما وفر على المتبرعين عناء التنقل بين ادارات البيت المختلفة والتعامل مع العديد من الموظفين المختصين حيث يقوم نظام عمل الصالة على توفير كادر وظيفي يتسم بالكفاءة والخبرة يستطيع الرد على جميع الاستفسارات المتعلقة بأساليب المشاركة في مشاريع وأنشطة البيت.

١,٧ مليار دولار خسائر فيضانات كوريا الشمالية

قالت كوريا الشمالية ان الفيضانات سببت خسائر قيمتها ١,٧ مليار دولار.

وقالت وكالة انباء كوريا المركزية الحكومية« الخسائر التي سببتها الفياضانا أواخر يوليو في ١١٧ مدينة ومقاطعة في ثمانية اقاليم في كوريا الشمالية. تقدر حتى الآن بنحو ١,٧ مليار دولار.

مساحة السويد تقلصت

تقلصت السويد ٢,٠٧ كلم من الشمال الى الجنوب وفق حسابات جديدة جمعت بوساطة قمر اصطناعي.

وافاد المكتب الوطني للحسابات الهندسية ان طول هذا البلد بلغ حوالي ١٥٧٢ كيلومترا.

وتشير موسوعات عديدة الى ان المملكة الاسكندينافية تمتد على طول ١٥٧٤ كيلو متراً وهي احدى اكثر دول القارة الاوروبية الممتدة طولاً.

وقرر مكتب الحسابات الهندسية ان يقوم بالحسابات الجدية لانه يتلقى بانتظام اتصالات هاتفية من سويديين يشاركون في مراهنات حول طول السويد.

ارتفاع نسبة اليهوديات اللواتي يعتنقن الإسلام

اعترف مسؤول في الكيان الإسرائيلي بارتفاع نسبة الفتيات اليهوديات اللواتي يعتنقن الإسلام في الفترة الأخيرة ولكنه برر اعترافه هذا بأن هؤلاء الفتيات يحببن مواطنين عربا ويردن الزواج منهم.
واوضح الدكتور يوسف دانة رئيس مايسمي بقسم الطوائف في وزارة الأديان الاسرائيلية ان حوالي ٢٥ فتاة يهودية تقدمن في الاشهر الاخيرة بطلبات الى وزارته يطلبن خلالها التخلي عن الديانة اليهودية واعتناق الدين الاسلامي وقال: ان ذلك يدل على ظاهرة جديدة تمثلت في ازدياد عدد اليهوديات اللواتي يقدمن طلب لاعتناق الإسلام.
وحاول المسؤول الاسرائيلي الدكتور دانة التقليل من شأن هذه الظاهرة عندما قال: إن العدد ٢٥ فتاة لم تشكل ارتفاعا في نسبة الفتيات اليهوديات اللواتي يعتنقن الإسلام في الفترة الأخيرة وان الارقام التي سجلت في وزارة الاديان لاتعبر بالضرورة عن الواقع الميداني الحقيقي، زاعما في الاطار ذاته ان عدداً كبيراً من الفتيات اليهوديات اللواتي يقبلن على اعتناق الاسلام والتخلي عن الديانة اليهودية هن من المهاجرات اليهوديات الجديدات مشيراً إلى ان اعمار الفتيات تتراوح بين ١٨ و٢٥ عاما ومعظمهن من الطبقة المتوسطة ووفقا لأقواله فإن« الزواج المختلط» يمنى عادة بالفشل ثم ينتهي بالطلاق.
ويحاول الدكتور دانة جاهداً ثني الفتيات اليهوديات عن اعتناق الدين الاسامي من خلال مأعلنه من أنه يحذرهن من عواقب الطلاق ووصفه بان اجراءاته معقدة وتجري في المحكمة الشرعية التي عقد فيها عقد الزواج زاعماً أيضاً ان القضاة في المحاكم الاسلامية لا يشجعون الزواج المختلط بسبب التعقيد في هذا الموضوع.

ألف مسجد جديد سنوياً في تركيا

يزداد عدد المساجد في تركيا بمعدل ألف مسجد سنويا وتفيد احصاءات الشؤون الدينية في انقرة ان عدد المساجد في البلاد كان ٥٤٦٦٧ مسجدا في العام ١٩٨٤ لكنه ارتفع الى ٦٥٧٩٤ مسجداً في العام١٩٩٠ ممايشكل مسجداً لكل الف مواطن ووصل الى ٧٠٢١٣ مسجداً في نهاية العام١٩٩٥.
وفي اسطنبول التي يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة تضاعف عدد المساجد خلال السنوات العشرة الاخيرة وارتفع من ١٤٩٠ مسجدا في العام ١٩٨٥ الى ثلاثة آلاف مسجد في نهاية ١٩٩٥ ويتم تمويل بناء المساجد عادة من الهبات والتبرعات التي تجمعها المؤسسات الاسلامية من السكان، في حين تقوم الدولة بتعين ودفع رواتب أئمة هذه المساجد.

بحلول العام ١٩٩٩ سنغافورة تصبح سابع أغنى دولة في العالم

قالت صحيفة «صنداي تايمز» ان سنغافورة قد تصبح بين اغنى عشر دول في العالم بحلول العام١٩٩٩.
وقالت الصحيفة ان نصيب الفرد من اجمالي الناتج المحلي أو متوسط الدخل السنوي للفرد في سنغافورة قد يصل الى ٣٠٤٣٢ دولارا اميركياً في العام ١٩٩٩ لتصبح سنغافورة سابع اغنى دولة في العالم متقدمة على الولايات المتحدة وفرنسا ولتأتي مباشرة عقب المانيا.
وتشغل سنغافورة المرتبة الخامسة عشرة وتكهن قسم الابحاث بمعهد ابحاث سنغافورة برس هولدنجز بهذه الارقام التي تستند الى ترتيب ورد في تقرير صدر هذا العام عن القدرة على المنافسة بين دول العالم. وتوقع التقرير ان ينمو اقتصاد كل دولة بمتوسط معدل النمو بها على مدى السنوات الخمس الماضية.
ومن المتوقع ان تتصدر لوكسمبورج قائمة اغنى دول العالم في العام ١٩٩٩ وان يبلغ متوسط دخل الفرد فيها ٥٧٦٨٢ دولارا تليها اليابان بمتوسط ٤٢٥٠٥ دولارات ثم سويسرا بمتوسط قدره ٤١٤٢٥ دولاراً.

ارتفاع الطلاق في بريطانيا

وصل معدل الطلاق في بريطانيا الى ٣٣٪من الزيجات وهو من اعلى معدلات الطلاق في أوروبا.
اثار ذلك قلقا بالغا في الاوساط الرسمية. وقامت السلطات المسؤولة عن التعليم في مدينة «مانشستر» الصناعية في انكلترا حديثا بإقرار مادة دراسية جديدة لتلميذات المرحلة الثانوية تدور حول أدوار وواجبات الأمومة وما يرتبط بها من أعباء حتى يكنّ مستعدات نفسيا وتربويا للقيام بهذا الدور مما يساهم في استقرار الاسرة وتشجيع الاقبال على الزواج، واعرب الكثيرون عن مخاوفهم من ان نظام الاسرة في بريطانيا سوف ينقرض في الجيل القادم وامكانية تأثير ذلك على انخفاض معدلات المواليد ومن ثم اخذت بعض الهيئات والمؤسسات الدينية في بريطانيا تعمل على احياء وتشجيع الزواج والتأكيد على قيم الاسرة.

لماذا نجح المسلمون الآسيويون وفشل الشرق أوسطيون؟

ترجمات

التقيت أنور إبراهيم للمرة الأولى في العام ١٩٨٠ في مدينة جامعية في نيوهامبشير وكان ذلك بعد وقت قصير من قوع الثورة الاسلامية في ايران، حيث قرر احد الاساتذة الاميركيين المهتمين الاجتماع مع بعض ممثلي الفكر الاسلامي الراديكالي وذلك لمناقشة هذا الفكر مع بعض الاكاديميين الغربيين.

بقلم: ادوارد مورتيمر

وكان من بين الشخصيات الاسلامية المشاركة بعض المتشددين مثل الدكتور حسن الترابي الذي اصبح منذئذ القائد الايديولوجي للديكتاتورية العسكرية الحاكمة في السودان، وخورشيد احمد الذي طبق الجنرال ضياء الحق نظرياته في الاقتصاد الاسلامي في باكستان. ومن الناحية النظرية يبدو انور ابراهيم مؤسس ورئيس حركة الشباب الاسلامي في ماليزيا، إنه ينتمي إلى هذه الفئة نفسها.

الا انه حالما شرع في الحديث بدا مختلفا تماما وذلك ليس لانه كان اكثر هدوءا بل لأنه عبر عن احساس قوي بالتزامه الشخصي وبأمانة اكثر من الزعامات الاكبر سنا التي كانت حاضرة، غير ان التزامه لم يكن يشوبه توجه لتبني موقف تصادمي أو اللجوء الى التهديد والوعيد ضد الغرب.

تخلى عن مبادئه

وفي اعتقادي ان تحوله منذ ذلك الوقت من طالب راديكالي الى احد الاعمدة الساحرة والدمثة في المؤسسة الحاكمة حيث يشغل حاليا منصب وزير المالية ونائبا لرئيس الوزراء مهاتير محمد ووريثه المنتظر، كان امراً متوقعا مسبقا. الا انني اشك ان راديكاليته كانت ستأخذ شكلا طائفيا مريرا كالذي نجده الآن مرتبطا بالتشدد الاسلامي السائد في الشرق الأوسط ولقد فوجئت بصفة خاصة عندما اشار الى احد الاكاديميين الغربيين الحاضرين، وهو متخصص في الشؤون الاسلامية في منطقة جنوب شرقي آسيا بأنه معلمه، فلا الفكرة ولا التعبير اللذان استخدمهما يمكن ان يتماشيا مع الافكار الاصولية الاسلامية.

كما انه ليس من المستغرب ان نجد بعض اتباعه السابقين يعتقدون أنه قد باع مبادئه.

فقانون الأمن الداخلي الذي اعتقل بموجبه من دون محاكمة إبان السبعينات مازال ساري المفعول كما ان الفساد وحسب قول الدكتور مهاتير «مازال باديا للعيان» وان كان «ليس بالمقاييس التي يتحدث عنها المنتقدون الاجانب».

ولقد تمكن انور ابراهيم والى مدى معين من تحقيق الامرين. فطالما كان هو الرجل رقم اثنين في النظام فإنه يصبح في إمكانه إنعاش الآمال بحدوث تغيير من دون الحاجة إلى تحقيقها.

غير انه مازال يحظى بتفسير الشك في صالحه. فمهما كانت اخطاء مهاتير او تصرفاته الشخصية فإن ماليزيا ظلت – تحت حكمه تعتبر – قصة نجاح مذهلة، ويمكن ان يعود بعض الفضل في ذلك الى وزير ماليته وتنافس وتيرة نمو ماليزيا ووتيرة نمو أي من «نمور» منطقة جنوب شرق آسيا. الا انها تفادت النواحي الأسوأ الناتجة عن ذلك النجاح كالاختناقات وتلوث البيئة التي اصبحت سمة بعض تلك الدول.

قيم آسيوية وهامش ديمقراطي

كما ان حكومة ماليزيا تتبنى القيم الآسيوية المتمثلة في اللياقة الشخصية والالتزامات الأسرية والإجماع الوطني.. وفحص الصحف القادمة من الخارج بدقة قبل توزيعها، الا

> حكومة ماليزيا تتبنى القيم الآسيوية المتمثلة في اللياقة الشخصية والالتزامات الأسرية والإجماع الوطني

انها لم تفرض الجو الخانق من الالتزام الذي يسود دولة سنغافورة المجاورة. ولقد تمكنت احزاب المعارضة من الفوز في الانتخابات في بعض المقاطعات كما نجد ضمن صفوف الحزب الحاكم في ماليزيا أي المنظمة الوطنية تنافسا حاداً بين الاطراف المختلفة وتجد سياسة محاباة رجال الاعمال المحليين انتقادات متزايدة، حيث توصف بالشللية وتدخل الدولة.. إلا ان ذلك قد ساعد على نزع فتيل التوترات وفيما بين الصينيين والمالاي الذين قاموا باضطرابات واعمال عنف فظيعة في العام ١٩٦٩.

وكل هذه الامور انما تساعد على تفسير ذلك الاهتمام البالغ الذي ابداه اعضاء المؤسسة البريطانية ممن استمعوا الى الخطاب الذي ألقاه انور ابراهيم في لندن أخيراً.

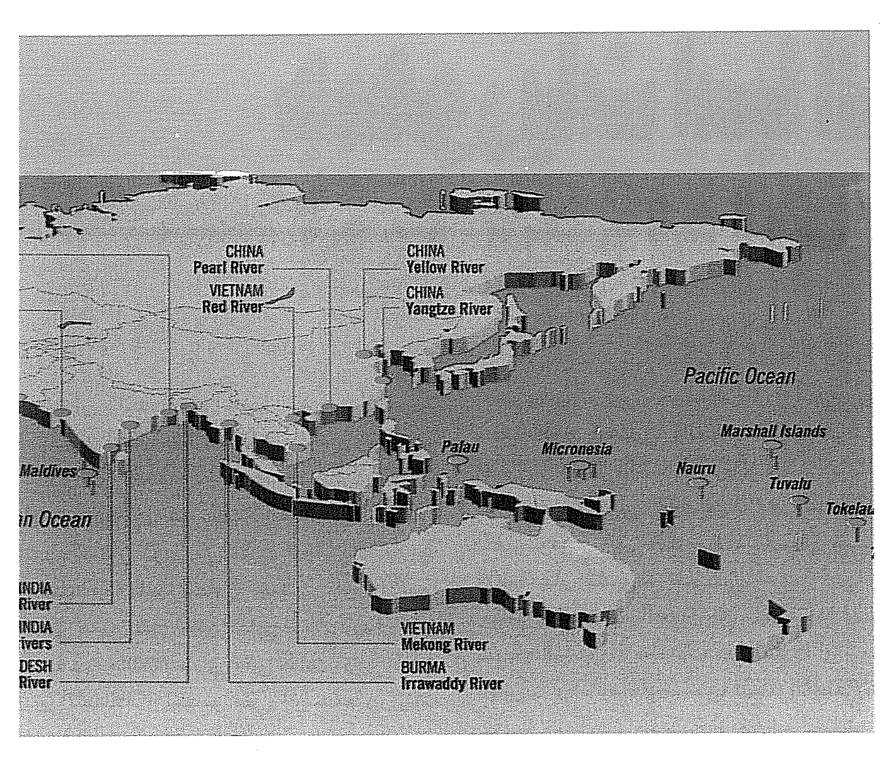
ويعود تأثير انور ابراهيم على مستمعيه الغربيين في جانب منه الى انه ليس مهاتير فهو لا يوبخ الغرب لتخليه عن اخلاقيات العمل أو لتشريعاته الخاصة بالشواذ والزواج فيما بينهم والاسر المفككة وان «اشباع الحواس هو الهدف الاساسي للحياة». كما فعل مهاتير في خطاب ألقاه في اوكسفورد في اوائل هذا العام بل هو ينتقد بالفعل «الإيمان الأعمى في الحلول الناتجة عن آليات السوق» مُصرًّا على القول ان « اية سياسة او وصفة يجب ان تضع في اعتبارها الآثار على الإنسان وهذا القول يجد صدى لدى العديد من مستمعيه الغربيين.

مساوىء الإعجاب بالأثرياء

ولقد ردد انور ابراهيم قول آدم سميث الذي يعلن فيه ان الإعجاب المبالغ فيه بالأثرياء وذوي النفوذ يعتبر «السبب الأكبر والعام للفساد الذي يلحق بأحكامنا الاخلاقية».

وفيما يبدو فإن وجهة النظر هذه لا تجد قبولا لدى بعض زملائه في الحكومة، ممن يشيرون الى المليارديريين المحليين على انهم يعتبرون «القدوة» بالنسبة للشعب الماليزي. والامر الأهم من ذلك الحذر من ان «نجاح اقتصادات منقطة جنوب شرقي آسيا قد اثار الكثير من الاعجاب غير المتحفظ». كما انتقد بشدة الرأي القائل بأن« مفهوم الحرية وحقوق الانسان والحريات الشخصية يعتبر غربيا عن النفسية الاسيوية».

والى جانب ذلك فإنه حظي باهتمام خاص عند حديثه عن الاسلام، حيث انه لايخشى ربط المفاهيم الإسلامية بالتقاليد الاخرى. فهو يتحدث عن «الفريق الوسط» اي وسطية السلام، وعن افكار كونفوشيوس الوسطية، والوسيلة الذهبية التي تحدث عنها ارسطو كما يشدد على انه في شرق آسيا يوجد سعي جديد للبحث عن معنى القيم التقليدية والمفاهيم الدينية سواء كانت اسلامية او كونفوشيوسية او بوذية. وانه لمن المهم للغاية بالنسبة للغرب ان يستمع الى هذا الصوت المسلم في هذه اللحظة التاريخية التي اصبحت فيها الاصوات الاكثر صخبا تحثنا على الاعتقاد بوشوك وقوع« صدام بين الحضارات» حيث يقف الاسلام والغرب في مواجهة بعضهما بعضاً. كما انه وبكل تأكيد من المهم بالنسبة للمسلمين ان يستمعو ايضا. من كان منهم في الشرق الاوسط او في أي مكان آخر. فقد يذكرهم هذا الامر بأن الاسلام كان هو الأقوى من حيث النفوذ وكحضارة في العهدالعباسي ـ الذي في زمانه ـ كانت اوروبا تعيش في «العصور المظلمة» عنما كان العلماء المسلمون يدرسون بتمعن كل شيء وعندما ترجموا اعمال الفلاسفة الاغريق ودرسوا المجتمع الهندي... اما في زماننا فإن المسلمين في الشرق الاوسط وبالرغم من ثرائهم، لم يحققوا اي شيء يمكن مقارنته بالنجاح الاقتصادي للمجتمعات المسلمة في جنوب شرق آسيا. فهل يعود ذلك في جانب منه الى ان مسلمي منطقة جنوب شرقي آسيا لديهم الثقة بالنفس التي تمكنهم من الانفتاح تجاه افكار غير المسلمين، بينما يتراجع مسلمو منطقة الشرق الاوسط بصورة متزايدة، ويعتمدون على تفسير دفاعي مغلق ومتقوقع لمعتقداتهم. ■



الإعجاب المبالغ فيه بالأثرياء وذوي النفوذ يعتبر السبب الأكبر والعام للفساد الذي يلحق بأحكامنا الأخلاقية

جمهوريات آسيا الوسطى تعود لأصولها الإسلامية

بعد ان كانت دول آسيا الوسطى لا تردد سوى اسم «بيتر الاعظم» قيصر روسيا الامبراطورية، تعود الآن لتجدد ذكرى قادتها الاسلاميين. فمنذ الاستقلال اخذت اوزبكستان تزيل كل ما يذكرها بالشيوعية والقيصرية. انها تحاول نسيان الماضي الأليم، وهي تسير على نفس النهج الذي تسير عليه الجمهوريات الأخرى التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار السوفيتي، أي جمهوريات آسيا الوسطى.

وقد عادت الآن الى العمل من جديد على تمجيد قادتها المسلمين، ومن اهم هؤلاء القادة تيمور لنك او كما يطلقون عليه التسمية الاسلامية الاصيلة« الامير تيمور» او «الملك تيمور١٣٣٦-١٤٠٥» وفي العام المقبل سوف تحيي مدينة سمرقند الذكرى الـ ٢٥٠٠ لانشائها، وفي الوقت نفسه ستحيي الذكرى الـ٦٦٠ للأمير تيمور وذلك في شهر اكتوبر

وفي لقاء مع «دولت سادولاييف بيك» مدير قسم التاريخ في وزارة الخارجية الاوزبكية قال بتأثر شديد:« ان الآخرين كانوا يتهمون الأمير تيمور على مدى ٧٠ عاما بأنه كان طاغية وسفاحا، ولكن التاريخ كان قد غير كل شيء، وجاء ستالين ليقسم آسيا الوسطى بطريقة مصطنعة وميكيافيلية. ومع ذلك تريد الجمهوريات التي تحررت من الحكم السوفيتي ان تبرز هويتها الحقيقية بأسرع ما يمكن وهو الشرط الاساسي للوحدة الشاملة ومن ثم للسلام المدني.

ومن الجدير ذكره ان اقليم اوزبكستان الذي أنشىء في العشرينات هو قلب الحضارات التركية الفارسية.. ومن هنا فإن الاحتفالات بالذكريات المختلفة سوف تكون كثيرة. ومنذ خمس سنوات، اقيم احتفال بذكرى الامبراطور«بابور» الذي اسس الاسرة الحاكمة المغولية في الهند، وهناك احتفالات اخرى بذكرى شخصيته مثل اولوغ بيج حفيد الامير تيمور، والعالم الفلكي اليشار افول، «ابو اللغة الوطنية»، وكذلك «باهودیناشییان» مؤسس احدى الجماعات الصوفية، التي ظلت باقية حتى بعد الاستعمار الشيوعي الماركسي.

ويقول احد الجامعيين من سمرقند« اننا نضاعف من الاحتفالات منذ ثلاث او اربع سنوات وعادة مايصاحب هذه الاحتفالات إقامة مساجد جديدة او ترميم القديمة، وكذلك انشاء مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وهذا يعد دليلا على الرغبة في استعادة العصر الذهبي لوسط آسيا.

في تركمانستان

لقد تم تصحيح وتنقيح التاريخ الحديث للبلاد ايضا، ففي تركمانستان قام الرئيس تركمانباشي بالعمل على بناء مسجد كبير جدا في موقع أثري مهم يعرف باسم «جوك تيكي» وهو الموقع الذي يشهد آخر هزيمة للقبائل في مواجهة جيوش القيصر. وفي مدينة بخارى الأثرية اصبح المسؤولون السياحيون والعلميون يعملون على ذكر مآثر القادة والحكام المسلمين وإلغاء أية معلومات تسيء اليهم ولاسيما مما كتبه السوفييت عنهم، ولكنهم لاينسون قصة ذلك الجنرال الذي هرب من الحاكم المسلم الى موسكو بعد ان سلب كل كنوز الامارة.

ولابد لنا ان نعلم ان هذه الحركة التصحيحية في رد الاعتبار للأجداد تجري على المستوى الشعبي أساسا، ويبدو ذلك واضحا في تسابق العائلات على الذهاب الى الاماكن الأثرية التي تشهد على تاريخ الأجداد السياسي والديني.

كما اخذت اللغات المحلية تعود أدراجها الى السكان مثل «التركية والفارسية الى طاجكستان» كما ان هناك حركة في تركمانستان تهدف الى كتابة اللغة المحلية بحروف لاتينية وقد بدأت هذه الحملة من خلال الاعلانات الدعائية التجارية والشعارات الحكومية.

وعلى كل حال من المعروف ان تغيير أبجدية اللغة امر صعب، وقد عاش الأتراك هذه التجربة في ظل مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس تركيا الحديثة.

تقارب مع الأتراك والفرس

والحقيقة ان هذه الاصلاحات تقرّب جمهوريات آسيا الوسطى من عالمي الفرس والأتراك وابتعادهما بشكل واضح عن الدولة الاستعمارية السابقة، اي الاتحاد السوفييتي واتحاد روسيا الفيدرالية ولاشك ان الهويات الوطنية لا تتم الا من خلال حالات العودة الى الأصول وهو امر لابد منه على المستوى الديني وهناك روس وملحدون يدخلون الآن في دين الله أفواجا.

ولعلنا لا ننسى ما حدث في العام ١٩٦٢ عندما قام الشيوعيون بهدم مبنى أثري كان قد أسسه الامبراطور بابور في العام ١٤٩٧ على تل يشرف على مدينة «أوس» في قيرغيزستان، وعندما قام رئيس السجن

> الهويات الوطنية لا تتم إلا من خلال حالات العودة إلى الأصول

ببذل الجهود لاعادة بناء هذا المبنى ، قتلت هذه الجهود في مهدها على ايدي حاكم شيوعي محلي.
وعندما تم الاستقلال عاد هذا الحاكم الشيوعي المحلي نفسه الى حملة لترميم المبنى الذي سبق ان تم تدميره.
ويعلق احد المثقفين الساخطين على من يتصرفون بنفاق ورياء من المسؤولين قائلا:« ان الناس هنا عادوا لارتداء ملابسهم الأصيلة».
اما المؤرخ الاوزبكي« دولت بيك سادولاييف» فيركز على التوازن بين امثال وشعارات وحكم رئيس الجمهورية اسلام كريموف الذي غالبا مايستشهد بها.

والواقع الذي لايمكن انكاره هو ان محاولات استغلال الماضي بشكل يؤدي اغراضا سياسية هي محاولات واضحة تماما للعيان وتظهر هذه المحاولات على المستوى الداخلي اولا، وذلك لأن عبادة الشخصية الفردية بقيت حتى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. ثم ظهرت هذه المحاولات بعد ذلك من خلال العلاقات الدولية ومن الواضح ان تشريح وتقطيع الحدود على ايدي ستالين، ووجود اقليات مهيضة الجناح وقلقة اسفر عن احداث عرقية مؤلمة. ومثال ذلك ماحدث في مدينة« أوس» عشية الحصول على الاستقلال، حيث وقعت مجابهات مؤسفة بين شعبي قيرغيزيا

واوزبكستان، مما ادى إلى تدخل القوا[...] الروسية التي ارادت ان تهدىء من خطورة [...] اللعبة».
وتريد الحكومات الآن الاتفاق على اوضـ[...] ثابتة لحدود بينها.. ويلاحظ المؤر[...] التركماني مراد دوردابيف ان عجز الرئيس [...] كريموف أمام شعبه المقسم بين ايرا[...] وتركمانستان يؤدي الى مشاكل كثير[...]
ويقول: إن هناك اناس يريدون توحي[...] صفوف امتنا، ولكننا نعرف جميعا ان هـ[...] امر غير ممكن، ثم يختتم المؤر[...] حديثه محذرا:« علينا ان نتجنب كتا[...] تاريخ قومي، فقد فعل ذلك كثيرون من قبل[...] اذ ان خطر القومية هو خطر الفاشي[...] نفسه.

مسلمو الصين يطالبون بالاستقلال

مثل كل الامبراطوريات السابقة بدأت اطراف الصين البعيدة تعاني من التفتت لكن اذا كانت رغبة اقليم التيبت في الانفصال معروفة على مستوى العالم الآن، فإن هناك إقليما آخر لا يقل رغبة في الانفصال عن الصين وهذه رغبة التيبت، وهذا الاقليم هو منطقة سينجيانغ المجاورة للتيبت.
فطبقا لسكان هذا الاقليم الذين يطلق عليهم الـ «يوغورز» ويشكلون اقلية اسلامية من اصل تركي، فإن الصين تحتل بلدهم هذا منذ اكثر من ٢٠٠ سنة، حيث كان سابقا بلدا مستقلا يطلق عليه اسم تركستان الشرقية. والحقيقة ان الصين قامت في مايو الماضي بحملة اعتقالات رئيسية ضد حركة الانفصاليين القت القبض خلالها على اكثر من ٥٠٠ مواطن كان من بينهم مفكرون وزعماء دينيون وفنانون واعضاء في منظمات سرية.
واشارت التقارير الى موت العديد من الناس خلال الاشتباكات التي وقعت بين اليوغورز ورجال الأمن الصيني.
وأتبع جيانغ زيمين، الرئيس الصيني ورئيس الحزب الشيوعي، هذه الحملة برحلة الى كازاخستان التي يعيش فيها اكثر من ٢٠٠ الف من اليوغورز من اجل الحصول على تأكيد من حكومتها بألا توفر الحماية على اراضيها للمنظمات التي تؤيد القومية اليوغورزية.
لكن من الملاحظ ان هناك شيئاً من التعاطف في آسيا الوسطى مع طموحات اليوغورز الذين يقولون ان لهم تاريخا معروفا منذ اكثر من ٣٠٠٠ سنة. اذ تقول بعض الروايات ان مجموعة صغيرة من اليوغورز تمكنت من الصمود امام جيش الاسكندر الاكبر واوقفت حملته نحو الشرق بين عامي ٣٥٦-٣٢٣ قبل الميلاد.
وتعترف الصين من ناحيتها بأن عدد السكان اليوغورز يبلغ ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة، لكن اليوغورز يقولون ان عددهم يصل الى مابين ١٥و٢٢ مليون نسمة. والواقع انهم تمتعوا بفترة قصيرة من الاستقلال بين العام ١٩٤٤و١٩٤٩ كجمهورية تعرف باسم جمهورية تركستان الشرقية، وذلك حينما كانت الصين منشغلة بحربها الاهلية.
لكن ما ان تولى الشيوعيون السلطة في بكين حتى بدأوا حملتهم لاستيعاب وادخال اليوغورز ضمن الاراضي الصينية. ومن الواضح ان الحملة الصينية استهدفت دائماً النساء في ذلك الاقليم. اذ تشتكي المقاومة الوطنية فتقول بالاضافة لإجبار النساء على الاجهاض واجراء عمليات جراحية لهن حتى لاينجبن بعد المولود الاول، تعرضت تلك النسوة لضغوط متزايدة كي يتزوجن من رجال صينيين، وهذا بخلاف تدفق اعداد كبيرة من الصينيين للعيش في زينجيانغ الاقليم المسلم. ففي العام ١٩٤٩ كان هناك حوالي ٣٠٠ الف صيني يشكلون مانسبته ٣٫٧٪ من مجمل سكان سينجيانغ، وكان اليوغورز هم الاغلبية.
لكن اكثر من نصف سكان الاقليم اليوم هم من الصينيين.
ويقول «كاخرمان خوزامبيردي» رئيس اتحاد اليوغورز الاقليمي الذي يتخذ من كازاخستان مقرا له: ليس هناك اي شيء نشترك به مع الصين من ناحية الدين والثقافة واللغة.
وعلى الرغم من صغر الاقليم وضآلة عدد سكانه بالمقارنة مع جمهورية الصين العملاقة، الا ان سكان هذا الاقليم الذين يعيشون في المنفى يتحدثون عن استقلال بلدهم في النهاية، وهذا طموح شجاع بالتأكيد حتى وان كان تحقيق مثل هذا الاستقلال امرا مستحيلاً.



حكم تقويم الأسنان

إنني طبيب اسنان وتعرض عليّ حالات كثيرة للتقويم، وكذلك حالات لتجميل الأنف والوجه، وإنني أتحرج من الكثير منها خشية الوقوع في الحرام، لذلك ارجو التفضل بإجابتي عن الحكم الشرعي فيما يلي:
١- ماحكم تقويم الأسنان للرجال والنساء والاطفال، علما بأن بعض أنواع التقويم تكون علاجية من أجل تصحيح الإطباق ليكون المضغ سهلاً، وبعضها تجميلي محض؟

٢-ماحكم تجميل الأنف وبعض اجزاء الوجه، علما بأن بعض حالات التجميل هذه تكون لإزالة تشوه كبير، وبعضها لمجرد التحسين، وهل يختلف الحكم في ذلك في حق المتزوجين عنه في غير المتزوجين؟
– وقد أجابت اللجنة بالتالي:
١- تقويم الأسنان وتجميل الأنف والوجه وسائر الاعضاء إن قصد به معالجة عيوب طارئه أو أصلية تؤدي إلى تشوه الخلقة السوية أو تسبب ألماً وحرجاً نفسياً أو إخلالاً بوظائف الأعضاء فهو جائز لما في ذلك من المصلحة الماسة الغالبة وان كان لغير ذلك فلا يجوز لما فيه من تغيير خلق الله والتغرير، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال: « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ما لي إلا ألعن من لعن النبي صلى الله عليه وسلم »رواه البخاري ومسلم.
٢- وهذه الاحكام كلها تعم الرجال والنساء المتزوجين وغير المتزوجين، وكذلك الاطفال ويكون المسؤول عنهم وليهم.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

حكم كشف الطبيب على المرأة المسلمة

– ما حكم الشرع في كشف طبيب رجل على المرأة المسلمة؟
– وهل هذا يدخل في الضرورة؟
مع العلم ان الدولة تملك الامكانات اللازمة لتوافر طبيبات متخصصات في أمراض النساء والولادة سواء مسلمات أو غير مسلمات.
– نرجو إبداء الحكم الشرعي في هذه المسألة التي يتحرج منها عامة المسلمين ويضطرون في كثير من الأحيان ان توفرت الامكانات المادية الكشف في مستشفيات خاصة يتوافر فيها الكادر الطبي من النساء.
– وقد أجابت اللجنة بالتالي:

لايجوز للطبيب الرجل الكشف على عورة المرأة إلا عند عدم وجود الطبيبة أو عند تعين الطبيب لكونه صاحب اختصاص أو خبرة لاتسد الطبيبة مسدة فيها.
وكشف العورة للطب من مواطن الضرورة .فيكتفي فيها على قدرها ولايتوسع فيها الى غيرها.
ويستوي الطبيب والطبيبة في حكم الاطلاع على عورة المريضة المغلظة، إلا ان كشفها للطبيبة أخف فتجوز للضرورة وتقدر بقدرها كذلك.
وكون الدولة تملك إمكانات توفير الطبيبات المختصات لا يرفع الضرورة في حال فقدهن الآن وإنما يرفعها في المآل وعند توافرهن فعلا.

سفر المرأة بدون محرم في مهمة رسمية

نرجو من دائرة الفتوى معرفة الحكم الشرعي في سفر الفتاة من دون محرم ومع نسوة ورجال في مهمة رسمية موكلة لهم من قبل الوزارة أو الهيئة التي يعملون بها؟
–وقد أجابت اللجنة بالتالي:
الاصل أنه لايجوز للمرأة ان تسافر من بلدها لأي عمل كان إلا ومعها زوجها أو محرم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم« لاتسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولايدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» رواه البخاري.
واستثنى بعض الفقهاء حجة الفرض وأجازوا لها السفر من أجلها مع الرفقة المأمونة، وذلك صوناً لها وحماية لعفتها وكرامتها.
وعليه فإنه لايجوز للمرأة الموظفة السفر دون زوجها أو محرم في مهمة رسمية من قبل الوزارة أو جهة العمل مهما كانت طبيعة هذه المهمة، فإذا كان لابد من ذلك فلتصحب معها زوجها أو محرماً ولو كان ذلك على نفقتها، فإذا تعذر ذلك لم يجز سفرها إلا ان يصل الأمر الى حد الضرورة أو الحاجة الشديدة كأن تكون متعينة لهذه المهمة ولايحل محلها أحد من الرجال، أوان تكون المهمة ضرورية للمصلحة العامة فإن وصل الأمر الى ذلك الحد جاز لها السفرمن دون زوج أو محرم للقواعد الفقهية الكلية« الضرورات تبيح المحظورات» و«الحاجة تنزل منزلة

حكم الاستعانة بالسحرة

أحيطكم علماً بأن أخي كان مسحوراً، فقمنا بالاستعانة بأحد السحرة والذي تمكن من فك سحره، فهل هذا حرام أم حلال؟ مع علمنا اليقيني بأن الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء ولولا إرادته لما فك سحره، وقيامنا بذلك الأمر أو اللجوء إليه هو نيتنا فقط إيجاد حل خير لفك سحر أخي، وقمنا بسؤال بعض الناس في الأمر نفسه فبعضهم اجاب بأننا مشركون لكوننا استعنّا بساحر، والبعض الآخر قال لي أنت كافر لكوني لم استعن بقراءة القرآن. فما توضيحكم للأمر نفسه مع العلم بأنني حاولت أخذ أخي المسحور لأحد المشايخ ليقرأ له القرآن إلا أنه رفض بشدة الأمر الذي دفعنا إلى الذهاب لأحد السحرة دون علم أخي ومع التزامه بالرفض وعدم القبول بالذهاب، هذا وقد فك سحره بنفس اليوم. أفيدونا جزاكم الله خيراً.

– وقد أجابت اللجنة بالتالي:

السحر حرام، وهو من الكبائر لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يارسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق عليه.

وفي السحر ورد قول الله عز وجل على سبيل الذم :﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾[أية– ١٠٢– سورة البقرة].

ومن استحل السحر فقد كفر لأن تحريمه معلوم من الدين بالضرورة، وعلى ذلك يكون فك السحر عن المسحور بقراءة القرآن الكريم، والاستعانة بالله تعالى، والرقى المباحة مع الاعتقاد بأن النافع هو الله وحده، ولايجوز اللجوء الى السحرة لفك السحر بالسحر سداً لذريعة الفساد، وإبطالاً لعمل السحرة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ماجئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لايصلح عمل المفسدين﴾ [يونس/٨١].

البناء على القبور

هل يجوز شرعا البناء على القبور كما هو موجود في الصور التي أمامكم.

– ثم أطلع اللجنة على أنموذجين مصورين للبناء على القبور، هما المرقمان (أنموذج١) و(أنموذج٢).

– وقد أجابت اللجنة بالتالي:

الحد الشرعي لارتفاع القبر هو أن يكون بمقدار شبر أو اكثر قليلا، والأفضل تسنيمه، بجعل وسط القبر مرتفعا وجانبيه ممسوحين مثل سنام البعير، ودليل ذلك ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع قبره عن الأرض قدر شبر، رواه البيهقي. والمستحب أن لا يزاد في القبر على ترابه الذي خرج منه.

وبالنسبة للنماذج التي اطّلعت عليها اللجنة فإنها لا ترى مانعا من البناء الوارد في الأنموذج رقم (١) لأنه لا يتجاوز الشبر.

ويجب على الجهات المختصة عدم السماح بغير ذلك من البناء وإزالة الأبنية الزائدة عن الحد الشرعي التي على القبر، مع إبقاء القبر على الوجه الشرعي، ولا ينبغي إقدام الأفراد على ذلك لأنه من الأمور التي قد يقع الخلاف في تقديرها، فيكون سببا لوقوع الفتنة بتضارب الآراء فيه، ولاسيما من ذوي الموتى.

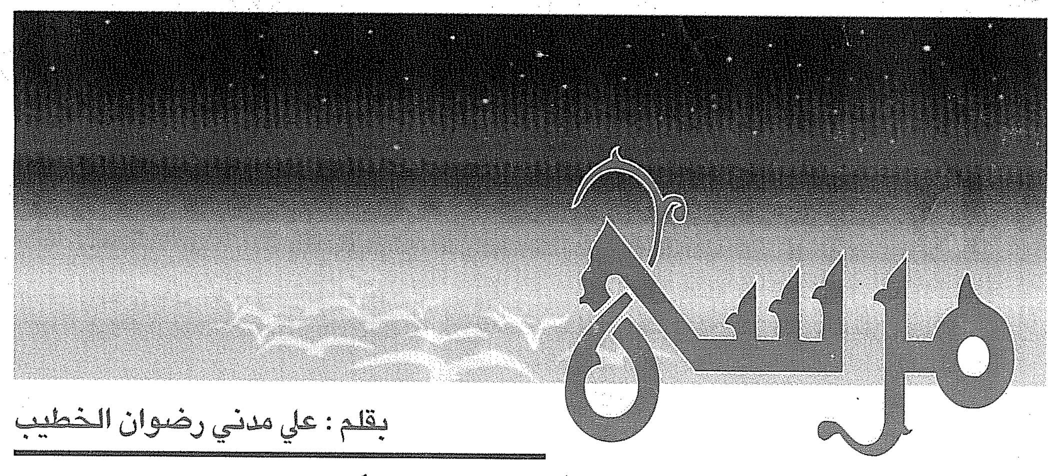
استخدام الشعر للعلاج

ما هو حكم علاج الشعر بوصله بخصلة من الشعر علماً بأنه ليس بغرض الزينة الخارجية وعدم تغيير الشكل، أو العلاج؟

–وقد أجابت اللجنة بالتالي:

لايجوز الوصل بشعر الآدمي للرجل وللمرأة على السواء، أما الوصل بشعر غير الآدمي فإنه يجوز للحاجة ما لم يكن فيه تدليس أو خداع، والجواز للمرأة المتزوجة آكد، والله اعلم.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ – ١٢ ظهرا ومن ٤ – ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ ٢٤٦٦٩١٤ ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



بقلم : علي مدني رضوان الخطيب

الهباء

كم من أعمال ضخامتها كالجبال الرواسي لكنها لا تزن في ميزان الأعمال جناح بعوضة وكم من زكوات وصلوات وحجج فضلاً عن غيرها من الأعمال إلا أنها لا تساوي عند الله حبة من خردل، وكم من ضروب للخير ومجالات للبر قام بها أهلها بيد أنها لن تساوي عند الله القلامة من الظفر...

إلى هذا الحد فالأمر جد خطير أن يقوم المرء بالعمل. أن يكد فيه ويعرق، ويتعب فيه وينصب، أن ينفق فيه ويبذل ويؤدي ويعطي، ويثابر ويجاهد ويكافح ويمضي، ويسافر ويقطع المفاوز والقفار ويطوي المسافات ويستهلك من عمره مساحة كبيرة ثم لا يجد من وراء ذلك كله غير انعكاس الأمر عليه، ونسي أو تناسى ذلك المغبون في عقله أن جميع ما قام به لم يكن لربه فيه نصيب، أو كان لربه ولغيره ـ وربه أغنى الشركاء عن الشرك ـ لهذا ضاعت الأعمال وذهبت هباء، ومحقت بركتها وباتت جوفاء، وما قيمة الشكل الذي فرغ من مضمونه، وما قيمة الصورة إذا فقدت سمتها، وما قيمة الجسد إذا فارقته الروح، وما أهمية المبنى إذا غُيّب المعنى.

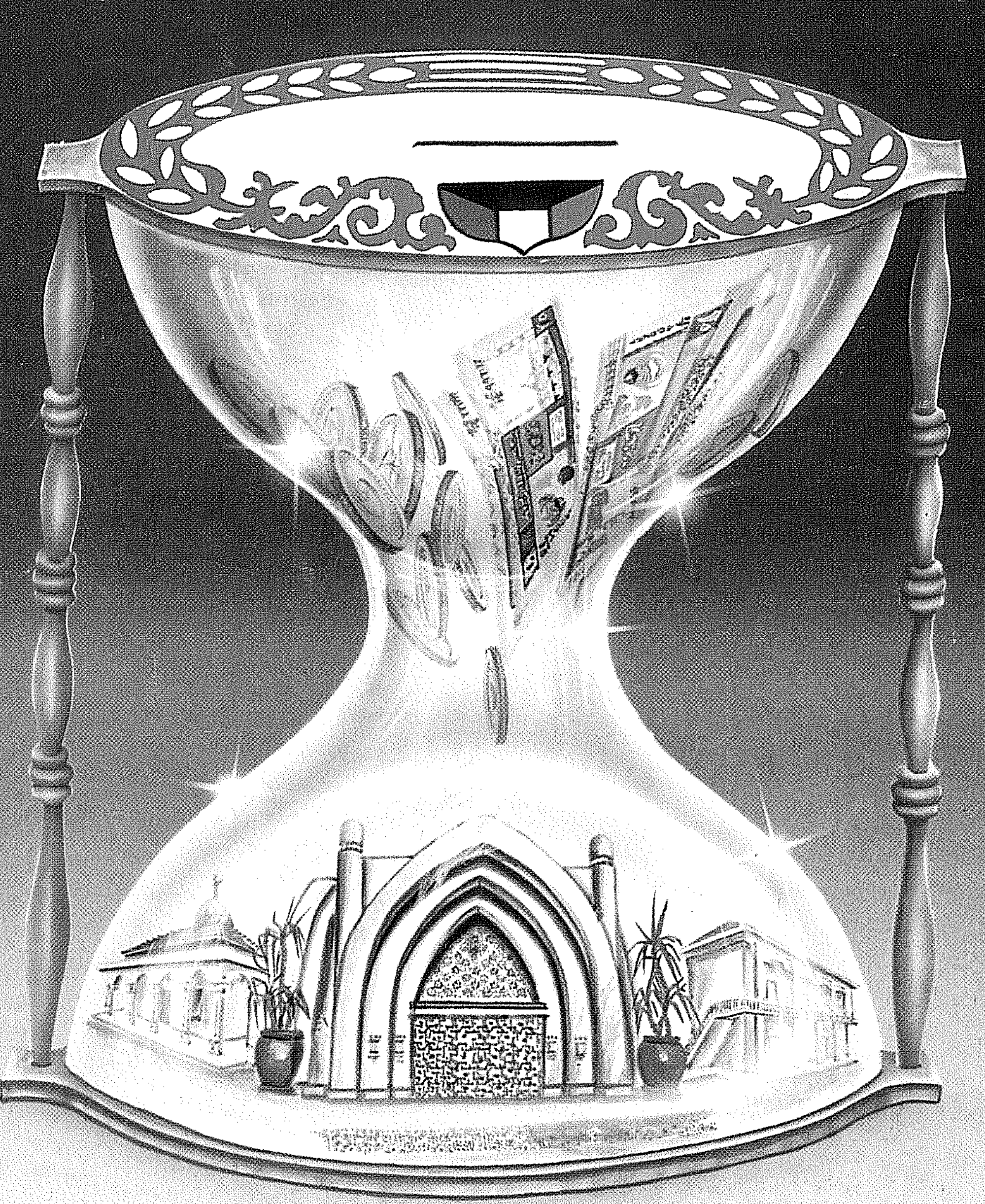
وإنك لتجد أحدهم يختال في ثوبه المعطر الأنيق وعلى رأسه عمامة كبيرة وفي يده عصاه التي يضرب بها من استعصى.. يتصدر المجالس... ويتقدم المحافل والناس جلوس عند موضع القدم.. يفتخر بذاته على ذاته، ويحكي مآثره، ويرسم لمن حوله صورة زاهية بكل ألوان الطيف، يتقعر في عبارته، رائحة الكبر يشتمها من ليس عنده مسكة من فراسة. كثيراً ما تجده على تلك الصورة وجلساؤه كأنّ على رؤوسهم الطير، لم يكن لهم قرار حتى في موضع جلوسهم، فضلاً عن أن يكون لهم قرار في شيء يحبونه أو يعافونه لأنهم كالتبابيع...

وقد يجتره الحديث إلى انتحال الكرامة وإسبال سربال الولاية كي يحظى بوافر الحمد وعظيم الثناء.. يتسابق في الإنفاق. وفي مكان ضيافته قطعان كثيرة من البشر تقودهم إلى ساحته الكبيرة دوافع الجوع والعري وشدة المخمصة وذل الحاجة.. وفي كل عام يكتب نفسه فيمن يحج حتى تخرج الكوكبة العشائرية وهو ممتطياً حصانه الأغبر مزهواً كالطاووس يلوح بيديه ليرد على هتافات القوم له بأن يبقى ويرجع سالماً. حتى اليتامى الذين أكل ميراثهم وعض أباهم يهتفون مع الهتّاف بأن يرجع غانماً وسالماً..

لكن ذلك كله لم يعدل عند الله ذرة من عمل ولا وزناً لهباءة تتسلل من ثقب نافذة. لأنه تعالى في كبريائه وعظمته لا يرضى بالشركة وهو أغنى الشركاء عن الشرك ومن هنا يأتي النص القرآني الواضح ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾. [الفرقان/ ٢٣].

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

2.5%

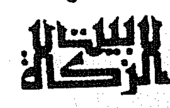


فقط 2.5% قيمة زكاة المال

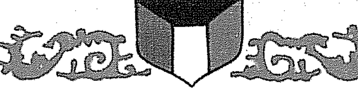
منها يعم الخير الكثير

لمزيد من الإستفسار: ت/ 5757257

بالزكاة والخيرات



نحقق الكثير



الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

عالمية التمويل...
عالمية الإنفاق...

قال تعالى:
«مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم».
البقرة (٢٦١)

بيت التمويل الكويتي

٢٣/٣ تبرعات ــ ١٩/٥ زكاة